المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا

الطالب صحح المطلوب
أعضاء البحث
الدكتور محمود أحمد خفاجي — الدكتور عثمان عبد المنعم يوسف — الدكتور صلاح عبد العليم إبراهيم
١٤١٥/١/١٧ هـ

ابن كمال باشا وآراؤه الاعتقادية

دراسة نقدية على ضوء عقيدة السلف

إعداد الطالب: سيد حسين سيد باغجوان
إشراف الأستاذ الدكتور محمود أحمد خفاجي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

١٤١٣ — ١٤١٤ هـ
١٩٩٢ — ١٩٩٣ م

الفصل الرابع

أفعال الله تعالى

المبحث الأول : تعليل أفعال الله تعالى .

المبحث الثاني : خلق أفعال العباد .

المبحث الثالث : حسن الأفعال وقبحها .

المبحث الرابع : القضاء والقدر .

المبحث الخامس : رؤية الله تعالى في الآخرة .

المبحث الأول : تعليل أفعال الله تعالى

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن أفعال الله تعالى لاتخلو من الحكم ومصالح العباد

لأن الله تعالى حكيم ، " والحكيم – فعيل بمعنى مفعل ، أى – يحكم بمبدعاته ، وذلك لأنه لايفعل الا مافيه حكمة بالغة "[١] ، " يضع الأشياء مواضعها"[٢] ، "ذوحكمة بالغة في أفعاله وأقواله "[٣] ، و " فى تدبيره وأحكامه "[٤] ، " يفعل على مقتضى الحكمة "[٥] ، وأن الأحكام والشرائع " شرعها لحكم ومصالح "[٦] .

وهذا الذى ذهب اليه ابن كمال باشا هو رأى جمهور الحنفية والماتريدية كذلك ..

يقول الشيخ عبدالرحيم بن على الشهير بشيخ زاده (ت ٩٤٤ هـ) :

" ذهب المشايخ من الحنفية الى أن أفعاله تعالى تترتب عليها الحكمة على سبيل اللزوم ، بمعنى عدم جواز الانفكاك تفضلا ، لا وجوبا ، كما هو المفهوم من تعديل العلوم ، والمصرح في شرح الجوهرة ، وحاشية تغيير التنقيح "[٧] .

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٤٨ (الحرم المكى) .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٩٥ أ ، ٢٩٧ ب .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١٨٣/١ ، ٣٩٧ (الحرم المكى) ، وكذلك: ٢٧٠ ب ، ٢٨١ أ ، ٥٧٧ أ .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٩١ ب .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٤٣/١ (الحرم المكى)، وكذلك ٣٦٢ أ ، ٥٥٥ أ، ٥٦٠ أ .

(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ١٦٠/١ (الحرم المكى).

(٧) شيخ زاده : نظم الفرائد وجمع الفوائد ص ٢٨ .

ويقول العلامة ابن كمال باشا فى حاشيته على تغيير التنقيح - المشار اليها هنا - فى حاشية مبحث القياس [(١)] : " إن الأصل فى النصوص التعليل ، وإن الأحكام مبنية على الحكم والمصالح " ..

أما صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبى (ت ٧٤٧ هـ) ، صاحب تعديل العلوم وشرحه ، من الحنفية يقول :

" أفعاله تعالى معللة بمصالح العباد عندنا ، مع أنه لايجب عليه الأصلح، وما أبعد عن الحق من قال : إنها غير معللة بها ، فان بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لاهتداء الخلق وإظهار المعجزات ، فمن أنكر تعليل بعض الأفعال - لاسيما الأحكام الشرعية ، كالحدود - فقد أنكر النبوة ، ولذا كان القياس حجة ، أما الوقوف على ذلك فى كل محل فلا يلزم " [(٢)].

ويؤيد ذلك ماقاله التفتازاني من تعليل بعض الأفعال بالحكم والمصالح، واليك ماقاله فى ذلك :

" والحق أن تعليل بعض الأفعال - لاسيما شرعية الأحكام - بالحكم والمصالح ظاهر ، كإيجاب الحدود ، والكفارات ، وتحريم المسكرات وما أشبه ذلك ، والنصوص أيضا شاهدة بذلك ، كقوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ [(٣)]، و (من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل ﴾ الآية [(٤)] ، ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لايكون على المؤمنين حرج ﴾ [(٥)] الآية .

---

(١) ص ١٨٩ .

(٢) نقلا عن " الحكمة والتعليل فى أفعال الله تعالى " للمدخلى ص ٥٥ .

(٣) الذاريات / ٥٦ .

(٤) المائدة / ٣٢ .

(٥) الأحزاب / ٣٧ .

ولهذا كان القياس حجة، الا عند شرذمة لايعتد بهم ، وأما تعميم ذلك بأن لايخلو فعل من أفعاله عن غرض فمحل بحث "[1] .

وقد صرح العلامة إسماعيل الكلنبوى بأن تعليل أفعاله تعالى بالحكم والمصالح هو مذهب أكثر الماتريدية ، حيث قال :

" ذهب أكثر الماتريدية – ومنهم صدر الشريعة – الى تعليل أفعاله بالأغراض . وذهب العلامة التفتازاني – في كتبه – الى أن تعليل بعض أفعاله معلوم قطعا ، وعليه مبنى القياس، وأما الحكم بتعليل جميع أفعاله بالأغراض فمحل بحث "[1] .

وقد سبق تصريح العلامة ابن كمال باشا " بأن الأصل فى النصوص التعليل، وأن الأحكام مبنية على الحكم والمصالح " .

تعقيب

والذى ذهب اليه العلامة ابن كمال باشا من أن أفعال الله تعالى لاتخلو من حكمة وغاية حميدة هو بعينه مذهب السلف ،بل مذهب جمهور المسلمين. يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى

" وقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم : بل هو حكيم فى خلقه وأمره، والحكمة ليست مطلق المشيئة ، إذلو كان كذلك لكان كل مريد حكيما ، ومعلوم أن الارادة تنقسم الى محمودة ومذمومة ، بل الحكمة تتضمن مافي خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة . والقول باثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة فقط ، بل هو قول جماهير طوائف المسلمين، من أهل التفسير ، والفقه ، والحديث ، والتصوف ، والكلام ، وغيرهم .

---

(١) الكلنبوى : حاشيته على الجلال من العقائد ص ٤٦٠ .

فأئمة الفقهاء متفقون على إثبات الحكمة والمصالح فى أحكامه الشرعية ...

والحنفية هم من أهل السنة القائلين بالقدر ، وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح " .[١]

فالحكمة عند السلف مقصودة له تعالى ، يفعل لأجلها ، لأنه يحبها ويرضاها .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله تعالى :

" انه سبحانه حكيم ، لايفعل شيئا عبثا ، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة ، هى الغاية المقصودة بالفعل ، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة ، لأجلها فعل ، كما هى ناشئة عن أسباب بها فعل ، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا ، وهذا في مواضع لاتكاد تحصى ، ولا سبيل الى استيعاب أفرادها " .[٢]

ويقول فى موضع آخر :

" وجمهور الأمة يثبت حكمته سبحانه ، والغايات المحمودة فى أفعاله ، فليس مع النفاة سمع ، ولا عقل ، ولا إجماع ، بل السمع ، والعقل ، والاجماع ، والفطرة تشهد ببطلان قولهم ، والله الموفق للصواب . وجماع ذلك :

ان كمال الرب تعالى ، وجلاله ، وحكمته ، وعدله ، ورحمته ، وقدرته ، وإحسانه ، وحمده ، ومجده ، وحقائق أسمائه الحسنى تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة ، ولا لغاية محمودة . وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك ، وتشهد ببطلانه " .[٣]

وقال في موضع آخر أيضا :

" انكاره سبحانه على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية ، ولا لحكمة ،

---

(١) منهاج السنة النبوية ١٤١/١ ، ١٤٣ ، انظر كذلك ٤٥٤/١ – ٤٥٥ ، ٤٦٥ ، ودرء تعارض العقل والنقل ١١٠/٩ – ١١١ .

(٢) شفاء العليل ص ١٩٠ .

(٣) شفاء العليل / ٢٠٤ .

كقوله ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ﴾ (١) ، وقوله ﴿ أيحسب الانسان أن يترك سدى ﴾ (٢) ، وقوله (وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق ﴾ (٣) . والحق هو الحكم ، والغايات المحمودة التى لأجلها خلق ذلك كله..

فخلق مخلوقاته بسبب الحق ، ولأجل الحق ، وخلقها ملتبس بالحق ، وهو في نفسه حق، فمصدره حق، وغايته حق ، وهو يتضمن الحق .

وقد أثنى على عباده المؤمنين ، حيث نزهوه عن إيجاد الخلق لا لشيء ، ولا لغاية ، فقال تعالى ﴿ ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك ﴾ (٤) . وأخبر أن هذا ظن أعدائه ، لا ظن أوليائه فقال ﴿ وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا ﴾ (٥) .

وكيف يتوهم أنه عرف من يقول : انه لم يخلق لحكمة مطلوبة له ، ولا أمر لحكمة ،ولانهى لحكمة ، وإنما يصدر الخلق والأمر عن مشيئة وقدرة محضة،لا لحكمة ولا لغاية مقصودة ، وهل هذا الا انكار لحقيقة حمده ، بل الخلق والأمر إنما قام بالحكم والغايات ، فهما مظهران بحمده وحكمته ، فانكار الحكمة إنكار لحقيقة خلقه وأمره " (٦) .

ويقول الامام الأصولي ، أبواسحاق ابراهيم بن موسى اللخمى الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) فى الموافقات (٧) :

---

(١) المؤمنون / ١١٥ .

(٢) القيامة / ٣٦ .

(٣) الدخان ٣٨ – ٣٩ .

(٤) آل عمران / ١٩١ قال ابن كمال باشا في تفسيره (٢٦٧/١ الحرم المكى) : " اى ماخلقته خلقا باطلا بغير حكمة " .

(٥) ق / ٢٧ .

(٦) شفاء العليل / ١٩٨ .

(٧) ٧/٢ .

" وأما التعاليل لتفاصيل الأحكام فى الكتاب والسنة فأكثر من أن يحصى ، كقوله بعد آية الوضوء ﴿ مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ﴾ (١) ، وقال فى الصيام ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (٢) .

واذا دل الاستقراء على هذا ، وكان فى مثل هذه القضية مفيدا للعلم، فنحن نقطع بأن الأمر مستمر في جميع تفاصيل الشريعة ، ومن هذه الجملة ثبت القياس والاجتهاد " .

وبعد أن عرفنا مذهب السلف من نقول العلماء الأجلاء من المحققين نستطيع أن نقول أن ماذهب اليه العلامة ابن كمال باشا من أن أفعال الله تعالى معللة بالحكم والمصالح التى تعود على خلقه وعباده ، موافق لمذهب السلف رضى الله عنهم أجمعين ..

---

(١) المائدة / ٦ .

(٢) البقرة / ١٨٣ .

المبحث الثاني : خلق أفعال العباد :

يذهب العلامة ابن كمال باشا كأهل السنة الى " أن الله خالق كل شيء فهو الخالق للعباد ، وما صدر عنهم ، وظهر منهم من الأفعال والأقوال "[(١)] ،ويستدل على ذلك بالنصوص ، والنظر .

يقول :" ويعلم يقينا أن الأفعال كلها من الخير والشر ، والحسن والقبيح مخلوقة لله تعالى، لقوله تعالى ﴿ الله خالق كل شيء ﴾[(٢)] ، وقوله تعالى﴿والله خلقكم وماتعملون ﴾[(٣)] ، أى عملكم ، وكذا المتولدات ، نحو مايوجدمن الانكسار في الزجاج عقيب ضرب الانسان ، ومن الحركة فى الخشبة عقيب اعتماد الرجل عليه ، كل ذلك مخلوق لله تعالى ، لا صنع للعبد في تحصيله ، لما بينا أن العبد ليس له قدرة التخليق ، ولاينبغي له ذلك "[(٤)] .

وقال فى تفسير الآية التى استدل بها على خلق جميع أفعال العباد، وهى قوله تعالى ﴿ قال أتعبدون ماتنحتون﴾[(٥)] ، أتعبدون أصناما تعملونها أنتم ﴿ والله خلقكم وماتعملون ﴾[(٦)] وخلق ماتعملونه من الأصنام، ماتعملونها أنتم فان جواهرها بخلقه ، وأشكالُها وان كانت بنحتهم ، ولذلك نُسِب اليهم عملُها، فانها بإقداره تعالى إياهم عليها، وخلقِه مايتوقف عليه أعمالُهم من الآلات والجوارح والدواعي "[(٧)] .

---

(١) ابن كمال باشا : رسائله (المطبوعة) ص ١٢٦ .

(٢) الرعد / ١٦ . وقال في تفسيره (٣٧١ أ) أيضا :" ولاخالق غيره، فيشاركه في العبادة ،جعل الخلق موجب العبادة ، ولازم استحقاقها" .

(٣) الصافات / ٩٦ .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ١٩٣ أ .

(٥) الصافات / ٩٥ .

(٦) الصافات / ٩٦ .

(٧) ابن كمال باشا : تفسيره / ٦٠٥ أ .

واستدل كذلك بقوله تعالى ﴿ ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ [١]، حيث قال في تفسيره :"أثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن صورتها وجدت منه ، ونفاها عنه ، لأن أثرها الذى لايقدر عليه البشر فعل الله تعالى، فكان الله فاعلها على الحقيقة ، لا الرسول " [٢].

واستدل ابن كمال باشا على خلق الله تعالى لأفعال عباده من طريق النظر بقوله :

" ان الله تعالى خالق لأفعال العباد كلها ، لا خالق سواه ،لأنه خلق العباد كلهم ، لأن العبد لو قدر على خلق أفعاله،لقدر على إعادته ، لأن المعاد عين المبدأ ، ومتى قدر عليه فى حال ، لزم صحة اقتداره عليه في سائر الأحوال، لكن اقتداره على إعادته بالاتفاق محال ، فيلزم أن يكون اقتداره على خلق أفعاله مستحيلا " [٣].

ومع ذلك فان الله تعالى لم يجبر أحدا من خلقه على فعله ، فليس العبد مجبورا ، بل مختارا فى أفعاله ، يقول فى ذلك :

" واعلم أن الايمان والكفر فعل العبد باختياره ، لأن الله تعالى لم يجبر أحدا من خلقه على الإيمان والكفر. فانه تعالى لم يخلق عباده مؤمنين، ولا كفارا ، ولكن خلقهم أشخاصا مجردين عنهما [٤] ، ولهذا قال الله تعالى في آية من كتابه ﴿ انا هديناه السبيل ، اما شاكرا

(١) الأنفال / ١٧ .

(٢) تفسيره ٢٧١ أ .

(٣) اشارات لطيفة ١٩٥ أ .

(٤) وهذا القول مأخوذ من الامام أبى حنيفة رحمه الله تعالى في الفقه الاكبر. انظر في شرحه : إشارات المرام من عبارات الامام للبياضي ٢٥٤،وقوله (أشخاصا) :"أى متشخصين بمايعينهم من الذاتيات ولوازم التعينات. وليس الايمان والكفر بالاتفاق من تلك المشخصات المتوقف عليها تمايز الموجودات. فلم يخلقهم =

وإما كفورا ﴾[1] ، وفي آية آخرى ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾[2] ، وفي آية آخرى ﴿ ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾[3] ، وفي آخرى ﴿ فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها ﴾[4] "[5] .

ان الاسلام طريق وسط ، " لا جبر ولا تفويض ، لكن أمر بينهما" كمانقله ابن كمال عن " لسان بعض الكمل " وهو الامام محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم[6] .

ويقول فى شرح هذا الكلام :

" أما أنه لا جبر : فلأن العبد مختار فى اكتسابه الحسنات واجتنابه عن السيئات . وقد جرت عادة الله تعالى على أن يخلق فعل العبادعقيب صرفهم الاختيار الى مباشرة أسبابهم الكاسبة[7] .

= حال كونهم مؤمنين ، ولا كافرين من غير مدخل للاختيارات.كما في الإشارات ... وانظر كذلك فى قول الامام : شرح الفقه الاكبر للقارى/ ٧٧ .

(١) الانسان / ٣ .

(٢) الكهف / ٢٩ .

(٣) محمد / ٧ .

(٤) الأنعام / ١٠٤ .

(٥) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ٧ .

(٦) كما صرح بذلك في إشارات المرام للبياضي ص ٢٥٧ .

(٧) فالعبد كاسب ، والرب خالق ، " فالكسب : هو مباشرة الأسباب بالاختيار " كما في حاشية ابن كمال باشا على حاشية تجريد الطوسي ، ق / ٣٨٣ (من المحمودية برقم/ ٢٥٩٧)،وتغيير التنقيح / ١٢٣ .

وأما أنه لاتفويض [١] : فلأن منشأ اختيار العبد داعية تحدث في قلبه، ودواعي القلب تابعة لمشيئة الله تعالى وإرادته ، ولا دخل فيه للعبد ، ولا لمخلوق آخر . نبه على ذلك في قوله تعالى ﴿ وماتشاؤون الا أن يشاء الله﴾ [٢] ، وأشير اليه في قوله عليه السلام (قلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن) [٣] ، وهو تصوير وتمثيل ، لتمكنه تعالى منه واستقلاله فى جريه بأمره ، وحسب تصرفه وتدبيره ، من غير استقصاء وتمانع . والمعنى : ان الله تعالى هو المتمكن من قلوب العباد ، والمتسلط عليها ، والمتصرف فيها ، يصرفها كيف يشاء ، كما قال الله تعالى ﴿ فألهمها فجورها وتقويها ﴾ [٤] ، وانما تولى بنفسه أمر قلوبهم، ولم يكله الى أحدمن ملائكته ، رحمة منه وفضلا ، كى لا يطلع على سرائرهم،ولايكتب عليهم مافي ضمائرهم " [٥] .

ثم " ان أعمال العباد على ثلاثة أنواع :

فريضة ، وفضيلة ، ومعصية ، فكلها من مكاسب العبد .

فالفريضة : بأمر الله تعالى ، وبمشيئته ، ومحبته ، ورضاه ، وقضائه ،

---

(١) اى لا تفويض الى العباد فيه ، ولا ايجاد لهم عن اختيار كما قاله القدرية (اشارات المرام ص ٢٥٧) .

(٢) الانسان ٣٠ ، والتكوير ٢٩ .

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤٥/٤) في كتاب (٤٦) القدر ، باب (٣) تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ، برقم ٢٦٥٤ ولفظه : " ان قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن ... " .
والترمذى (٣٦٧/٥) في كتاب (٤٨) التفسير ، باب (٣٩) ومن سورة صٓ، برقم / ٣٢٣٤ .
وأحمد ١٦٨/٢ ، ١٧٣ .

(٤) الشمس / ٨ .

(٥) ر.في القضاء والقدر، ضمن "رسائل ابن كمال باشا" ١٧٩/١ – ١٨٠ .

وقدره ، وتخليقه ، وحكمه ، وعلمه ، وتوفيقه ، وكتابته في اللوح المحفوظ .

والفضيلة ليست بأمر الله ، ولكن بمشيئته ، ومحبته ، ورضاه ، وقضائه ، وقدره ، وتخليقه ، وحكمه ، وعلمه ، وتوفيقه ، وكتابته في اللوح المحفوظ .

والمعصية :ليست بأمر الله تعالى ، ولكن بمشيئته لا بمحبته ، وقضائه لا برضاه ، وتقديره ، وتخليقه ، وخذلانه لابتوفيقه ، وعلمه ، وكتابته في اللوح المحفوظ " .(١)

هذا هو رأى العلامة ابن كمال باشا في خلق أفعال العباد،خيرها وشرها ، حسناتها وسيئاتها ، ومنشأ اختيار العبد ، وأن الله تعالى خالق الاختيار والإرادة والمعرفة فى نفوس عباده ، فليس لأحد أن يعتذر ويتعلق بما قدر الله تعالى ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وهو الحاكم الذى لا حاكم عليه، ولا معقب لحكمه .

تعقيب

ان مذهب العلامة ابن كمال باشا في أفعال العباد أنها مخلوقة للهتعالى هو بعينه مذهب السلف ، وهو المشهور من مذاهب العلماء .

قال الامام أبوحنيفة رحمه الله تعالى فى الوصية (٢) :

" ونقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق ، فلما كان الفاعل مخلوقا فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة ، وأن الله تعالى خلق الخلق ولم يكن

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ١٤ . وقد نقل ابن الكمال هنا كلام الامام ابى حنيفة فى الوصية ص ٧٣ بشئ من التصرف يسير .
انظر فى شرح قول الامام : إشارات المرام ٢٦٤ – ٢٦٦ ، وشرح الفقه الأكبر للقارى ص ٨٣ – ٨٥ .

(٢) ص ٧٤ .أنظر في شرح كلام الامام في إشارات المرام ٢٥٢ – ٢٥٣،وشرح الفقه الاكبر للقارى ص ٧٩ .

لهم طاقة ، لأنهم ضعفاء ، عاجزون، والله تعالى خالقهم ، ورازقهم لقوله تعالى ﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ ا هـ .

وقال كذلك فى الفقه الأكبر (١) :

" وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة ، والله تعالى خالقها ، وهى كلها بمشيئته ، وعلمه ، وقضائه ، وقدره " .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

" أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها ، كما نص على ذلك سائر أئمة الاسلام ، الامام أحمد ومن قبله ومن بعده ، حتى قال بعضهم : من قال ان أفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من قال : ان السماء والأرض غير مخلوقة " (٢) .

ومن هؤلاء العلماء الذين نصوا على أن الله سبحانه هو الخالق لأفعال عباده : الامام البخارى (٣) ، والماتريدى (٤) ، والبيهقي (٥) ، والرازى (٦) ، وابن تيمية (٧) ، وابن القيم (٨) ، والتفتازاني (٩) ، وغيرهم كثيرون ...

---

(١) ص ٦٠ ضمن " الرسائل الخمس " . أنظر كذلك : شرح الفقه الأكبر للقارى ص ٧٨ - ٧٩ ، واشارات المرام للبياضي ص ٢٥٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ٤٠٦/٨ .

(٣) في خلق أفعال العباد ١٣٧ - ١٣٨ ، ١٧٧ .

(٤) في كتاب التوحيد ٢٢١ - ٢٢٦ .

(٥) في الاعتقاد والهداية ٩١ - ٩٣ .

(٦) في الأربعين ٣١٩/١ - ٣٣٢ (ط . السقا) .

(٧) فى أماكن كثيرة من كتبه مثل مجموع الفتاوى ٢٣٨/٨ ، ٣٩٤ ، ٤٦١-٤٦٢ .

(٨) في شفاء العليل ٤٩ - ٦٤ .

(٩) في شرح العقائد ١٠٤ - ١١٩ ، وشرح المقاصد ٤ / ٢١٧ - ٢٤٦ .

ويقول العلامة ابن القيم :

" فانهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات ، من الأعيان والأفعال، ومشيئته العامة ، وينزهونه أن يكون في ملكه مالايقدر عليه ، ولا هو واقع تحت مشيئته ، ويثبتون القدر السابق ، وأن العباد يعملون على ما قدره الله ، وقضاه ، وفرغ منه ، وأنه لايشاؤون الا أن يشاء الله ، ولايفعلون الا من بعد مشيئته ، وأنه " ماشاء كان ، ومالم يشأ لم يكن " ، ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه .

والقدر عندهم : قدرة الله تعالى ، وعلمه ومشيئته ، وخلقه ، فلا يتحرك ذرة فما فوقها الا بمشيئته ، وعلمه ، وقدرته ، فهم المؤمنون .ب " لاحول ولاقوة الا بالله " على الحقيقة ....

ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ...
ويثبتون مع ذلك قدرة العبد ، وإرادته واختياره ، وفعله حقيقة ، لا مجازا .

وهم متفقون على أن الفعل غير المفعول ... فحركاتهم ، واعتقاداتهم، أفعال لهم حقيقة ، وهى مفعولة لله سبحانه ، مخلوقة له حقيقة .

والذى قام بالرب عز وجل علمه ، وقدرته ، ومشيئته ، وتكوينه ، والذى قام بهم هو فعلهم ، وكسبهم ، وحركاتهم ، وسكناتهم ، فهم المسلمون المصلون القائمون ، القاعدون حقيقة ، والله سبحانه هو المقدر لهم على ذلك ، القادر عليه الذى شاءه منهم ، وخلقه لهم ، ومشيئته ، وفعله بعد مشيئته ، فما يشاؤون الا أن يشاء الله ، ومايفعلون الا أن يشاء الله ،واذا وازنت بين هذا المذهب وبين ماعداه من المذاهب وجدته هو المذهب الوسط والصراط المستقيم ، ووجدت سائر المذاهب خطوطا عن يمينه وعن شماله ، فقريب منه وبعيد وبين ذلك".(١)

---

(١) شفاء العليل / ٥٢ .

وبعد هذه المقارنة بين كلام هؤلاء الأئمة من السلف ومن سار على نهجهم يظهر موافقة العلامة ابن كمال باشا لهم فى أفعال العباد وخلقها ، والله تعالى الموفق ...

المبحث الثالث : حسن الأفعال وقبحها

ان مسألة الحسن والقبح لها ارتباط وثيق بمسألة الحكمة والتعليل.

وذلك أن من قال بالحسن والقبح العقليين قال بتعليل أفعاله عز وجل بالحكم والمصالح ، ومن نفى الحسن والقبح العقليين نفى تعليل أفعال الله عز وجل ، وقال بأنها غير معللة بالأغراض .

وقد أشار الامام ابن القيم الى هذه العلاقة الوثيقة بقوله :

" وكل من تكلم في علل الشرع ومحاسنه ، وماتضمنه من المصالح ودرء المفاسد ، فلا يمكنه ذلك الا بتقرير الحسن والقبح العقليين ، اذ لو كان حسنه وقبحه بمجرد الأمر والنهى لم يتعرض فى إثبات ذلك لغير الأمر والنهى فقط " [(١)] .

وقد رأينا من قبل أن العلامة ابن كمال باشا من الذين يقولون بتعليل أفعال الله تعالى بالحكم والمصالح ، وبالتالى لابد وأن يقول بالحسن والقبح العقليين في الأفعال .

ومعنى الحسن عند المتكلمين : " كون الشىء متعلق المدح عاجلا، والثواب آجلا ، ويقابله .

القبح بمعنى : كونه متعلق الذم عاجلا ، والعقاب آجلا .

ولهما معنيان آخران ، لاخلاف فى ثبوتهما عقلا .

أحدهما : كون الشىء ملائما للطبع ، وكونه منافرا له .

والثاني : كونه صفة كمال ، وكونه صفة نقصان " [(٢)] .

---

(١) ابن القيم : مفتاح دار السعادة ٢ / ٤٢ .

(٢) ابن كمال باشا : تغيير التنقيح / ١١٥ . انظر فى معناهما : الرازى، الأربعين ٣٤٦/١، التفتازاني : شرح المقاصد٢٨٣/٤، وشرح العقائد ١١٩ ، ابن ابى شريف : المسامرة / ١٥١ .

وذهب العلامة ابن كمال باشا ـ بعد تحديد معنى الحسن والقبح ، ومحل النزاع فيهما ـ الى أن العقل يدرك حسن بعض الأفعال دون بعض .

ومن الأفعال التى يدرك العقل حسنها معرفة الله تعالى، والايمان به وتعظيمه ، وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو معنى شكر المنعم عنده ، فعند ابن كمال باشا ـ وكذلك عند عامة مشايخ سمرقند ـ يجب الايمان بالله تعالى ، ولو لم يُبعَث رسول كما سبق تفصيله في الفصل الأول من الباب .

وكذلك يدرك قبح بعض الأفعال مثل الكذب الضار .

وأما أكثر أحكام الشرع فطريق معرفة حسنها أو قبحها الى الشرع[(١)] كما هو عند الماتريدية ،ونقل ابن كمال باشا عن الامام علاء الدين السمرقندى (ت ٥٣٩) قوله (في الميزان /١٧٧) نقل قبول وارتضاء :" وعندنا : لما كان للعقل حظ فى معرفة حسن بعض المشروعات ، كالإيمان وأصل العبادات ، كان الأمر دليلا ومعرفا لما ثبت حسنه فى العقل ، وموجبا لما لم يعرف به "[(٢)] .

فبذلك اتفق مع المعتزلة فى القول بالحسن والقبح العقليين الذاتيين في الأفعال ، وخالف الأشاعرة الذين ينفونهما[(٣)] .

الا أن هناك فرقا بين قول ابن كمال باشا ـ والماتريدية القائلين بذلك ـ وبين رأى المعتزلة :

فالعقل عند المعتزلة حاكم بالحسن والقبح مطلقا ، اما على الله تعالى ، فلأن الأصلح واجب على الله تعالى بالعقل ، فيكون تركه حراما على الله تعالى ،

---

(١) أنظر : ابن كمال باشا : تغيير التنقيح ١١٦ ـ ١١٧ .

(٢) ابن كمال باشا :تغيير التنقيح ص ١١٥ مع تصرف في نقله عن السمرقندى .

(٣) انظر: ابن كمال باشا :تغيير التنقيح /١١٦، وكذلك شرح الأصول الخمسة ، ٣٠١،٨٨،٧٦ ، ٣١٣ ، التفتازاني :شرح المقاصد ٤/ ٢٨٢ ـ٢٨٣ .

- والحكم بالوجوب والحرمة يكون حكما بالحسن والقبح ضرورة - ، واما على العباد ، فلأن العقل عندهم يوجب الأفعال ، ويبيحها ويحرمها ، من غير أن يحكم الله تعالى فيها بشيء من ذلك .

وأما عند ابن كمال باشا - والماتريدية - فإن الحاكم بالحسن والقبح هو الله تعالى ، وهو متعال عن أن يحكم عليه غيره ، وعن أن يجب عليه شيء، وهو خالق أفعال العباد ، الا أن العقل قد يعرفهما بخلق الله تعالى العلم بهما، وقد لايعرفان الا بالشرع ، كأكثر أحكام الشرع .(١)

وبذلك يكون العلامة ابن كمال باشا - وكذلك الماتريدية - قد نفى وجوب ما أوجبه المعتزلة على الله تعالى ، تفريعا على قولهم بالحسن والقبح العقليين من القول بوجوب الصلاح والأصلح عليه ، ووجوب الرزق ، والثواب على الطاعة ، والعقاب على المعصية ، والعوض في إيلام الأطفال والبهائم ، ذلك لأنه والحنفية منعوا كون مقابلات هذه الأمور مخالفة للحكمة ، بل قالوا:"ما ورد بالسمع من وعد الرزق، والثواب على الطاعة ، وألم المؤمن وطفله ، حتى الشوكة يشاكها ، محض فضل منه تعالى ، دون وجوب عليه عز وجل ، لابد من وجوده لوعده الصادق " (٢) .

تعقيب

إن مذهب العلامة ابن كمال باشا بخاصة والماتريدية بعامة يوافق مذهب السلف فى القول بأن الحسن والقبح ثابتان للأفعال فى أنفسها ، وفي القول

---

(١) انظر : ابن كمال باشا : تغيير التنقيح / ١١٧ . انظر كذلك : ابن ابى شريف : المسامرة ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) ابن ابى شريف : المسامرة مع المسايرة ص ١٥٥ - ١٥٦ بشيء من التصرف يسير .

بإدراك العقل للحسن والقبح في بعض هذه الأفعال ، إلا أن مذهبه يخالف مذهب السلف فى القول بوجوب الفعل وحرمته بمعنى استحقاق الفاعل الثواب والعقاب قبل ورود الشرع ، لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ [١] ،فالثواب والعقاب عندهم متوقف على بعثة الرسل ،ففارق بذلك مذهبه مذهب السلف رضى الله عنهم .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله :

" وتحقيق القول في هذا الأصل العظيم أن القبح ثابت فى الفعل في نفسه ، وأنه لا يعذب الله عليه الا بعد إقامة الحجة بالرسالة " [٢] .

ويقول أيضا : " والحق الذى لايجد التناقض اليه السبيل ...أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة ، كما أنها نافعة وضارة،والفرق بينهما كالفرق بين المطعومات والمشمومات والمرئيات،ولكن لايترتب عليها ثواب ولا عقاب الا بالأمر والنهى ، وقبل ورود الأمر والنهى لايكون قبيحا موجبا للعقاب ، مع قبحه في نفسه ، بل هو في غاية القبح ، والله لايعاقب عليه الا بعد إرسال الرسل، فالسجود للشيطان ، والأوثان ، والكذب ، والزنا ،والظلم ، والفواحش كلها قبيحة في ذاتها ، والعقاب عليها مشروط بالشرع " [٣] .

---

(١) الاسراء / ١٥ .

(٢) ابن القيم : مفتاح دار السعادة ٢ /٧ .

(٣) ابن القيم : مدارج السالكين ١ /٢٣١ .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

" الناس في مسألة التحسين والتقبيح على ثلاثة أقول :

طرفان ، ووسط .

الطرف الواحد : قول من يقول بالحسن والقبح ، ويجعل ذلك صفات ذاتية للفعل ، لازمة له ، ولا يجعل الشرع الا كاشفا عن تلك الصفات ، لاسببا لشيء من الصفات ، فهذا قول المعتزلة ، وهو ضعيف ...

وأما الطرف الآخر : في مسألة التحسين والتقبيح ، فهو قول من يقول: إن الافعال لم تشتمل على صفات هي أحكام ، ولا على صفات هي علل للأحكام ، بل القادر أمر بأحد المتماثلين دون الآخر ، لمحض الارادة ، لا لحكمة ولا لرعاية مصلحة في الخلق والأمر ...

فهذا القول ولوازمه أيضا قول ضعيف ، مخالف للكتاب والسنة ، ولاجماع السلف والفقهاء ، مع مخالفته أيضا للمعقول الصريح " ...

ثم يقول : " وقد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :

أحدها : أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة أو مفسدة ، ولو لم يرد الشرع بذلك ، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم ، والظلم يشتمل على فسادهم ، فهذا النوع هو حسن وقبيح ، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك ، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن ، لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة ، اذا لم يرد شرع بذلك ، وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح ، فانهم قالوا : ان العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ، ولو لم يبعث اليهم رسولا ، وهذا خلاف النص ، قال تعالى ﴿ وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (١) ... وقال تعالى : ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها

---

(١) الاسراء / ١٥ .

رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون ﴾ (١) ...

والنصوص الدالة على أن الله لا يعذب الا بعد الرسالة كثيرة ، ترد على من قال من أهل التحسين والتقبيح : ان الخلق يعذبون في الأرض بدون رسول أرسل اليهم .

النوع الثاني : أن الشارع اذا أمر بشيء صار حسنا ، واذا نهى عن شيء صار قبيحا ، وأكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع .

والنوع الثالث : أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد ، هل يطيعه ، أم يعصيه ، ولا يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر ابراهيم بذبح ابنه ، فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ، ففداه بالذبح ، وكذلك حديث أبرص وأقرع وأعمى ، لما بعث الله اليهم من سألهم الصدقة ، فلما أجاب الأعمى ، قال الملك : أمسك عليك مالك ، فانما أبتليتم ، فرضى عنك ، وسخط على صاحبيك (٢) ..

فالحكمة منشأها من نفس الأمر ، لامن نفس المأموربه ، وهذا النوع والذى قبله لم يفهمه المعتزلة ، وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون الا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشارع . والأشعرية ادعوا : أن جميع الشريعة من قسم الامتحان ، وأن الأفعال ليست لها صفة ، لا قبل الشرع ولا بالشرع .

وأما الحكماء والجمهور فاثبتوا الأقسام الثلاثة ، وهو

---

(١) القصص / ٥٩ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى (٦ / ٥٠٠ - ٥٠١) فى كتاب (٦٠) الأنبياء ، باب (٥١)
حديث أبرص وأعمى وأقرع فى بنى اسرائيل برقم / ٣٤٦٤ .
ومسلم (٤ / ٢٢٧٥) في كتاب (٥٣) الزهد والرقائق ، رقم الحديث / ٢٩٦٤ .

الصـــواب " .(١)

وأما إطلاق القول في مسألة التحسين والتقبيح بأنهما عقليان، أو شرعيان ، غير صحيح ، والصواب في هذه المسألة هو التفصيل الذى ذكره شيخ الاسلام ، وكذلك تلميذه الامام ابن القيم رحمهما الله تعالى ...

---

(١) مجموع الفتاوى ٨ / ٤٣١ - ٤٣٦ . انظر في الأقسام الثلاثة : ابن القيم : مدارج السالكين ٢٣١ - ٢٣٧ ، وفى مذاهب الناس فى التحسين والتقبيح : ابن تيمية : منهاج السنة ٤٤٨/١ - ٤٥١ ، والجواب الصحيح ٣١١/١ - ٣١٢ .

المبحث الرابع : القضاء والقدر :

يرى العلامة ابن كمال باشا أن أصل القضاء فى اللغة : الإحكام والاتمام.

قال تعالى : ﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ (١) ، قال في تفسيره : " أصل القضاء : الإحكام والإتمام، وانما قال (الى بنى اسرائيل) لتضمين معنى الانزال ، أى أعلمنا اعلاما محكما متمما منزلا اليهم فى التوراة..." (٢) .

ويأتي بمعنى : أمر ، قال الله تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ﴾ (٣) أى أمر أمرا مقطوعا به (٤) .

ويأتي بمعنى : حكم ، قال تعالى ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (٥) أى مما حكمت به ، أو من حكمك (٦) .

ويأتي بمعنى : أراد ، وهو قريب من معنى حكم ، قال الله تعالى ﴿ واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ﴾ (٧) .

وأما معنى القدر فى اللغة :

" يقال : قدَرت الشىء ، أقدِره وأقدُره ، قدرا ، وقدّرته

---

(١) الاسراء / ٤ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٤١٣ أ ، أنظر هذا المعنى أيضا : ٩٩/١(الحرم المكى) .

(٣) الاسراء / ٢٣ .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ٤١٥ أ .

(٥) النساء / ٦٥ .

(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٠٣/١ (الحرم المكى) .

(٧) البقرة / ١١٧ ، آل عمران / ٤٧ ، مريم / ٣٥ .

تقديرا [1] ، فهو قَدْرٌ ، أى مقدر ، كما يقال : هدمت البناء ، فهو هَدْمٌ ، أى مهدوم. وهو في الأصل مصدر .

والقدر والتقدير : تبين كمية الشيء " [2] .

وأما القضاء اصطلاحا :فهو " تعلق الارادة الإلهية بوجود الشيء من حيث إنه يوجبه " [3] .

وأما القدر اصطلاحا : فـ"هو مايقدره الله تعالى من القضاء" [4] وعرفه في تفسيره بقوله : هو : " تحديد كل شيء وتقديره على ماهو أولى به . قال تعالى ﴿ انا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ [5] " [6] .

وقيل القضاء : انفاذ المقدر [7] .

وقد ألف العلامة ابن كمال باشا لتجلية مسألة القضاء والقدر رسالة مستقلة ، يقول فى مقدمتها :

" فان مسألة الجبر والقدر من مهمات المسائل ، وأمهات الأصول ، وقد زل في مبادئها أقدام الأفهام ، وضل فى بواديها عقول الفحول . وأنا أريد أن أحقق فيها – بعون الحق وتوفيقه – ما يوافق المعقول ، ويطابق المنقول :

فنقول : ان الله جل وعلا بقدم علمه المتعلق بالأشياء تعلقا عاريا عن النسبة الى الزمان ، وتقديره على وفق علمه المنزه عن تطرق الحدثان ، وموجب

---

(١) انظر كذلك : الزمخشري : أساس البلاغة / ٣٥٧ ، والفيومى : مصباح المنير/ ٤٩٢ .

(٢) ابن كمال باشا:رسالةفي القضاء والقدر(ضمن رسائله) ١٨٢/١.

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٩٩/١ (الحرم المكى) .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة في القضاءوالقدر(ضمن رسائله) ١٨٢/١ .

(٥) القمر/ ٤٩ .

(٦) ابن كمال باشا: رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ١٩٣ ب .

(٧) المناوى : التوقيف على مهمات التعاريف / ٥٨٤ .

إرادته المرجحة لها إبرازا حسب العلم الشامل ، والتقدير الكامل ، وقدرته المؤثرة التى تفيض عنها مارجحته الارادة من وجود الماهيات ، وكمالاتها في الأعيان ، أوجد الأشياء مرتبة ترتيبا حكيما ، لا يتحول عن ذلك الترتيب ، لعدم التحول والتبدل فى العلم والتقدير، لا لأنه لاقدرة له تعالى على التحويل والتبديل ، والا يلزم خروج بعض الممكنات عن حيز قدرته تعالى ، وذلك عجزتعالى شأنه " [١] .

ثم ان " الثابت عندنا أن ما علم الله تعالى عدم وقوعه لا يقع البتة . وأما أن ذلك بسبب علمه تعالى وتقديره فلم يثبت .

بل نقول : عندنا مايدل على خلافه ، وهو أن التقدير تابع للعلم ، والعلم تابع للمعلوم ، وشأن التابع أن لايؤثر فى المتبوع ، لا إيجابا ولا منعا ، والا ينعكس أمر الأصالة والتبعية .

وتوضيح ذلك : أنه تعالى علم موت أبي جهل - مثلا - على الكفر، وقدره ، لأنه مات على الكفر في الواقع ، لا لأنه مات على الكفر فى الواقع لأنه علم موته على الكفر وقدره" [٢] .

ان تقديره تعالى ليس إلزاميا ، وإنما هو على وفق علمه الأزلى الشامل للأمور كلها :

" واذا تقرر أن علمه تعالى وتقديره لايُخرِج أحد طرفي الممكن عن حد الامكان وحيز القدرة ، فالعبد غير مجبور على أفعاله التى يكسبها ، وغير مضطر في الأعمال التي يباشرها بسبب علمه تعالى وتقديره ، كما زعمه المجبرة ،

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة فى القضاء والقدر (ضمن رسائل ابن كمال باشا) ١٥٨/١ - ١٥٩ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى القضاء والقدر (ضمن رسائل ابن كمال باشا) ١٦٠/١، وكذلك : تفسيره ٢٥٣/١ (الحرم المكى) .

وتبعهم من تبعهم بلا تدبر ، كالامام البيضاوى ، حيث قال في تفسير قوله تعالى ﴿ وماكان أكثرهم مؤمنين ﴾ من سورة الشعراء [١] : في علم الله وقضائه ، فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام " [٢] .

وفي قوله تعالى" ﴿ لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولايطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ﴾ [٣] ، وفي قوله تعالى ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء ﴾ [٤] دلالة على أن التقدير ليس بملزم ، فانه لو كان مايصيب كل شخص من الخير والشر مقدرا ، بحيث لايحتمل الزيادة والنقصان لما كان للتعليق المذكور وجه صحة .

وتفصيل ذلك : أنه لو كان للتقدير تأثير يجعل المقدر على حد معين خيرا كان أو شرا حتما مقضيا ، لم يكن بد من حصول المقدر لمن قُدِّر له نفعا كان أو ضرا ، ووصوله اليه مكروها كان أو مرضيا ، فيلزم من ذلك أن لايكون لقدرة العبد واختياره مدخل فى جلب نفعه ودفع ضره ، عالما كان بأسبابهما أو جاهلا، واللازم منتف بما دل عليه النص المذكور من تفاوت الحال بالعلم والجهل " [٥] .

ويرى أنه لايجوز الاعتذار عن الذنب بالتقدير ، لأن التقدير على وفق الواقع :

يقول :" واذا تحققت أن التقدير الأزلى لايلجئنا الى مافعلناه من الخير والشر ،ولايضطرنا الى ماعملناه من الطاعة والمعصية فقد عرفت يقينا أنه

---

(١) الآية / ٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠ .

(٢) ابن كمال باشا : ر . في القضاء والقدر ١ / ١٦٤ - ١٦٥ .

(٣) التوبة / ١٢٠ .

(٤) الاعراف / ١٨٨ .

(٥) ابن كمال باشا : رسالة في القضاء والقدر ١ / ١٦٦ .

لا مساغ للاعتذار عن الذنب الصادر عنا بالاختيار والرضا ، بأن يقال : إنه كان مكتوبا علينا في الأزل فلا نستحق اللوم والتبعة في العمل "[١].

وقد سبق أن أشرنا الى تفسيره قول الامام محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم : " لا جبر ولا تفويض " في خلق أفعال العباد ، فلا نعيده هنا مرة أخرى .

وأما الايمان بالقضاء والقدر فهو ركن من أركان العقيدة الاسلامية ، وهو الركن السادس للايمان ، يقول :

و" أن تؤمن بأن تقدير الخير والشر من الله تعالى ، والخير بقضائه ، وقدره ، ورضاه ، ومحبته ، والشر بتقديره ، ولكن لايرضاه ، والعباد يثابون باختيار الخير ، ويعاقبون باختيار الشر "[٢].

تعقيب

ان ماذهب اليه العلامة ابن كمال باشا وحققه فى مسألة القضاء والقدر يوافق ماذهب اليه السلف .

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى :

" ان الله تعالى علم الأمور ، وكتبها على ماهى عليه ، فهو سبحانه قد كتب : أن فلانا يؤمن ويعمل صالحا فيدخل الجنة ، وفلانا يفسق ويعص فيدخل

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة فى القضاء والقدر ١٧١/١ .

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ﴾ (المؤمنون /١٠٦)عن الحق والصواب ، وليس هذا باعتذار، بل هو اعتراف منهم بسوء الصنيع ، ولاصحة لماقيل: غلبت علينا ماكتب علينامن الشقاوة ، لأنه إنما يكتب مايفعل العبد ومايعلم أنه يختاره ، والعلم تابع للمعلوم، لا العكس ، فلا يكون مغلوبا ومضطرا فى الفعل بسبب التقدير الأزلي" (تفسيره /٤٩٦ ب).

(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى تفصيل الإيمان / ١٣ أ .

النـار ، كما علم وكتب أن فلانا يتزوج امرأة ويطؤها فيأتيه ولد ، وأن فلانا يأكل ويشرب فيشبع ويروى ، وأن فلانا يبذر البذر فينبت الزرع ، فمن قال : إن كنتُ من أهل الجنة فأنا أدخلها بلا عمل صالح ، كان قوله قولا باطلا متناقضا لما علمه الله وقدره ... فمن ظن أنه يدخل الجنة بلا إيمان ، كان ظنه باطلا ، واذا اعتقد أن الأعمال التى أمر الله بها لايحتاج إليها ، ولا فرق بين أن يعملها ، أو لا يعملها ، كان كافرا ، والله قد حرم الجنة الا على أصحابها" [(١)] .

ويقول كذلك :

" مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق كل شىء، وربه ومليكه، لارب غيره ، ولا خالق سواه ، ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، وهو على كل شىء قدير ، وبكل شىء عليم ، والعبد مأمور بطاعة الله ، وطاعة رسوله ، منهى عن معصية الله ، ومعصية رسوله ، فإن أطاع كان ذلك نعمة ، وإن عصى كان مستحقا للذم والعقاب ، وكان لله عليه الحجة البالغة ، ولا حجة لأحد على الله تعالى، وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ، ومشيئته وقدرته ، لكن يحب الطاعات ، ويأمر بها ، ويثيب أهلها على فعلها ، ويكرمهم ، ويبغض المعصية ، وينهى عنها ، ويعاقب أهلها ، ويهينهم .

ومايصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه،ومايصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه ، كما قال تعالى ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ [(٢)] ، وقال تعالى ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ [(٣)] ، أى ما آصابك من خصب ونصر ، وهدى،فالله أنعم به عليك ، وما أصابك من حزن ، وذل ، وشر فبذنوبك وخطاياك ، وكل الأشياء كائنة بمشيئة الله وقدرته ، وخلقه ، فلابد

---

(١) ابن تيمية : رسالة القضاء والقدر (ضمن المجموعة الكبرى) ٢/٩٢.

(٢) الشورى / ٣٠ .

(٣) النساء / ٧٩ .

أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره ، وأن يوقن العبد بشرع الله وأمره "[١] .

إن الايمان بالقدر على أربع درجات عند أهل السنة ، وفي بيان ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

" والايمان بالقدر على درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذى هو موصوف به أزلا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال .

ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق : (فأول ماخلق الله القلم، قال له : اكتب . قال : ماكتب ؟ قال : اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة)[٢] .
فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه ، وماأخطأه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام، وطويت الصحف ، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾[٣] . وقال ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير﴾[٤]....

وأما الدرجة الثانية : فهو مشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ، وهو الايمان بأن ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وأنه مافي السماوات من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه ، لايكون فى ملكه الا مايريد،وأنه سبحانه وتعالى على كل شئ قدير ، من الموجودات والمعدومات .

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٦٣/٨ - ٦٤ .

(٢) أخرجه أبوداود (٧٦/٥) في كتاب (٣٤) السنة ، باب (١٧) في القدر ، رقم الحديث / ٤٧٠٠ .
والترمذى (٤٥٨/٤) في كتاب (٣٣) القدر ، باب (١٧) ، رقم الحديث / ٢١٥٥ .
وأحمد في المسند ٥/ ٣١٧ .

(٣) الحج / ٧٠ .

(٤) الحديد / ٢٢ .

فما من مخلوق فى الأرض ولا في السماء الا الله خالقه سبحانه ، لاخالق غيره ، ولا رب سواه .

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ، ونهاهم عن معصيته .

وهو سبحانه يحب المتقين ، والمحسنين ، والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولايرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد .

والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن، الكافر ، والبر ، والفاجر ، والمصلي والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ،ولهم ارادة،والله خالقهم ، وخالق قدرتهم وإرادتهم ، كما قال تعالى: ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم . وماتشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ (١) " (٢).

فالايمان بالقدر اذاً أربع مراتب :

١ - علم الرب سبحانه بالاشياء قبل كونها ، وعلمه بأفعال العباد قبل أن يعملوها ،

٢ - كتابة ذلك فى اللوح المحفوظ ،

٣ - مشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ،

٤ - إيجاد الله لكل المخلوقات ، وأنه الخالق ، وكل ماسواه مخلوق (٣).

---

(١) التكوير / ٢٨ - ٢٩ .

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٣ / ١٤٨ - ١٥٠ . أنظر كذلك : ابن القيم : شفاء العليل ٢٩ - ٦٥ .

(٣) انظر:ابن القيم : شفاء العليل ٢٩ ، د.ياسين : كتاب الايمان ص ١٣٣ .

فالعلامة ابن كمال باشا يثبت هذه المراتب كلها ، من العلم ، والكتابة ، وعموم المشيئة ، والخلق ، كما سبق بيان ذلك .

هذا ، ومما ذكرنا من النصوص يظهر لنا أن العلامة ابن الكمال في القضاء والقدر موافق لرأى أهل السنة والجماعة ، وأن مذهبه فيهما مذهب السلف رضى الله عنهم ...

المبحث الخامس : رؤية الله تعالى

أ ـ رؤية الله تعالى فى الآخرة

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن رؤية الله تعالى بالأبصار فى الآخرة جائزة عقلا ، وواجبة سمعا ٠

قال : " إن رؤية الله تعالى جائزة بالأبصار عقلا ، ان كل موجود جائز الرؤية ، لأن جواز الرؤية يدور مع الوجود وجودا وعدما ، والله تعالى موجود، فيجوز أن يرى ٠ (١)

مع أن السمع قد ورد بايجاب رؤية المؤمنين الله تعالى فى دار الآخرة، نحو قوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾ (٢) ، وقوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ (٣) ٠ قيل : هى رؤية الله تعالى ، هكذا بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسر هذه الزيادة برؤية الله تعالى " (٤) ٠

وأكد هذا المعنى فى رسالة "إشارات لطيفة " (٥) له مع ذكر دليل عقلي آخر حيث قال :

---

(١) انظر في استدلال الأشاعرة والماتريدية بدليل الوجود على جواز الرؤية : الأشعرى : الابانة ٥١ – ٥٢، الغزالي : الاقتصاد ص ٤١ ، الرازى : الأربعين ٢٦٨/١ – ٢٧٧ ووجه عليه اثنا عشر سؤالا لتضعيفه ، التفتازاني : شرح المقاصد ١٨٨/٤ – ١٩١ ، الجرجاني : شرح المواقف /٥٠٦ ، الصابوني: البداية ٤١، النسفي : التمهيد ٢٢١ – ٢٢٣ ٠

(٢) القيامة / ٢٢ – ٢٣ ٠

(٣) يونس / ٢٦ ٠

(٤) ابن كمال باشا : رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ق / ١٩١ أ ٠

(٥) ١٩٤ ب – ١٩٥ أ ٠

" رؤية الله تعالى جائزة عقلا ، وواجبة للمؤمنين في دار الآخرة ، لأن الله تعالى راء لذاته ، فذاته قابل لرؤيته ، وكل مايكون قابلا لشئ في صورة يكون قابلا لذلك الشئ مطلقا ، اذ القابلية عبارة عن الامكان ، فذاته قابل للرؤية مطلقا .(١)

على أن الله تعالى قال ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾ " .

ومن الأدلة على جواز رؤية الله تعالى في الآخرة قوله تعالى ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك ، قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ... ﴾(٢) استدل به العلامة ابن كمال باشا على جواز الرؤية حيث قال فى تفسيره(٣) :

" وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة فى الجملة ، لأن طلب المستحيل على الأنبياء محال ، وخصوصا مايتعلق بمعرفة الله تعالى ، و (ما) يقتضي الجهل به .

ورده بقوله ﴿ لن تراني ﴾ ليس لامتناع رؤيته تعالى فى نفس الأمر والا لقال " لن أر " بل لقصور الطالب عن رؤيته لبقية الحجاب ، فهى موقوفة على ارتفاعه ...

والاستدلال على استحالتها بالجواب أبعد عن الصواب ، اذ لا دلالة فيه على أن لايراه عليه السلام أبدا ، ولا على أن لايراه غيره أصلا ، فضلا عن أن يدل على استحالتها ، ودعوى الضرورة فيه مكابرة ، أو جهالة بحقيقة الرؤية ....

---

(١) انظر في هذا الدليل : الأشعرى : الإبانة ٥٢ - ٥٣ الشهرستاني : نهاية الإقدام ص ٣٥٨ ، د. الحمد : رؤية الله تعالى ص ١١٨ - ١٢١ .

(٢) الاعراف / ١٤٣ .

(٣) ٢٥٤ ب - ٢٥٥ أ . (وفي نسخة بنى جامع ١ / ٢٠٥ أ - ب) .

(قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل) استدراك ، يريد أن يبين به أنه لايطيقه ، فان الجبل مع شدته وصلابته اذا لم يستقر ، فالآدمي مع ضعف بنيته أولى أن لايستقر ، وهذا تسكين لقلب موسى عليه السلام ، وتخفيف عنه ثقل أعباء المنع.

ولا يذهب على من نظر بعين الانصاف ، وتجنب عن التعصب والاعتساف [١] أنه ليس بجواب من سأل محالا ، وقد قال الله تعالى لنوح عليه السلام ﴿ فلا تسألن ماليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ [٢] ، فلو سأل موسى عليه السلام محالا لكان في الجواب زجر ما .

(فان استقر مكانه فسوف تراني) بعد رفع الموانع من البين ، علق رؤيته بالاستقرار ، وهو أمر ممكن في نفس الأمر ، ففهم منه أنه ممكن فى نفسه لكن المانع من جهته على مادل عليه قوله تعالى ﴿ ماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ﴾ [٣] حيث قال :
" ما كان لبشر " ، ولم يقل : " ماكان له تعالى " ، أتى بالتعليق ، ثم التسويف مبالغة فى تعذر المطلب .

أما التعليق فلبيان أن الطاقة البشرية لاتتحمل رؤيته تعالى .

وأما التسويف فلبيان أنه على تقدير التحمل لابد من ارتفاع موانع ، زوالها تدريجي يقتضي مهلة ومدة .

(فلما تجلى ربه للجبل) أى ظهر له ظهور المرئى للرائي ، بأن خلق الله تعالى فيه حياة وحسا ، وهذا المعنى هو المروى عن ابن عباس رضى الله عنهم ، وهو الموافق لمساق الكلام ، المطابق لأصل أهل السنة

---

(١) يقصد به الزمخشرى المعتزلي في تفسيره الكشاف ٨٩/٢ – ٩٠

(٢) هود / ٤٦ .

(٣) الشورى / ٥١ .

والجماعة [1]، ومن صرفه عن الظاهر فقد دس فيه مذهب الاعتزال [2] " ا هـ .

ومن الأدلة التى استدل بها ابن كمال باشا على جواز الرؤية قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ [3] حيث ذكر من معانيها : النظر الى وجهه الكريم ، ورد على الزمخشرى المعتزلي فى إنكاره الحديث الوارد بذلك وتحريفه إياه ، قال :

" وقيل : الحسنى الجنة ، وزيادة : النظر الى وجه الله تعالى .

ومن غلاة أصحاب الضلال من قال [4] : " زعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر الى وجه الله تعالى ، وجاءت بحديث مرقوع : اذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة ، فيكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب اليهم منه " .

قوله : مرقوع ، صح بالقاف عنده ، ومعناه : مرقوع مفترى .

وأما عند أهل الحق فقد صح بالفاء .

رواه أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، وأبو موسى الأشعرى ، وحذيفة ، وابن

---

(١) قال الدكتور أحمد بن ناصر الحمد في كتابه " رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها " (ص/ ٩٠) : " لايمتنع أن يخلق الله تعالى فى ذات الجبل الحياة والعقل والفهم وسائر مايتصف به الحى ، ثم يخلق فيه رؤية متعلقة بذاته تعالى حين تجلى له ، ويؤيد هذا أنه تعالى قال ﴿ ياجبال أوبي معه والطير ﴾ (سبأ/١٠) ، وكونه مخاطبا بهذا الخطاب مشروط بحصول الحياة والعقل ، ونحتج لهذا بتسبيح الحصى بيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسلام الحجر عليه ، وغير ذلك ، وهو ليس بغريب ، والله أعلم " (أنظر في ذلك ايضا : شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٧ ، والبداية للصابوني ص ٣٩) .

(٢) ويقصد به الزمخشرى المعتزلي حيث قال فى الكشاف (٩١/٢) في تفسيره : "فلما ظهر له اقتداره ، وتصدى له أمره وارادته " .

(٣) يونس / ٢٦ .

(٤) وهو الزمخشرى ، انظر قوله في الكشاف ١٨٨/٢ .

عباس ، وعكرمه ، وقتاده ، والضحاك ، وابن أبى ليلى ، ومقاتل .[١]

أورده مسلم في صحيحه عن صهيب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .[٢]

وأورده البخارى في صحيحه بلا اسناد .[٣]

وصححه أحمد بن حنبل[٤] ، والترمذى[٥] ، وابن ماجه[٦] .

فالحديث متفق على صحته ، وذلك المتعصب طعن في الحديث الصحيح ، والخبر الحق الصريح ، ترويجا لاعتقاده الفاسد، وتصحيحا لمذهبه الباطل ، وصحف المرفوع فجعله مرقوعا يرقع به مذهبه المخروق ، هيهات اتسع الخرق على الراقع ،والحق الواقع ماله من دافع " .[٧]

---

(١) انظر في رواياتهم : البيهقي : الاعتقاد ٧٧ – ٧٨ ، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣٣٠/٨ – ٣٣١، ابن القيم : حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ٢٢٧ –٢٣٠، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤٩٧ – ٤٩٨ ، ابن خزيمه : كتاب التوحيد ١٨٠ – ١٨٤ ، ابن حجر: الكافي الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف /٨٤، الآلوسي : روح المعاني ١٠٢/١١ – ١٠٣ ، ابن أبى العز : شرح الطحاوية /٢٠٦.

(٢) مسلم (١٦٣/١) في كتاب (١) الايمان، باب (٨٠) اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، رقم (١٨١) .

(٣) فتح البارى ٣٤٥/٨ ، ٣٤٧ .

(٤) في المسند ٣٣٢/٤ ، ١٥/٦ – ١٦ .

(٥) في السنن (٦٨٧/٤) في كتاب (٣٩) صفة الجنة ، باب (١٦) ماجاء فى رؤية الرب ، رقم / ٢٥٥٢ .

وفي (٢٨٦/٥) كتاب (٤٨) التفسير ، باب (١١) ومن سورة يونس ، /٣١٠٥.

(٦) في السنن (٦٧/١) في المقدمة ، باب (١٣) فيما أنكرت الجهمية ، رقم/١٨٧. وكذلك الدارقطني فى الرؤية رقم ٢٥١– ٢٥٥ ، والبيهقي فى الاعتقاد ص ٧٧ .

(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ٣١٥ ب .

ومن الأدلة النقلية التى استدل بها ابن كمال باشا على جواز الرؤية قوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ (١) ، حيث قال في تفسيره :

" فلا متمسك فيه لمن أنكر الرؤية ، وأما الجواب عنه بتخصص الحكم ببعض الأوقات ، أو ببعض الأشخاص فلا يتحمله الكلام " (٢) .

هذا ولم يبين ابن كمال باشا وجه الاستدلال بالآية على جواز أو وقوع الرؤية ، وانما اكتفى بالاشارة المذكورة .

وفي بيان وجه الاستدلال بالآية يقول الامام ابن أبى العز :

" فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف ، وهو أن الله تعالى إنما ذكرها فى سياق التمدح ، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال ، فلا يمدح به ، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفى اذا تضمن أمرا وجوديا ، كمدحه بنفي السنة والنوم ، المتضمن كمال القيومية ،ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ...

فان المعنى : أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به ، فقوله (لاتدركه الأبصار) يدل على كمال عظمته ، وأنه أكبر من كل شىء ، وأنه لكمال عظمته لايدرك بحيث يحاط به ، فان " الادراك " هو الاحاطة بالشىء ، وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى ﴿ فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون ، قال كلا ﴾ (٣) ، فلم ينفه موسى الرؤية ، وإنما نفى الادراك ، فالرؤية والادراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به علما ، وهذا هو الذى فهمه الصحابة والأئمة من الآية .....

---

(١) الأنعام / ١٠٣ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١ /٣٨٨ (الحرم المكى) .

(٣) الشعراء / ٦١ - ٦٢ .

بل هذه الشمس المخلوقة لايتمكن رائيهـا من إدراكها على ماهى عليه " (١) •

ب ـ روّية الله تعالى فى المنام:

سئل الامام ابن كمال باشا عن روّية الله تعالى فى المنام :

فأجاب بأن هذه مسألة اختلف فيها العلماء ، الا أن الخلاف غير متصور بعد الكشف عن حقيقة هذه المسألة (٢) •

فقال مشايخ سمرقند : روّية الله تعالى فى المنام باطلة لاتكـون ، لأن مايرى فى المنام لايكون عين المرئي ، بل هو خيال ، والله منزه عن ذلك•

حتى قال الامام أبو منصور الماتريدى فيمن قال بأني رأيت الله : هـذا الرجل شر من عابد الوثن (٣) •

وذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن اطلاق القول بأن روّية الله تعالـى في المنام جائزة، وذلك مثل إطلاق القول بروّية الرسول صلى الله عليه وسلـم ، اذ روّية الله تعالى فى المنام مثل روّية النبى صلى الله عليه وسلم فيه• فان من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام رأى مثال روحه الشريفة ، لا ذاته ، بواسطة مثال صادق ، ذى شكل ولون وصورة •

---

(١) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ انظر كذلك : ابن القيم : حادى الأرواح ٢٢٧ ـ ٢٣٠ ، التفتازاني : شرح المقاصد ٤ / ٢٠٣ ـ ٢٠٥ ، الجرجاني : شرح المواقف ص ٥١٣ ، الآلوسي: روح المعاني ٧ / ٢٤٥ ـ ٢٤٧ ، الحمد : روّية الله تعالى ٩٢ ـ ٩٥ ، ١٣١ـ ١٣٣ •

(٢) انظر : ابن كمال باشا : رسالة فى روّية الله تعالىفي المنام ص٦ •

(٣) انظر : ابن كمال باشا : رسالة في روّية الله تعالى فى المنام ص٦ • وكذلك : القارى : شرح الفقه الأكبر ١٢١ ـ ١٢٢ ، ١٨٦ ـ ١٨٧ ، البياضي: إشارات المرام ٢٠٩ ـ ٢١٠ •

ومثل ذلك من يرى الله تعالى فى المنام ، فان ذاته منزهة عن الشكل والصورة ،ولكن تنتهى تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أوغيره من الصور الجميلة ، ويكون ذلك المثال صادقا فى كونه واسطة في التعريف، فيقول الرائي : رأيت الله تعالى فى المنام ، لايعني به أنه رأى ذاته، بل يعنى : أني رأيت مثاله ، كما يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم،لابمعنى أنه رأى روحه أو جسده ، بل بمعنى أنه رأى مثاله [١] .

فهناك فرق بين المثل والمثال ، " فالمثل عبارة عن التساوى في جميع الصفات ، والمثال لايحتاج فيه الى المساواة " [٢] .

ثم استدل ابن كمال باشا على جواز رؤية الله تعالى فى المنام بماتواتر عن جماعة من الأئمة أنهم رأوا الله تعالى فى منامهم [٣] ، وبما " ورد به الاذن باطلاق ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأيت ربي في أحسن صورة) [٤] ، وهذا مما ورد في الأخبار التى وردت في إثبات الصورة لله تعالى

---

(١) انظر : ابن كمال باشا : رسالة فى رؤية الله تعالى ص ٦ ـ ٧ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى رؤية الله تعالى فى المنام ص ٧ .

(٣) انظر كذلك التفتازاني : شرح المقاصد ٢١٠/٤ ، الصابوني : البداية ص ٤٣ ، القارى : شرح الفقه الأكبر ١٨٦ ـ ١٨٧ ، البياضي : إشارات المرام ٢١٠ ، النسفي : الاعتماد ق / ٣٤ ب ، البزدوى : أصول الدين ٧٨، الآلوسي : روح المعاني ٥٢/٩ .

(٤) روى هذا الحديث جماعة من الصحابة ، انظر في تخريجه وطرقه مفصلا الدارقطني: كتاب الرؤية :
أخرجه عن معاذ برقم ٢٢٨ ـ ٢٣١ ،
وعن عبد الرحمن بن عائش برقم ٢٣٣ ، ٢٣٥ ـ ٢٤٠ ،
وعن ابن عباس برقم ٢٤١ ـ ٢٤٣ ،
وعن أبي أمامة الباهلي برقم ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، ٢٦٤ ـ ٢٦٧ ،
وعن أبى هريرة برقم ٢٥٧ .

=

لقوله (خلق آدم على صورته)[1] ، وأمثال ذلك ، وليس المراد به صورة الذات، اذ الذات لا صورة لها الا من حيث التجلي بالمثال ، كما تجلى جبريل فى صورة دحية الكلبي ، وفي غيره من الصور ، حتى رئى مرارا كثيرة ، ومارئى جبريل في صورته الحقيقية الا مرتين ، وتمثل جبريل فى صورة دحية الكلبى ليس بمعنى: أن صورة ذات جبريل انقلبت الى صورة دحية الكلبي ، بل بمعنى : أنه ظهر بتلك الصورة للنبي عليه الصلاة والسلام مثالا مؤديا عن جبريل عليه السلام ما أوحى اليه. وكذلك قوله تعالى ﴿ فتمثل لها بشرا سويا ﴾[2] ، واذا لم تكن تلك الاستحالة في الملك انقلابا ، بل يبقى جبريل عليه السلام على حقيقته ووصفه ، وان ظهر للنبي عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية الكلبي "[3] .....

فاذا حصل " الاتفاق على حظر المعنى من أن ذات الله غير مرئية ، وأن المرئي مثال ، فظن من ظن استحالة المثال فى حق الله سبحانه وتعالى خطأ ، بل يضرب الله سبحانه وتعالى لصفاته الأمثال ، فينزه من المِثْل ، لا عن المِثَال، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب "[4] .

= وفي بعض طرق هذا الحديث التصريح بأن هذه الرؤية كانت منامية (أنظر أيضا : كتاب الرؤية للدارقطني : حديث رقم ٢٣٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧، ٢٥١، وأقاويل الثقات للكرمي ص ١٦٧) .

(١) أخرجه البخارى (١١/٣) في كتاب (٧٩) الاستئذان ، باب (١) بدء السلام رقم / ٦٢٢٧ .
ومسلم (٢٠١٧/٤) في كتاب (٤٥) البر والصلة ، باب (٣٢) النهى عن ضرب الوجه ، برقم / ٢٦١٢ .
وأحمد ٢٤٤/٢ ، ٢٥١ ، ٣١٥ ، ٣٢٣ ، ٤٣٤ ، ٤٦٣ ، ٥١٩ .

(٢) مريم / ١٧ .

(٣،٤) ابن كمال باشا : رسالة فى رؤية الله تعالى فى المنام ص ٨ .

تعقيـــــب

أ - رؤية الله تعالى فى الآخـــرة

لاريب أن ماذهب اليه العلامة ابن كمال باشا الىالقول باثبات رؤيــة المؤمنين لربهــم بأبصارهم يوم القيامــة هو الرأى الذى لايجوز العدول عنه، لصراحة أدلته من الكتاب والسنة وإجماع سلف هذه الأمة عليه .

وأما الأدلة من الكتاب على ذلك فقد ذكرها ابن كمال باشا ، بيد أنــه لم نجد عنده تفسير الآية الكريمة التي تدل على وقوع الرؤية فى الآخرة ، مع أنه أشار اليها ، واستدل بها على الرؤية فى رسائله ، وذلك لأن تفسيره غيــر كامل لم يصل الى السورة التى فيها هذه الآية الكريمة ، وهى قوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾ [١] ، ونذكـر هنا وجـه الاستدلال بالآية،لأنهـا من أظهر الأدلة على الرؤية .

ومعنى (ناظرة) : أى رائية رؤية بصرية يوم القيامة كما قال أهل السنة والجماعــة .

قال الامام ابن أبي العز : " إضافة النظر الى الوجه ، الذى هو محله،في هذه الآية ، وتعديته بأداة " الى " الصريحة فى نظر العين ، وإخلاء الكلام مـن قرينة تدل على خلافه ، حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العيـن التى فى الوجه الى الرب جل وعلا " [٢] .

وقال الباقلاني :" لأن النظر في كلام العرب يحتمل وجوها ، منها: نظـر الانتظــار ،ومنها : الفكر والاعتبار ، ومنها : الرحمة والتعطف ، ومنهــا:

---

(١) القيامة ٢٢ - ٢٣ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢٠٥ .

الادراك بالأبصار ، واذا قرن النظر بذكر الوجه ، وعدى بحرف الجر ، ولم يضف الوجه الى قبيلة أو عشيرة ، كان الوجه الجارحة التى توصف بالنضارة التى تختص بالوجه الذى فيه العينان ، فمعناه : روّية الأبصار "[١] خلافا للمحرفين للنصوص الصريحة عن مواضعها ......

أما الأحاديث الدالة على روّية الله تعالى ولقائه فقد نص العلماء على أنها متواترة[٢] ، وقد عد الامام ابن القيم قرابة ثلاثين صحابيا ممن رووها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أحاديثهم[٣] .

ومن هذه الأحاديث ما رواه البخارى بسنده عن جرير بن عبدالله قال : قال النبي صلى الله عليو وسلم : " إنكم سترون ربكم عيانا "[٤] .

ومنها : ما أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن ناسا قالوا : يارسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون فى روّية القمر ليلة البدر ، قالوا : لا يارسول الله .قال : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله ، قال : فانكم ترونه كذلك "[٥] .

---

(١) تمهيد الأوائل ٣١١ ، انظر كذلك : البيهقي : الاعتقاد ٧٤ - ٧٥ .

(٢) انظر : البيهقي : الاعتقاد والهداية ٨٢ ، ابن القيم : حادى الارواح ٢٣٣، ابن ابى العز : شرح العقيدة الطحاوية ٢٠٩ ، ابن قطلوبغا : شرح المسايرة ٣٨ .

(٣) انظر حادى الأرواح ٢٣١ - ٢٣٤ ، وكذلك ابن قطلوبغا في شرح المسايرة ٣٧-٤١ .

(٤) البخارى (٤١٩/١٣) في كتاب (٩٧) التوحيد ، باب (٢٤) قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) . حديث رقم ٧٤٣٥ .

(٥) البخارى (٤١٩/١٣) في كتاب (٩٧) التوحيد ، باب (٢٤) قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ، رقم ٧٤٣٧ .
ومسلم (١٦٣/١) في كتاب (١) الايمان ، باب (٨١) معرفة طريق الروّية ،رقم ١٨٢ .

الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة المتواترة فى هذا الباب ، وقد أفردها العلماء بالتصنيف ، منهم الامام البيهقي ، والدارقطني ، وغيرهما .

قال الامام عثمان بن سعيد الدارمى رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأحاديث الدالة على إثبات الروٴية :

" فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها رويت فى الروٴية على تصديقها ،والايمان بها ، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا ، ولم يزل المسلمون قديما وحديثا يروونها ، ويوٴمنون بها ، لايستنكرونها ، ولاينكرونها ، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه الى الضلال ، بل كان من أكبر رجائهم، وأجذل ثواب الله في أنفسهم النظر الى وجه خالقهم ، حتى ما يعدلون به شيئا من نعيم الجنة " [(١)] .

وقال أيضا : " قد صحت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن بعده من أهل العلم ، وكتاب الله الناطق به ، فاذا اجتمع الكتاب وقول الرسول وإجماع الأمة لم يبق لمتأول عندها تأول الا لمكابر أو جاحد " [(٢)] .

وأما الاجماع ذكره كثير من علماء السلف والخلف .

قال التفتازاني :" أما الاجماع فاتفاق الأمة قبل حدوث المخالف على وقوع الروٴية ، وكون الآيات والأحاديث الواردة فيها على ظواهرها ، حتى رَوى حديث الروٴية أحدٌ وعشرون رجلا من كبار الصحابة " [(٣)] ، "ومثل هذا الاجماع مفيد لليقين" [(٤)] .

---

(١) الرد على الجهمية (ضمن عقائد السلف) ص ٣٠٥ .

(٢) الرد على الجهمية ص ٣٠٦ .

(٣) شرح المقاصد ١٩٣/٤ .أنظر أيضا : شرح العقائد له ص ١٠٧ ، الصابوني: البداية ٤٠ – ٤١ ، الجرجاني : شرح المواقف / ٥١١ ، ابن قطلوبغا: شرح المسايرة / ٣٨ ، ابن أبى شريف : المسامرة ٣٧ ، السفاريني : لوامع الانوار ٢ / ٢٤٠ .

(٤) الجرجاني : شرح المواقف / ٥١١ .

وأما الدليل العقلي الذى استدل به ابن كمال باشا على جواز الرؤية ، أعنى به دليل الوجود فقد وجه علي أصحابه اعتراضات عقلية قوية ، مماجعله أنه لا يقوى أن يُعتمد عليه كل الاعتماد في الدلالة العقلية ، ولذلك نرى الامام الرازى يقول ـ بعد أن أورد عليه اثنا عشر سؤالا ـ:

" انا نقول : اعلم أن الدليل العقلي المعول عليه فى هذه المسألة هذا الذى أوردناه ، وأوردنا عليه هذه الاسئلة ، واعترفنا بالعجز عن الجواب عنها .

اذا عرفت هذا فنقول : مذهبنا في هذه المسألة ما اختاره الشيخ أبومنصور الماتريدى السمرقندى ، وهو أنا لانثبت صحة رؤية الله تعالى بالدليل العقلي ، بل نتمسك فى هذه المسألة بظواهر القرآن والأحاديث . فان أراد الخصم تعليل هذه الدلائل ، وصرفها عن ظواهرها بوجوه عقلية ، يتمسك بها في نفى الرؤية ، اعترضنا على دلائلهم ، وبينا ضعفها ، ومنعناهم عن تأويل هذه الظواهر "(١) .

ولأجل هذا سلك شيخ الاسلام ابن تيمية فى تقرير هذا الدليل طريقا آخر ، فلم يجعل المصحح للرؤية الوجود المجرد حيث لزم عليها لوازم فاسدة ، فلا تصلح أن تكون مصححا للرؤية ، وانما جعل المصحح لها أمورا وجودية ،لأن كل موجود تصح رؤيته ، قال رحمه الله : " أن الأدلة العقلية بينت جواز الرؤية وامكانها ، وليست العمدة على دليل الأشعرى ، ومن وافقه في الاستدلال ، لأن المصحح للرؤية مطلق الوجود(٢) ، بل ذكرتُ أدلة عقلية دائرة بين النفي والاثبات لاحيلة لنفاة الرؤية فيها "(٣).

---

(١) الرازى : الأربعين ١ / ٢٧٧ .

(٢) وهو دليل الوجود الذى ذكره أيضا ابن كمال باشا ، كما سبق بيانه .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٢٥٢/١ .

وقال أيضا : " من الأشياء مايرى ومنها ما لايرى ، والفارق بينهما لايجوز أن يكـــــون أمورا عدمية ،لأن الرؤية أمر وجودي- والمرئي لايكون الاموجودا ،فليست عدمية- لا تتعلق بالمعدوم ، ولا يكون الشرط فيه الا أمرا وجوديا،- لايكون عدميا،وكل مالا يشترط فيه الا الوجود دون العدم كان بالوجود الأكمل أولى منه بالأنقص - ، فكل ما كان وجوده أكمل كان أحق بأن يرى ، وكل مالم يمكن أن يرى فهو أضعـــف وجودا مما يمكن أن يرى ، فالأجسام الغليظة أحق بالرؤية من الهواء، والضياء أحق بالرؤية من الظلام ، لأن النور أولى بالوجود ، والظلمة أولى بالعـــدم ، والموجود الواجب الوجود أكمل الموجودات وجودا ، وأبعد الأشياء عن العدم ،فهوأحق بأن يرى ، وانما لم نره لعجز أبصارنا عن رؤيته ، لا لأجل امتناع رؤيته ......، فاذا كان في الدار الآخرة أكمل الله تعالى الآدميين ، وقواهم حتى أطاقـــوا رؤيته ... " (1) .

فالأدلة العقلية اذاً تدل على إمكان الرؤية ووقوعها ، لأن " الرؤيـــة أمر وجودى لا يتعلق الا بموجود ، وما كان أكمل وجودا كان أحق أن يرى،فالبـــارى سبحانه أحق أن يرى من كل ماسواه ، لأن وجوده أكمل من كل موجود سواه " (2) .

ب - رؤيـــة الله تعالى في المنام

ان الرأى الذى ذهب اليه ابن كمال باشا من جواز رؤية الله تعالـــى في المنام - بعد بيان الاختلاف فى الموضوع - هو رأى جمهور السلف (3) ، بـــل

---

(1) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ٢ / ٣٣١ - ٣٣٣ ، انظر كذلك مجمـــوع الفتاوى له ٦/١٣٦ ، د. الحمد : رؤية الله تعالى ١٢٢ - ١٢٤ .

(2) الموصلي : مختصر الصواعق المرسلة ١ /٢٨٠ .

(3) انظر: التفتازاني : شرح المقاصد ٤ / ٢١٠ ، الصابوني : البدايـــة ٤٣ .

نقلوا فيه : اتفاق الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - والتابعين من بعدهم على جوازها ووقوعها (١) .

واستدلوا عليه " بما روى الترمذي ، وأحمد بن حنبل ، والدارمي ، والطبراني - رحمهم الله تعالى - عن ابن عباس ، ومعاذ بن جبل ، وعبد الرحمن ابن عائش - رضى الله تعالى عنهم - عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: " رأيت ربي في منامي في أحسن صورة ، فقال : يامحمد! هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى" (٢) ، الحديث " (٣) .

وورد عن ابن عباس وغيره بلفظ : " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني ربي الليلة فى أحسن صورة .... " (٤) .

وفي هذا الحديث دليل على رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم لربه في المنام ...

وأما لغير النبي صلى الله عليه وسلم فهو جائز أيضا كما بين ذلك ابن كمال باشا .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه ، فاذا كان إيمانه صحيحا لم يره الا في صورة حسنة ، واذا كان في إيمانه نقص رأى مايشبه إيمانه ، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة فى اليقظة ، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال

---

(١) الحمد: رؤية الله تعالى ص ١٧٥ نقلا عن " سراج الطالبين على منهاج العابدين" لاحسان محمد دحلان ١ / ١٣٣ .

(٢) وقد سبق تخريج الحديث . انظر كذلك: ابن خزيمة: كتاب التوحيد ٢١٧- ٢١٨ .

(٣) البياضي : إشارات المرام من عبارات الامام / ٢١٠ .

(٤) أخرجه الترمذى (٣٦٦/٥) في كتاب (٤٨) التفسير، باب (٣٩) ومن سورة (ص) ، رقم/٣٢٣٣ .

وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢١٧-٢١٨، والدارقطني في الرؤية برقم / ٢٤٤ .

المضروبة للحقائق "[1] .

وقال أيضا : " .. لكن لابد من أن تكون الصورة التى رآه فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده فى ربه ، فان كان إيمانه واعتقاده مطابقا أتى من الصور، وسمع من الكلام ماينا سب ذلك ، والا كان بالعكس . قال بعض المشايخ : اذا رأى العبد ربه فى صورة كانت تلك الصورة حجابا بينه وبين الله[2] ، ومازال الصالحون وغيرهم يرون ربهم فى المنام ويخاطبهم ، وما أظن عاقلا ينكر ذلك ، فان وجود هذا مما لايمكن دفعه ، اذ الرؤيا تقع للانسان بغير اختياره ، وهذه مسألة معروفة ، وقد ذكرها العلماء من أصحابنا وغيرهم فى أصول الدين ، وحكوا عن طائفة من المعتزلة وغيرهم انكار رؤية الله ، والنقل بذلك متواتر عمن رأى ربه في المنام[3] ، ولكن لعلهم قالوا :

لايجوز أن يعتقد أنه رأى ربه في المنام ، فيكونون قد جعلوا مثل هذا من أضغاث الأحلام ، ويكونون من فرط سلبهم ونفيهم نفوا أن تكون رؤية الله في المنام صحيحة ، كسائر مايرى في المنام ، فهذا مما يقوله المتجهمة ، وهو باطل ، مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، بل ولما اتفق عليه عقلاء بنى آدم ، وليس فى رؤية الله في المنام نقص ، ولا عيب يتعلق به سبحانه وتعالى ، وإنما ذلك بحسب الرائي ، وصحة إيمانه ، وفساده ، واستقامة حاله

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٩٠/٣ . أنظر كذلك : الرازى : أساس التقديس ص ١١٩ ، القارى : شرح الفقه الأكبر ١٨٦ - ١٨٧ .

(٢) قال الآلوسي في روح المعاني (٥٢/٩) : " ونقل المناوى أن الكمال بن الهمام سئل عما رواه الدارقطني وغيره عن أنس من قوله صلى الله عليه وسلم :" رأيت ربي فى أحسن صورة " بناء على حمل الرؤية على الرؤية في اليقظة فأجاب بأن هذا حجاب الصورة " ا هـ .

(٣) انظر : النسفي : الاعتماد ق ٣٤ ب ، القارى : شرح الفقه الاكبر ١٢١-١٢٢ ، ١٨٦ - ١٨٧ ، ابن الجوزى : مناقب الامام أحمد بن حنبل ص ٤٣٤ .

وانحرافه . وقول من يقول : ماخطر بالبال ، أو دار في الخيال ، فالله بخلافه، ونحو ذلك اذا حمل على مثل هذا كان محملا صحيحا ، فلا نعتقد أن تخيل للانسان فى منامه أو يقظته من الصور ، أن الله فى نفسه مثل ذلك "[(١)] .

وقال أبوالقاسم القشيرى ماحاصله : " ان رؤياه - تعالى - على غيرصفته لاتستلزم الا أن يكون هو ، فانه لو رأى الله على وصف يتعالى عنه ، وهو يعتقد أنه منزه عن ذلك لا يقدح في رؤيته ، بل يكون ذلك الرؤيا ضرب من التأويل "[(٢)] .

وقال ابن حجر : " جوز أهل التعبير رؤية البارى عز وجل فى المنام مطلقا ، ولم يجروا فيها الخلاف فى رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ... فلما كان الوقوف على حقيقة ذاته ممتنعا ، وجميع من يعبر به يجوز عليهم الصدق والكذب كانت رؤياه تحتاج الى تعبير دائما "[(٣)] .

وقال القاضي عياض : " انه لانزاع فى وقوعها وصحتها ، فان الشيطان لايتمثل به تعالى كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام " .

وتعقبه بعضهم قائلا : " ان الشيطان يتمثل به تعالى دون النبي، والفرق أن النبي بشر ، فيلزم من التمثل به اللبس ، بخلاف المولى ، فأمره معلوم "[(٤)] .

وقال الامام البغوى :" رؤية الله تعالى فى المنام جائزة . قال معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم :" إنى نعست فرأيت ربى " ، وتكون رؤيته جلت قدرته ظهور العدل والفرج والخصب ... "[(٥)] .

مما ذكرنا من النصوص يظهر لنا أن رأى ابن كمال باشا في رؤية الله تعالى في المنام موافق " لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها" . والله أعلم بالصواب .....

---

(١) ابن تيمية : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٧٣/١ - ٧٤ .

(٢) ابن حجر : فتح البارى ٣٨٨/١٢ .

(٣) ابن حجر : فتح البارى ١٢ / ٣٨٧ .

(٤) البيجورى : تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١١٨ .

(٥) البغوى : شرح السنة ١٢ / ٢٢٧ .

البَابُ الثَالِثُ

النُّبُوَّاتُ

تمهيـــد :



ـ تمهيد ـ

إن أهمية البحث فى هذا الباب تأتى من جهة أن الإيمان بالأنبياء والرسل ركن من أركان الإيمان ، ولا إيمان لمن أنكر ركنا منها ، والإنكار ببعضها إنكار بجميعها ، وكذلك الإنكار والتكذيب ببعض الرسل ، بل بواحد منهم يستلزم إنكار جميعهم .

ولذا نرى العلامة ابن كمال باشا يقول فى تفسير قوله تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤ من ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا) (١):

" قوله (بالله) توطئة لرسله ، بدليل قوله (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) بالإيمان بالله والكفر بالرسل ، والمراد بالتوطئة : بيان أن الكفر بالرسل كفر بالله ، فالتفريق خطأ ظاهر ، اذ لا واسطة بين الكفر والإيمان ، (ويقولون نؤ من ببعض ونكفر ببعض) نؤ من ببعض الأنبياء ، ونكفر ببعضهم ، (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) طريقا وسطا بين الإيمان والكفر ، أو مأ فى أول الآية أن الكفر بالبعض كفر بالكل ، وصرح به فى آخرها بقوله (أولئك هم الكافرون) على سبيل الحصر بتوسيط الضمير ، وتعريف ما بعده ، أى الكاملون فى الكفر ، وبالتأكيد بالمصدر ، فإن قوله (حقا) مصدر مؤكد لغيره ، أو صفة لمصدر الكافرين هم الذين كفروا كفرا حقا ، أى بينا محققا " (٢).

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان النبوات هى الوسيلة الى معرفة مايجب اعتقاده فى الذات الإلهية ، وفى صفاتها وأفعالها ، فيمكن بواسطتها التعرف على أحوال الآخرة من الحياة البرزخية وما بعدها من بعث وحشر

---

(١) النساء ١٥٠ ـ ١٥١ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٣٧ ـ ٣٣٨ (الحرم المكى) .

ونشر ، وعرض وحساب ، وميزان وصراط ، وجنة ونار الى غير ذلك من الأمور التى لا تعلم الا من قبل الأنبياء والرسل عليهم السلام . (١)

هذا ، وسأتناول فى هذا الباب ، المسائل التالية :

أولا : النبوة والرسالة ، معناهما ، والإيمان بالأنبياء والرسل ، وصفاتهم ، وهو الفصل الأول .

ثانيا : إمكان بعثة الرسل ، وهو الفصل الثانى .

ثالثا : معجزات الرسل ، وهو الفصل الثالث .

---

(١) انظر : الكمال بن أبى شريف : المسامرة ١٨٩ ، ٢١٢ .

الفصل الأول

النبوة و الرسالة

أ ـ النبي والرسول لغة .

ب ـ النبي والرسول اصطلاحا .

جـ ـ الإيمان بالأنبياء والرسل .

د ـ طبيعة الرسل وصفاتهم .

أ ـ النبى والرسول لغة :

لفظ النبى : مأخوذ من النبأ ، وهو الخبر ، ومنه : الإنباء ، أى الإخبار ، قال تعالى (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) (١) ، وقال تعالى (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ، قال نبأنى العليم الخبير) (٢) .

فاذا أخبر أمته بما أوحى الله اليه فهو فعيل بمعنى فاعل ، أى المنبىء ، الذى أنبأ الناس عن الله تعالى وصفاته ، والى هذا مال العلامة ابن كمال باشا فى تفسيره . (٣) .

وان كان المراد أن الله يخبره بما يوحى اليه فهو فعيل بمعنى مفعول ، أى المنبأ ، الذى أنبأه الله بوحيه وأسرار غيبه ، والى ذلك مال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله . (٤) .

وقيل : هو مأخوذ من النَّبْءِ ـ بالهمزة وسكون الباء ـ ، أو النَّبْوَة ، أو النَّبَاوة ، وكلها بمعنى واحد ، وهو ما ارتفع من الأرض وعلا ، فالنبى : مرتفع المنزلة والرتبة على غيره ، أو مرفوعها .

وقيل : النَّبِىءُ ـ بالهمز ـ الطريق ، فالنبى طريق ووسيلة الى الله عز وجل . (٥) .

---

(١) ابراهيم / ٩ .

(٢) التحريم / ٣ .

(٣) ٢٥٨ ب .

(٤) النبوات/ ١٧٧ .

(٥) انظر : البزدوى : أصول الدين / ٢٢٢ ، التفتازانى : شرح المقاصد ٥/٥ ، الجرجانى : شرح المواقف / ٥٤٥ ، الكمال بن أبى شريف: المسامرة ١٩٨ ، ابن قطلوبغا : شرح المسايرة/ ١٨٧ .

وتتحقق هذه المعاني اللغوية في النبي ، لأنه المنبئ عن الله عز وجل ، وهو عالي المنزلة، رفيع الشأن، وطريق الى الله عز وجل [١].

الرسول لغة :

الرسول ، المرسَل ، فهو فعول بمعنى مفعول • يقال : أرسله فهو مرسَل ورسول • ويكون بمعنى الرسالة • قال تعالى (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) [٢]، وقال تعالى (فأتياه فقولا انا رسولا ربك) [٣]• جاء في الآية الأولى (إنا رسول) وفي الثانية (إنا رسولا) ، لأن فعولا وفعيلا يستوى فيهما المذكر والمؤنث، والواحد والجمع، ويجوز التثنية والجمع ، فيجمع على " رسل " بضمتين [٤].

والرسالة : سفارة بين مرسِل ومرسَل اليه ، ومن هنا فلفظ الرسول عام يتناول كل من أرسل بأية رسالة • [٥].

ورسل الله تارة يراد بها الملائكة ، وتارة يراد بها الأنبياء• فمن الملائكة " إنه لقول رسول كريم " [٦]، ومن الأنبياء " إنا رسول رب العالمين " [٧] .

---

(١) متممات التعريفات للسيد الشريف ص ١٧٥ •
(٢) الشعراء / ١٦ •
(٣) طه / ٤٧ •
(٤) الفيروزآبادى: القاموس ٣/ ٣٩٥ ؛الفيومى : المصباح المنير ٢٢٦ •
(٥) انظر: مذكرات شيخنا كمال هاشم نجا فى العقيدة ، وتفسير ابن كمال باشا ٢٥٨ ب،و ١/ ٨٩ (الحرم المكى) •
(٦) التكوير / ١٩ •
(٧) الشعراء / ١٦ •

ب ـ النبى والرسول اصطلاحا :

اختلف علماء العقيدة فى تحديد معنى النبى والرسول اصطلاحا ، هل هما بمعنى واحد ، فيكون النبى هو الرسول ، والرسول هو النبى (١) ، أم أنهما مختلفان ، لكل منهما معنى غير معنى الآخر (٢) .

فاذا كان النبى والرسول يتغايران فى المعنى فما الفرق بينهما ؟

أولا : لقد عرف العلامة ابن كمال باشا فى رسالته المنيرة كلا من الرسول والنبى فقال :

" الرسول : من له الوحى والكتاب .

والنبى : من له الوحى والإلهام والرؤيا الصادقة ، وليس له الكتاب " .

ثم عرف الوحى والإلهام والرؤيا الصادقة فقال :

" الوحى : هو أن يأتى علم للشىء من الله تعالى الى رسوله بواسطة جبريل عليه السلام بالمعاينة .

والإلهام : هو أن يلقى علم للشىء من الله تعالى الى قلب رسوله فى حال يقظته بغير واسطة جبرائيل عليه السلام .

والرؤيا الصادقة : هو أن يلقى علم للشىء من الله تعالى (الى نبيه) فى حال نومه بالدليل على صدقه من الله تعالى " (٣) .

وكلامه فى تفسير قوله تعالى (واذكر فى الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيًا) (٤) فى بعثة اسماعيل عليه السلام بشرع أبيه الى جرهم يشعر تأييد ماذهب اليه فى المنيرة ، حيث يقول فى تفسير الآية : " بعث بشرع أبيه الى قوم دون قوم أبيه ، وهم جرهم ، فكان صاحب شريعة بالنظر اليهم ، لاختصاص شرع أبيه بحسب دعوته لقومه " (٥) .

---

(١) وهو رأى المعتزلة وسعد الدين التفتازانى . أنظر : شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ٥٦٧ ـ ٥٦٨ ، وشرح المقاصد للسعد ٥/٥ .

(٢) وهو رأى جمهور أهل السنة والجماعة .

(٣) المنيرة ص ٧ . (٤) مريم/٥٤ .

(٥) تفسير ابن كمال باشا ٤٤٦ ب .

وكأن الرسول لابد له من شريعة سواء أكانت متجددة أم لا ، بأن يكون مبعوثا لتقرير شرع سابق مثل إسماعيل عليه السلام ، اذ كان رسولا نبيا ، وعلى هذا فمدار الفرق بين الرسول والنبى عند ابن كمال باشا الى الكتاب كما صرح به فى المنيرة ، والى الشريعة كما لوح به فى تفسيره .

ثانيا : بينما كلامه فى أماكن عديدة من تفسيره ينافى ما ذكره ـ والذى نقلناه آنفا ـ فى المنيرة ، حيث يذكر أن مدار الفرق بين الرسول والنبى يرجع الى التبليغ ، لا الى الكتاب ، ولا الى الشريعة المجددة . فقال فى تفسير قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى ...) (١) :

" وصفه بالرسالة باعتبار تبليغ الأحكام من الله تعالى ، وقدمه لأنه الأعم ، حيث يوصف به الملك ، ثم بالنبوة باعتبار إنبائه عن الله تعالى ، وصفاته وإخباره عن الغيوب وأحوال الآخرة ، وفيها جهة عموم اذا اعتبر الرسالة فى بنى آدم ، فلو اعتبر بهذه الجهة يكون تقديم الرسالة فبالنظر الى أنه أرسله الله الى الخلق ، فأنبأهم عنه تعالى .. " (٢)

وكذلك اعتراضه على القاضى البيضاوى فى اشتراطه الشريعة المجددة للرسول فى تفسير قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى ...) (٣)

يؤكد ذلك ، حيث قال العلامة ابن كمال باشا فيه : " قد سبق تفسيرهما وبيان الفرق بينهما بعموم الثانى ، وخصوص الأول (٤) . ومن شرط فى الرسول شريعة مجددة (٥) ، فكأنه نسى ما زعمه من الدلالة فى قوله تعالى (وكان رسولا نبيا) (٦) على أن الرسول لايلزم أن يكون صاحب شريعة " (٧) ..

---

(١) الأعراف /١٥٧ .

(٢) ابن كمال باشا . تفسيره ٢٥٨ ب (دار الكتب) ، وكذلك انظر : ٤٤٦ ب .

(٣) الحج /٥٢ . (٤) انظر : تفسيره ٢٥٨ ب .

(٥) وهو القاضى البيضاوى فى تفسيره ٤ /٧٥ .

(٦) مريم ٥١ ، ٥٤ . انظر كلام البيضاوى فى تفسيره ٤ /١٠ .

(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٨٤ ب .

اللهم الا أن نقول إن ابن كمال باشا يشترط فى الرسول التبليغ الى جانب الكتاب والشريعة ــ سواء أكانت خاصة به ، أو بمن قبله من الرسل كما فى إسماعيل عليه السلام ــ ، ففى هذه الحالة لايكون التنافى بين كلامه فى رسالة المنيرة وبين ما ورد فى تفسيره ، والله أعلم ..

ـ تحليـــل ونقـــــد ـ

أقول : كلام العلامة ابن كمال باشا في معنى النبي والرسول الذي ذكرناه أولا من رسالته المنيرة مقتضاه أن عدد الكتب المنزلة لا يمكن أن يكون أقل من عدد الرسل ، بل لابد وأن يكون مساويا لعدد الرسل ، مع العلم أن عدد الكتب أقل من عددهم ، فالكتب مائة كتاب وأربعة كتب ، والرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر .. ولذلك اعترض عليه التفتازاني وغيره بما ورد في الحديث من زيادة عدد الرسل على عدد الكتب المنزلة . (١)

أخرج ابن حبان في صحيحه (٢) عن أبي ذر رضي الله عنه حديثا مطولا ، وفيه :

" قلت : يارسول الله ، كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وعشرون ألفا . قلت : يارسول الله ، كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا ... " .

---

(١) شرح المقاصد ٥/٦ ؛ البياضي : إشارات المرام ص ٣٣٣ ؛ الجزيري : توضيح العقائد ص ١٣٩ .

(٢) موارد الظمآن ٥٢ ـ ٥٤ ، ٥٠٨ . وأخرجه أيضا أبو نعيم في الحلية ١/١٦٧ ـ ١٦٨ ؛ والحاكم في المستدرك ٢/٥٩٧ . قال ابن حبان : " فيه ابراهيم بن هشام بن يحي الغساني . قال أبو حاتم وغيره : كذاب " .
وأخرجه كذلك الامام أحمد عن أبي أمامة في المسند ٥/٢٦٥ ـ ٢٦٦ وفيه : عدد الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا .
وكذلك الطبراني في الأوسط ـ مختصرا ـ ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١/٢٠١ ؛ المسامرة شرح المسايرة للكمال بن أبي شريف ص ١٩٤) .
والحاكم في المستدرك ٢/٢٦٢ (مختصرا) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي . قال العلامة الآلوسي في روح المعاني ١٧/١٧٢ : "وزعم ابن الجوزي أنه موضوع ، وليس كذلك ، نعم ، قيل في سنده ضعف ، جبر بالمتابعة " . وانظر أيضا قول ابن حجر المؤيد لقول الآلوسي في الكافي الشاف ص ١١٤ .

وفيه أيضا "قلت : يارسول الله ، كم كتابا أنزله ؟ قال : مائة كتاب وأربعة كتب ..."

وقال شيخنا العلامة كمال هاشم نجا رحمه الله تعالى : " قد يقال : من اشترط في الرسول الكتاب المنزل لايشترط أن يكون كتابا خاصا به ، بل يشترط أن يكون معه كتاب ، سواء أنزل عليه ، أو على من قبله ، لكن يكون عاملا بالكتاب .

إلا أن في هذا القول ضعفا ، لأنه لايساعده النقل ، بل هو مجرد احتمال ، والاحتمال لايكفي في باب المرويات .

وان قيل . يجوز تكرر نزول الكتاب الواحد ، كما تكرر نزول الفاتحة ، فانها نزلت مرة بمكة ، ومرة بالمدينة ، ومع هذا الجواز يكون مع كل رسول كتاب منزل ، فلا يكون عدد الرسل أزيد - إن قيل هذا - ،

قلنا : هذا مجرد احتمال أيضا ، فلا يكفي ، اذ ليس هناك نقل يؤيده" (١)

وأما ما ذكره العلامة ابن الكمال في الفرق بين النبي والرسول ، وقيامه على الأمر بالتبليغ ، فالمأمور بالتبليغ رسول ونبي ، ومن لم يؤمر بالتبليغ مع الإيحاء اليه نبي وليس برسول - والذي نقلناه من تفسيره سابقا - فهو قول الجمهور . ويقول شارح العقيدة الطحاوية (٢) :

" وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول ، وأحسنها : أن ما نبّأه الله بخبر السماء ، إن أمره أن يبلغ غيره ، فهو نبي ورسول ، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره ، فهو نبي وليس برسول ، فالرسول أخص من النبي ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا " .

وبهذا القول أيضا قال العلامة القاري (٣) ، والسفاريني (٤) ، والآلوسي (٥) .

---

(١) مذكرات شيخنا كمال هاشم نجا في العقيدة لطلاب الدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى ، عام ١٤٠٢هـ . انظر كذلك : الجزيري : توضيح العقائد/١٣٩ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص١٦٧ . (٣) شرح الأمالي ص ١٦ .

(٤) لوامع الأنوار ١/ ٤٩ ، ٢/ ٢٥٨ . (٥) روح المعاني ١٧/ ١٧٢ .

وقال ابن أبي شريف (١) ، وعلى القاري (٢) ، والسفاريني (٣) : إنه هو القول المشهور بين العلماء .

ولعل هذا القول هو أسلم الأقوال وأبعدها عن الاعتراضات التي ترد على غيره .

جـ - حكم الايمان بالأنبياء والرسل :

الإيمان بجميع الأنبياء والرسل ركن أساسي من أركان العقيدة الاسلامية كما ذكرت في أول الباب . قال الله تعالى : " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله " (٤) . وقال تعالى " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (٥) "

وليس في القرآن نص يحدد لنا عدد الأنبياء والمرسلين ، وإنما الذي فيه أن الله عز وجل قد بعث في كل أمة رسولا ونذيرا .

قال تعالى " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطٰغوت ... " (٦) . وقال تعالى " انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة الا خلا فيها نذير " . (٧)

ولهذا يجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ، والإقرار بهم ، والتصديق بنبوتهم تفصيلا فيما جاء به الدليل تفصيلا (٨) ، وإجمالا فيما جاء به الدليل إجمالا .

---

(١) المسامرة شرح المسايرة ١٩٨ . (٢) شرح الفقه الأكبر ص ٩٤ .

(٣) لوامع الأنوار ١/٤٩ . (٤) البقرة/٢٨٥ . (٥) البقرة / ١٣٦ .

(٦) النحل/٣٦ . (٧) فاطر/٢٤ .

(٨) ومعنى كون الإيمان واجبا بهم تفصيلا : أنه لو عرض عليه أحد منهم لم ينكر نبوته ولا رسالته ، فمن أنكر نبوة واحد منهم أو رسالته ، كفر . لكن العامي لايحكم عليه بالكفر الا إن أنكر بعد تعليمه . (البيجوري : تحفة المريد ٤٣ ـ ٤٤) .

ثم الأولى " ألا نحصرهم على عدد معين (١) ، لئلا يدخل فيهم من ليس منهم ، أو يخرج منهم من هو منهم . وهذا لأنا لو حصرناهم على عدد معين لأخرجنا البعض من كونه نبيا ، اذا كانوا أزيد من ذلك ، أو شهدنا على غير النبي بالنبوة ، اذا كانوا أنقص من ذلك ، وذلك لايجوز" (٢) .

بل " نقول : كل من سمّاه الله تعالى نبيا فانى آمنت به" (٣)

د ـ طبيعة الرسل وصفاتهم :

إن الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم هم صفوة الخلق ونخبة البشر ، اصطفاهم الله عز وجل من بين سائر المخلوقات فضلا منه على أقرانهم (٤) ، وخصهم بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية (٥) ، وصانهم عن كل وصمة ونقيصة (٦) ، وأرسلهم الى الناس قدوة لهم ، آمرين بالمعروف ، وناهين عن المنكر ، ومبشرين المؤمنين بالجنة ، ومنذرين العاصين بالنار . (٧)

ولذلك فهم جامعون لمحاسن الأوصاف ، ومحاسن الأخلاق (٨) ، وموصوفون بأشراف الأوصاف ، لأنهم هم الأشراف ، فان " أوصاف الأشراف أشراف الأوصاف " (٩) .

---

(١) ابن كمال باشا : عقائد مختصرة ٦١ ب ؛ رسالة فى تفصيل الإيمان ١٣ أ .

(٢) النسفي : الاعتماد ٤٦ ب ـ ٤٧ أ . انظر كذلك : التفتازاني : شرح المقاصد ٦١/٥ ـ ٦٢ ؛ وشرح العقائد ١٦٩ ؛ الكمال بن أبى شريف : المسامرة شرح المسايرة للكمال بن الهمام ١٩٣ ؛ وملا على القارى : شرح الأمالى ١٨ ؛ وشرح الفقه الأكبر ٢٠ ، ٨٨ ، ٩٠ ؛ السفاريني : لوامع الأنوار ٢٥٨/٢ ، ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ؛ الشيخ بخيت : القول المفيد ص ٦٠ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى تفصيل الإيمان : ١٣ أ .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٤٧ ب ، ٣٥١ ب .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٢١٣/١ (الحرم المكى) .

(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٧٦ أ .

(٧) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ٧ .

(٨) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٧١ ب .

(٩) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٨٠/١ (الحرم المكى) .

وقد فصل ابن كمال باشا الصفات التى يجب توفرها فى الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وهى :

١ ـ الذكورة　　　٢ ـ الصدق

٣ ـ الأمانة　　　٤ ـ كمال العقل أو الفطانة

٥ ـ التبليغ　　　٦ ـ العصمة

١ ـ الذكورة :

يرى العلامة ابن كمال باشا كما يرى جمهور علماء أهل السنة والجماعة أن الذكورة شرط من شروط النبوة ، يجب توفرها فى الأنبياء عليهم السلام ، واحتج على ذلك بأدلة :

منها : قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) (١) قال فى تفسيره : " وفى الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل ملكا ، ولا امرأة ، ولاصبيا للدعوة العامة ، ولاينافيه نبوة عيسى عليه السلام ، وهو فى المهد ، لأنها أخص من الرسالة ". (٢)

ونقل عن ابن عباس رضى الله عنه قوله فى تفسير الآية : (معناه : نفى استنباء النساء ". (٣)

ومنها : قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ...) (٤) قال فى تفسيره : " وفيه دليل على أن الرجال إنما يستحقون الولاية عليهن بالفضل ، لا بالتغلب والقهر ، وهو كمال العقل ،

---

(١) النحل / ٤٣ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٠٠ أ ، وأيضا : رسالة الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية ص ٥٩ .

(٣) وذلك فى تفسير الآية ١٠٩ من سورة يوسف فى تفسيره ٣٦٥ ب . انظر فى نسبة هذا التفسير الى ابن عباس رضى الله عنه : مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٤) النساء / ٣٤ .

وحسن التدبير، وقوة العزم والحزم، ومزيد القدرة على الطاعات، وسائر الأعمال، ولذلك خصوا بالنبوة، والإمامة، والولاية، وإقامة الشعائر، ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها ". (١)

وذكر العلامة ابن كمال باشا أن الماتريدية يرون الذكورة شرطا فى النبوة حتى لايجوز أن يكون الأنثى نبيا، والأشعرية لايرونها شرطا فيها، بل يرون صحة نبوة النساء. (٢)

ولكن العلامة البياضى يقول: " وخالف فى الذكورة بعض المحدثين، وروى عن الأشعرى " (٣)، وبذلك تكون عبارته أدق من عبارة ابن كمال، لأن الأشاعرة يرون الذكورة شرطا فى النبوة الا بعضهم تبعا للرواية عن شيخهم (٤)...

ويؤيده كلام الامام ابن الهمام وتلميذه ابن قطلوبغا فى المسايرة مع شرحها حيث يقولان: " (وخالف بعض أهل الظواهر والحديث فى الذكورة، حتى حكموا بنبوة مريم عليها السلام) قال الامام جلال الدين جار الله: اتفق أهل السنة والجماعة (٦) أن الذكورة شرط النبوة، خلافا للأشعرى " (٥)

والبعض عن أهل الظواهر والحديث المذكور فى كلام ابن الهمام هو ابن حزم الظاهرى حيث دافع بشدة عن نبوة النساء ورد على من لايقول بها فى " الفصل فى الملل والأهواء والنحل " (٧).

٢ ـ الصدق :

يرى العلامة ابن كمال باشا أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مشهورين

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٢٩٠ (الحرم المكى).

(٢) ابن كمال باشا : رسالة الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية ص ٥٩ انظر أيضا : الصابونى : البداية ص ٤٦ ؛ القارى : شرح بدء الأمالى ص ٢١ ؛ شيخ زاده : نظم الفرائد ص ٥٢.

(٣) إشارات المرام من عبارات الامام ص ٣٢٩.

(٤) السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢٦٦.

(٥) المسايرة مع شرحها لابن قطلوبغا ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٦) يقصد بهم الأشاعرة والماتريدية.

(٧) ٥/١١٩ـ١٢١ ..وانظر فى الرد عليه : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٤/٣٩٦.

بالصدق والأمانة في قومهم (١) ، وكانوا فيما يخبرون الناس من أمر الدين والدنيا صادقين ، وعن الكذب معصومين. (٢)

وقد وصفهم الله في كتابه بالصدق ، مثل قوله تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) (٣) : "ملازما للصدق ، كثير التصديق ، لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته " (٤) ، وقوله تعالى (واذكر في الكتاب اسمعيل إنه كان صادق الوعد) (٥) : " ذكره بذلك لشهرته به ، واتصافه بأشياء من هذا الباب لم تعهد من غيره " (٦) .

وما ثبت لهما يثبت لإخوانهما من الأنبياء عليهم السلام ، ولا فرق ...

ونفى عن ابراهيم الخليل عليه السلام الكذب في قوله تعالى (فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم) (٧) قال : " وقوله (إني سقيم) من معاريض الكلام (٨) ، وليس بكذب ؛ اني سقيم القلب لكفركم ، أو مشارف للسقم ، لأن من كان بصدد الموت كان مستعدا للسقم ، فلا يخلو صحيح من ذلك ، فلم يكن كاذبا فيما أظهر من الكلام ، فلم يلحقه به شيء من الملام ... (٩)

أو كان في نفسه كبير الأصنام ، فاحتال لإظهار الحق ، وإبطال الباطل (١٠) ، فكان عملا مبرورا وسعيا مشكورا " (١١) .

٣ ـ الأمانة :

سبق أن ذكرنا رأيه في أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مشهورين بالصدق

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٤٥أ، ٤٤٦ ب ، ٥٢٢ أ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص٧ ؛ ورسالة في تفصيل الايمان ١٣ أ .

(٣) مريم/٤١ . (٤) ابن كمال باشا :تفسيره/٤٤٥أ . (٥) مريم/٥١ .

(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٤٦ ب . (٧) الصافات ٨٨ ـ ٨٩ .

(٨) وبه قال أيضا ابن الجوزي في زاد المسير٦ /٣٠٠ ، وكذلك ٥ /٢٥٠ـ٢٥١ .

(٩) انظر هذا المعنى أيضا عند القاضي عياض في الشفا ٢ /٣٢١ ، والرازي في عصمة الأنبياء /٥٩ .

(١٠) وذلك في قوله تعالى (قال بل فعله كبيرهم هذا) (الأنبياء/٦٣) . قال ابن قتيبة : " هذا من المعاريض ، ومعناه : ان كانوا ينطقون ، فقد فعله كبيرهم " (ابن الجوزي : زاد المسير ٥ /٢٥٠) .

(١١) ابن كمال باشا : تفسيره ٦٠٤ ب .

والأمانة في قومهم (١).. ثم ان الله تعالى بين على لسان كل من نوح، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب عليهم السلام أنهم قالوا لأقوامهم (انى لكم رسول أمين) (٢).

كما حكى الله تعالى عن عزيز مصر بوصفه يوسف عليه السلام بالأمانة حيث (قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) (٣) : " أي مؤتمن على كل شيء " (٤)

ثم إن الله تعالى أكد أمانته ونفى عنه الخيانة على لسانه (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وان الله لايهدي كيد الخائنين) (٥) : " وفيه تعريض بامرأة العزيز في خيانتها أمانة زوجها ، وتوكيد لأمانته ، ولذلك عقبه بقوله (وما أبرئ نفسي) (٦) نفيا لتزكية نفسه ، وهضما لها ، واحترازا عن اعجابها بأمانتها وعصمتها ، واقرارا بأن ذلك بتوفيق الله تعالى ورحمته ، وتسديده وعصمته " (٧).

وكان خاتمهم صلى الله عليه وسلم يسميه قومه في حال صغره " محمد الأمين " (٨) ولأمانته وصدقه رضي قومه عن تحكيمه عند ما تنازعت القبائل في وضع " الحجر الأسود " الى موضعه ، فقالوا حينما دخل المسجد : " هذا محمد ، هذا الصادق الأمين ، رضينا به " . (٩)

٤ ـ كمال العقل أو الفطانة :

من الصفات الواجبة للأنبياء والرسل عليهم السلام كمال العقل أو الفطانة ، وهي " سرعة إدراك مايراد تعريضه على السامع " (١٠) ويرى ابن كمال باشا أنه من خصائص النبوة ، وبه خصوا بالنبوة والإمامة ... ونراه يفسر سبب حذف النداء

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٤٥ أ ، ٤٤٦ ب ، ٥٢٢ أ .

(٢) الشعراء/١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٧٨ .

(٣) يوسف/٥٤ . (٤) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٥٧ ب .

(٥) يوسف/٥٢ . (٦) يوسف/٥٣ .

(٧) ابن كمال باشا :تفسيره ٣٥٧ ب .

(٨) ابن الأنباري : الداعي الى الاسلام/٤٦١ .

(٩) ابن الديبع: حدائق الأنوار ١٥٨/١ .

(١٠) ابن كمال باشا : رسالة في بيان أسماء الله تعالى توقيفية ١٠٧ أ .

فى قوله تعالى حاكيا عن السيد (يوسف أعرض عن هذا ..) (١) هو اتصافه عليه السلام بالفطنة وسرعة الفهم والذكاء ، حيث يقول : " حذف حرف النداء لقربه ، وكمال فطنته ، وسرعة فهمه للحديث لذكائه " (٢) .

ثم ان الله عز وجل وصفهم بالصلاح ، " وهو الاتيان بما ينبغى ، والتحرز عما لاينبغى " (٣) ، وآتاهم الحكم - اى الحكمة ، وهو العلم المؤيد بالعمل ، أو فعل ما ينبغى فعله - ، والعلم - اى الفقه فى الدين ، والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه (٤) - .

وكل ذلك لأداء مهامهم كما ينبغى ، والدعوة الى سبيل ربهم بالطرق المناسبة لأحوال قومهم ومستواهم ، اذ يقول الله عز وجل مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم (ادع الى سبيل ربك بالحكمة) بالمقالة المحكمة ، وهو الدليل القاطع الموضح للحق ، المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) بالخطابات الاقناعية ، والعبر النافعة على وجه لايخفى عليهم أنك تناصحهم ، وتقصد بها ماينفعهم ... (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى) بالطريقة التى (هى أحسن) (٥) طرق المجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر ، والطريق الأشهر ، فان ذلك أشد تسكينا لشغبهم ، وتليينا لعريكتهم " (٦) .

ولسلوك هذه الطرق المناسبة للدعوة ، وإلزام خصومهم المعاندين ، وقطع شغبهم لابد وأن يتحلوا بالذكاء والفطنة حتى يقوموا بواجبهم على أتم وجه وأكمله ...

قال تعالى (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه

---

(١) يوسف / ٢٩ . (٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٥٢ ب .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٢٨٠ (الحرم المكى) .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٥١أ ، ٤٧٣ ب ، ٥٣٧ ب .

(٥) النحل / ١٢٥ . (٦) ابن كمال باشا : تفسيره ٤١٢ أ .

الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحي ويميت) ـ أي يحي الأموات، ويميت الأحياء ـ (قال : أنا أحي وأميت) ـ أي أعفو عن القتل ، وأقتل ، فأعرض ابراهيم عليه السلام عنه ، وان كان يتيسر عليه أن يقول له : ليس هذا بإحياء ، ولا إماتة ، لكن كان هذا عند ملأ من الناس ، وفيهم الضعفة ، فأراد ابراهيم عليه السلام أن يفضحه فضيحة ظاهرة ، لايخفى على أحد ، فجاء بما لايمكنه المعارضة بالتلبيس ... (قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) اى انقطع في هذا الإلزام الظاهر متحيرا .. (والله لايهدى القوم الظالمين) (١) .

وكان ابراهيم عليه السلام " رئيس الموحدين ، وقدوة المحققين ، جادل فرق المشركين ، وأبطل مذاهبهم الزائفة بالحجج الدامغة" (٢) ..

وما ثبت لسيدنا محمد وابراهيم صلوات الله وسلامه عليهما من الفطنة والذكاء يثبت لأخوانهما الأنبياء ، لأنهم مثلهما (٣) .

٥ ـ التبليغ :

من الصفات الواجبة للرسل عليهم السلام .. وظيفتهم تبليغ ما أنزل اليهم من ربهم ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وتبشير المؤمنين بالجنة ، وإنذار العاصين بالنار (٤) .

ويقول العلامة ابن كمال باشا في صدد بيان أوصاف الأنبياء وعلو درجتهم ، والفرق بينهم وبين الأولياء : " ولا يبلغ ولى درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لأن الأنبياء معصومون ، مأمونون عن خوف الخاتمة ، مكرمون بالوحي ومشاهدة الملك ، مأمورون بتبليغ الأحكام،

---

(١) البقرة/٢٥٨ . ابن كمال باشا : تفسيره ١/١٨٠ (الحرم المكي) .
(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٤١١ أ .
(٣) الشيخ بخيت : القول المفيد ص ٤٨ .
(٤) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ٧ .

وإرشاد الأنام ، بعد الاتصاف بكمالات الأولياء ، فما نقل عن بعض الكرامية (١) من جواز كون الولي أفضل من النبي كفر وضلال " (٢) .

٦ ـ العصمة :

إن الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم معصومون عن الذنوب ، صادقون فيما يخبرون الناس من أمر الدين والدنيا ، عالمون بما أنزل اليهم من ربهم ... (٣)

ويقول العلامة ابن كمال في تفصيل المذاهب والآراء في عصمة الأنبياء في رسالته " عقائد مختصره " ما معربه :

" فالأنبياء عليهم السلام معصومون عن الكفر بالاجماع (٤)

وأما بعد الوحي فهم معصومون عن تعمد الكبيرة عند جمهور العلماء ، خلافا للمشبهة (٥) ، وجوزوا صدور الكبيرة منهم على سبيل السهو .

وأما عند المعتزلة : فلا يجوز صدور الصغيرة منهم عمدا .

---

(١) انظر أيضا : البغدادي : أصول الدين ص ١٦٧ ؛ وانظر نقد ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤ /٣١٨ .

(٢) ابن كمال : رسالة المنيرة ص ١١ . نقل ابن كمال هذا الكلام عن شرح العقائد ص ١٨٨ للعلامة التفتازاني ، وارتضاه . ونقله أيضا العلامة ملا على القاري في شرح الفقه الأكبر ص ١٨٢ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ٧ ؛ ورسالة في تفصيل الإيمان ق /١٣ أ .

(٤) وقد ذكر هذا الاجماع كثيرون ، منهم : شارحا المسايرة ابن قطلوبغا ، والكمال ابن أبي شريف في شرح المسايرة ص ١٩٥ ؛ والتفتازاني في شرح العقائد ص ١٧٠ ، وشرح المقاصد ٥ /٤٩ ؛ والسيد الشريف في شرح المواقف ص ٥٦٧ ؛ والقاضي عياض في الشفا ٢ /٣٢٨ ، ٣٩٣ .

(٥) وهم الكرامية . قال الامام ابن حزم في الفصل (٤ /٥) : " فذهبت طائفة الى أن رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله عز وجل في جميع الكبائر والصغائر عمدا ، حاشا الكذب في التبليغ فقط ، وهذا قول الكرامية من المرجئة " .
انظر أيضا : الأشعري : مقالات الاسلاميين ص ١٥١ ، والبغدادي : أصول الدين ص ١٦٨ .

وأما عند الشيعة (١) : فلا يجوز صدور أي ذنب منهم ، ولكنهم يجوزون عليهم إظهار كلمة الكفر خوفا من العدو على سبيل التقية " (٢).

ونراه يدافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة في العصمة ، وذلك في تفسير الآيات التي قد يفهم منها صدور أفعال مخلة بالعصمة من الأنبياء عليهم السلام ..

قال عقب تفسير الآيات المتعلقة بقصة آدم عليه السلام : أكله من الشجرة ، وخروجه من الجنة ، وهبوطه الى الأرض : " ولا متمسك للحشوية في هذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم السلام ، لأن مبناه على أن يكون آدم عليه السلام نبيا (٣) ، وأن يكون النهي تكليفيا (٤) ، وأن لا تكون التوبة الا عن معصية ، وواحد منها غير مسلم " (٥).

---

(١) في الاصل : الأشعرية ، وهو خطأ بين، والصواب ما أثبته . انظر رأى الأشعرية في المصادر المذكورة أعلاه ، وفي عصمة الأنبياء للرازي ص٢٦ ، ٢٨ ، وشرح الفقه الأكبر للقاري ص ٩٣ .

(٢) ابن كمال باشا : عقائد مختصرة ق ٦٢/أ .

(٣) قال التفتازاني في شرح المقاصد ٥٣/٥ : " انه كان قبل البعثة ، ولم تكن له في الجنة أمة " انظر أيضا : القاضي عياض : الشفا ٣٦٨/٢ ، الرازي : عصمة الأنبياء /٣٧ .

(٤) " اذ لاتكليف في تلك الدار . وحقيقة العصيان ــ بحسب اللغة ــ : المخالفة لمطلق الأمر ، لا المخالفة للأمر التكليفي خاصة ، ... فلايتجه أن يقال : إن عصيان آدم عليه السلام كان ذنبا... لأنه إنما يكون ذنبا أن لو كان الأمر الذي كان مخالفته عصيانا تكليفيا إيجابيا ، وقد عرفت أنه ليس كذلك .
واعلم أن عتاب الله تعالى آدم عليه السلام في قوله (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) (الاعراف /٢٢) عتاب تلطيف وتأديب ، لاعتاب تعنيف ، وتعذيب ، وتنزيله من السماء الى الأرض بأمر (اهبطا منها جميعا) (طه/١٢٣) تكميل، وتبعيده تقريب " (ابن كمال باشا : ر. في الجبر والقدر ، ضمن رسائل ابن كمال باشا ١٧٥ ــ ١٧٦) .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٣/١ (الحرم المكي) .

وقال أيضا فى تفسيرقوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) (١) : " وفى النعى عليه بالغى مع صغر زلته تعظيم لها ، وتشديد عليه فى العتاب ، وتغليظ لعلو مرتبته ، وعدم مناسبة الزلة لمقامه ، وزجر بليغ وموعظة كافية لأولاده (٢) " (٣)

وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز لتبرئة ساحة يوسف عليه السلام من صدور أى ذنب مخل بعصمته (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) (٤) ، قال : " فامتنع طالبا للعصمة ، أقرت لهن حين عرفت أنهن عذرنها ، كى تعاونّها على إلانة عريكته .

الاستعصام : بناء مبالغة ، يدل على الامتناع البليغ ، والتحفظ الشديد ، كأنه فى عصمة ، وهو يجتهد فى الاستزادة منها ... وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لامزيد عليه ، وبرهان لاشئ أنور منه على غاية عصمته ، ونهاية طهارته ، وفى الفاء التعقيبية دلالة على أنه ما صدر عن يوسف عليه السلام بين المراودة والاستعصام فعل يفصله عنها .

فمن هنا تبين أن الواقع من جانبه عليه السلام مجرد همّ (٥) غير اختيارى ، فما زيد على ذلك ، وذكر فى كتب التفسير والقصص مردود بنص الكتاب ، فافهم والله الهادى الى الصواب " (٦) .

---

(١) طه / ١٢١ .

(٢) " ... وموعظة كافية لأولاده عنها ، بدليل قوله تعالى قبله (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى) (طه/١١٥) فقد أخبر تعالى بأنه نسى العهد ، وهو أمره تعالى بأن لايقرب الشجرة ، ومن المعلوم أن النسيان لامؤاخذة عليه ولا عذاب ، ولا توبيخ ولاعتاب ، بدليل الحديث الوارد عن سيد الأحباب صلى الله عليه وسلم " (ابن عابدين : رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه ، ضمن رسائل ابن عابدين ٣١١/١) انظر أيضا : القاضى عياض : الشفا ٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٦٤ ب . (٤) يوسف/ ٣٢ .

(٥) هو الهم المذكور ـ فى قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها لو لا أن رأى برهان ربه ..) يوسف/٢٤ ـ وهو ميل النفس ، لاالقصد الاختيارى (تفسير ابن كمال ٣٥٧ ب) .

(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٥٣ ب : انظر كذلك : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٩٧ .

ولقد رد على الزمخشري المعتزلي في نسبته الخطأ الى نبينا عليه الصلاة والسلام في تفسير قوله تعالى (عفا الله عنك) " الاخبار عن العفو مقصود بالإفادة ، فلا يكون كناية عن الخطأ ، نعم يفهم منه وجود الخطأ بطريق الاقتضاء .

وهذا من لطيف المعاتبة ، ولو لم يفتح باب المخاطبة بالعفو لما كان عليه السلام يتحمل بقوله تعالى (لم أذنت لهم) (١) ، ولا يخفى ما في تقديم العفو على ذكر ما يوهم العتاب من تعظيم شأنه عليه السلام ، والتنبيه على لطف مكانه ، ومن لم يتنبه لذلك قال (٢) : " إنه كناية عن الجناية ، ومعناه : أخطأت ، وبئس ما فعلت " .

ثم انه لم يدر أن الاذن المذكور من قبيل الخطأ في الاجتهاد ، فهو مظنة الثواب ، لا العتاب ، والله أعلم بالصواب " (٣) .

وهكذا مضى العلامة ابن كمال باشا في الدفاع عن أنبياء الله تعالى ورسله ، وتنزيه ساحتهم مما نسب اليهم من خلال تفسيره الآيات التي قد يوهم ظاهرها صدور الأفعال المنافية لعصمتهم ...

---

(١) التوبة / ٤٣ .

(٢) وهو الزمخشري المعتزلي في تفسيره الكشاف ٢ / ١٥٣ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٩٢ أ . انظر أيضا رد العلامة أبي السعود على الزمخشري في إرشاد العقل السليم ٤ / ٦٩ ، تجد عنده كلاما نفيسا في الرد عليه .

ـ تحليـــــل ونقـــــــد ـ

والـذى ذهـب اليـه ابـن كمال باشا مـن أن الأنبيـاء عليهـم السلام صفـوة الخلـق ، المختارون مـن بـين النـاس ، الموصوفـون بالصفـات الممتـازة هـو مدلـول الآيات الكريمة والأحـاديث النبويـة الشريفـة ، وهـو مـا ذهب اليـه أئمـة السلف والمتكلمـين وأهـل الحديث .. وهـذا الاصطفـاء وذلك الاختيـار لهدايـة البشريـة الـى صراط مستقيم ، وإخراجهـم مـن الظلمات الـى النور.

قال تعالـى (... اللـه يصطفـى مـن الملائكـة رسـلا ومـن الناس) (١)

وقال تعالـى (إن الله اصطفـى آدم ونوحـا وآل ابراهـيم وآل عمرآن علـى العالمـين) (٢).

وقـال تعالـى فى وصفهـم (... كل مـن الصالحـين) (٣) ، (وكـل مـن الأخيـار) (٤) ، (... وكلا جعلنا صالحين) (٥) .

وقال تعالى حكاية علـى لسـانهم (إنى لكـم رسول أمين) (٦) ، لأنهم كانوا مشهورين بالأمانة فى قومهم كنبينا محمد صلى اللـه عليه وسلـم فى قريـش (٧).

ثـم إننا لانرى فيما ذهب اليـه العلامـة ابـن كمال باشا مـن الصفـات الواجبـة للأنبيـاء عليهـم السـلام شيئا يخالـف عقيدة أهـل السنة والجماعـة .

١ ـ أما بالنسبة للذكـورة :

فانـه استشهد فـى اشتراطهـا عليهم بالآيـات الكريمـة ، وبين وجـه الاستشهاد بهـا علـى أحسن بيان وأكملـه .. وكذلك استـدل بالعقل مـع بيـان وجـه الدلالـة فيـه علـى أتـم وجـه.

فتـأكيـداً لما ذكره ابن كمال باشا وعـلاوة عليـه نذكر أن النبـوة مـن شروطها

---

(١) الحـج /٧٥ .   (٢) آل عمـران/٣٣ .   (٣) الأنعام/٨٥ .

(٤) ص / ٤٨ .   (٥) الأنبيـاء/٧٢ .

(٦) الشعراء/١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٧٨ .

(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٢٢ أ .

كمال العقل ، والنساء ناقصات عقل ، ولذلك لايصلحن للنبوة ، يشهد لذلك قوله تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر إحداهما الأخرى) (١) .

كما يشهد له أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :"مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لبّ منكن " (٢) .

ويقول الحافظ ابن كثير ــ وهو أحد مقرري مذهب السلف ــ : " الذى عليه أهل السنة والجماعة ، وهو الذى نقله الشيخ أبو الحسن الأشعرى عنهم ، أنه ليس فى النساء نبية ، وإنما فيهن صدّيقات " (٣) .

٢ ــ وأما بالنسبة للصدق :

الذى هو ضد الكذب فهو " واجب فى حقهم عقلا وشرعا ، وهو مطابقة أخبارهم للواقع (٤) إيجابا وسلبا ، اذ لو جاز عليهم الكذب ــ الذى هو عدم مطابقة الواقع ــ لجاز الكذب فى خبره تعالى ، لتصديقه إياهم بالمعجزة المنزلة منزلة قوله " صدق عبدى فى كل مايبلغ عنى " ، وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب ، والكذب على الله تعالى محال ، فملزومه ــ وهو عدم صدقهم ــ محال ، واذا استحال عدم صدقهم وجب صدقهم ، وهو المطلوب (٥) .

---

(١) البقرة /٢٨٢ .

(٢) متفق عليه. أخرجه البخارى (١/٤٠٥) فى كتاب (٦) الحيض ، باب (٦) ترك الحائض الصوم ، رقم/٣٠٤ .

ومسلم (١/٨٧) فى كتاب (١) الايمان ، باب (٣٥) بيان اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، رقم ٧٩ ، ٨٠ واللفظ له.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٢/٢٦٥ . انظر كذلك ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٤/٣٩٦ .

(٤) ولو بحسب اعتقادهم ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم " كل ذلك لم يكن " لما قال له ذو اليدين : أقصرت الصلاة ، أم نسيت يارسول الله ! حين سلم من ركعتين (البيجورى : تحفة المريد ص ١٢٢) انظر أيضا : الشيخ بخيت : القول المفيد ص ٤٧ .

(٥) السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٣٠٧ ، البيجورى : تحفة المريد ١٢٢ ، الظواهرى : التحقيق التام ص ١٦٢ .

٣ ـ وأما بالنسبة للأمانة :

ـ التي هو ضد الخيانة ـ : وهى حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهى عنه ، إذ لو جاز عليهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه ـ على قول ـ لكنا مأمورين به ، لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل ، والله تعالى لا يأمر بمحرم ولا بمكروه ، فقد قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (١) .

٤ ـ وأما بالنسبة لكمال العقل ، أو الفطانة :

وهى حدة العقل وذكاؤه ، وسرعة الإدراك ، وقوة الحجة ، والتيقظ لإلزام الخصوم ورد دعاويهم الباطلة ..

فالدليل على وجوب ثبوت الفطانة للرسل عليهم السلام آيات كثيرة ، تحتوى على محاجة ومجادلة بين الرسل وأقوامهم ، فكانوا يلزمون خصومهم بالحجج الدامغة ، ويفحمونهم بالبراهين القاطعة ، مثل قوله تعالى (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الملك ، إذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت ، قال : أنا أحيى وأميت ، قال إبراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين) (٢) ، والذى سبق أن ذكرنا تفسير العلامة ابن كمال باشا لهذه الآية ...

وقوله تعالى حكاية عن قوم نوح عليه السلام (قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) (٣) ، أى خاصمتنا ، فأطلت جدالنا ، وحاججتنا ، أوأوتيت بأنواعه ... وماثبت لنوح وابراهيم عليهما السلام يثبت لإخوانهما الأنبياء ، لأنهم

---

(١) الحشر/٧ . انظر : السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٣٠٨ ، البيجورى : تحفة المريد ص١٢١ ، د . البوطى : كبرى اليقينيات الكونية/٢٠٣ ، الظواهرى : التحقيق التام ص١٦٤ ، الشيخ بخيت : القول المفيد ص٤٨ .

(٢) البقرة/٢٥٨ . (٣) هود /٣٢ .

لأنهم مثلهما [١].

ومن لم يكن فطنا بأن كان مغفلا لايمكنه القيام بما أرسلوا لأجله ، ولايمكنه كذلك إقامة الحجة ، ولا المجادلة ، فتضيع حينئذ فائدة الرسالة [٢].

٥ ـ وأما بالنسبة للتبليغ :

وهو إيصال ما أمرهم الله تعالى بتبليغه الى الخلق ، من غير زيادة ، أو نقصان ، أو تبديل ، أو تحريف .

والدليل على وجوب تبليغهم : أنهم لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه للخلق ، لكنا مأمورين بكتمان العلم ، لأن الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم ، واللازم باطل ، لأن كاتم العلم ملعون ..

وأيضا لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه لضاعت الفائدة من إرسالهم ..

ولو جاز عليهم كتمان شيء لكتم خاتمهم صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك ، واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس ، والله أحق أن تخشاه) [٣] ، وسائر آيات العتاب أيضا ، لكنه صلى الله عليه وسلم لم يكتم آية واحدة ....

ولذلك تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : " لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية .. " [٤]

وأخرج البخارى عنها أيضا أنها قالت: " من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أنزل عليه فقد كذب ، والله يقول (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك) [٥] ".

وقد شهدت لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ـ وهم العدول

---

(١) الشيخ بخيت : القول المفيد /٤٨ .

(٢) البيجورى : تحفة المريد ص١٢٢ ، د . الحديدى : عصمة الأنبياء ٥٩ ـ ٦٠ ، الظواهرى : التحقيق التام/١٦٣ ، الشيخ بخيت : القول المفيد ص٤٩ .

(٣) الأحزاب /٣٧ .

(٤) أخرجه مسلم (١/١٦٠) فى كتاب (١) الايمان ، باب (٧٧) معنى قول الله عز وجل : ولقد رآه نزلة أخرى ... ، رقم/١٧٧ .

(٥) المائدة/٦٧ . والحديث أخرجه البخارى (٨/٢٧٥) فى كتاب (٦٥) التفسير، =

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا) (١) ـ بأنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، حين خاطبهم في حجة الوداع.

أخرج مسلم وغيره عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى حديث طويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته يومئذ : " وأنتم تسألون عنى ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال ، باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها الى الناس ـ : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات ..." (٢)

فالرسل جميعا قد بلغوا كل ما أمرهم الله عز وجل بتبليغه مما أنزل اليهم ، ولم يكتموا منه شيئا ، لأن ما ثبت لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يثبت لجميع الرسل عليهم السلام.(٣)

٦ ـ وأما بالنسبة لعصمتهم عن الذنوب :

فقد بين العلامة ابن كمال باشا مذهب جمهور المتكلمين ، وكذلك المذاهب الأخرى بالتفصيل ، الا أنه لم يتطرق الى عصمة الأنبياء عليهم السلام عن الصغائر ، مع الإشارة الى أنهم معصومون عن تعمد الكبيرة ـ عند الجمهور ـ ، وجواز صدورها منهم على سبيل السهو ..

ولكن الإمام ابن الهمام وتلميذه ابن أبي شريف قالا : " (والمختار)

= تفسير سورة المائدة ، باب (٧) " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك "، رقم/٤٦١٢ ، وكذلك /٧٥٣١ .

(١) البقرة /١٤٣ .

(٢) جزء من الحديث الذى أخرجه مسلم (٢/٨٨٦ـ٨٩٢) فى كتاب (١٥) الحج ، باب (١٩) حجة النبى صلى الله عليه وسلم ، رقم ١٢١٨ .
وأبو داود (٢/٤٥٥ـ٤٦٤) فى كتاب (٥) المناسك ، باب (٥٧) حجة النبى صلى الله عليه وسلم ، رقم /١٩٠٥ .
وابن ماجه (٢/١٠٢٢ـ١٠٢٧) فى كتاب (٢٥) المناسك ، باب (٨٤) حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم /٣٠٧٤ .

(٣) البيجوري : تحفة المريد ١٢٣ ؛ الشيخ بخيت : القول المفيد ص ٤٨ ، د . الحديدى : عصمة الأنبياء ٥٦ ـ ٥٩ .

لجمهور أهل السنة (العصمة) أي وجوب عصمتهم (عنهما) أي عن الكبائر مطلقا ، وعن الصغائر (الا الصغائر غير المنفرة) ، حال إتيان كون غير المنفرة (خطأ) في التأويل ، (أو سهوا) مع التنبيه عليه .

وأما الصغائر المنفرة كسرقة لقمة أو حبة ، - وتسمى صغائر الخِسّة - فهم معصومون عنها مطلقا " (١).

وقال الامام النووي (٢) : " هو مذهب المحققين من المتكلمين والمحدثين "

وهذا كله بعد الوحي والنبوة ..

وأما قبله فقد اختلفوا ، فأوجب بعضهم العصمة عن الكبائر والصغائر ، وأجاز بعضهم وقوع الصغائر منهم سوى المنفرات .

والحق - كما يقول العلامة السعد - : منع ما توجب النفرة منهم ، كعهر الأمهات والفجور (٣) ، والصغائر الدالة على الخسة (٤) .

---

(١) المسايرة مع شرحها المسامرة ص ١٩٩ ، ونقل الملا على القاري قولهما في شرح الفقه الأكبر ص ٩٣ ، وارتضاه .. ولكن حصل في كلامهما تحريف في تلك الطبعة..
انظر كذلك : موافقة التفتازاني للكمال بن الهمام وتلميذه في شرح المقاصد ٥/ ٥٠-٥١ ؛ والبغدادي في أصول الدين/١٦٨ ، والجرجاني في شرح المواقف ٥٦٧-٥٦٨ ؛ والقاضي عياض في الشفا ٢/٣٩٣ ؛ وزين الدين العراقي في لوامح الأنوار للسفاريني ٢/٣٠٤-٣٠٥ ؛ والتقي السبكي في طبقات الشافعية الكبرى لابنه ١٠/٢٩٥ ؛ والبياضي في إشارات المرام ص ٣١٩ وقال : " هذا مذهب أئمتنا " ، والشيخ بخيت في القول المفيد ٤٨-٤٩ ، والبزدوي في أصول الدين/١٦٧.

(٢) نقلا عن " إشارات المرام " للبياضي ص ٥٦ ، ٣٢٢ .

(٣) لذلك يرى العلامة ابن كمال باشا أن خيانة أمراة نوح وامرأة لوط عليهما السلام " ليست بالفجور ، وانما هي بالكفر والنفاق " (رسالة في تحقيق التغليب ، ضمن رسائل ابن كمال بالمحمودية/٢٥٩٧ ، ق/٢٤٧ ب) .

(٤) التفتازاني : شرح العقائد ص ١٧١ ، السفاريني : لوامح الأنوار ٢/٣٠٥ ، القاضي عياض : الشفا ٢/٣٣٠ ، السيد الشريف : شرح المواقف/٥٦٨ ، د . حسن عتر : نبوة محمد في القرآن/٢٤٠ . هذا ، وقد عدّ الامام ابن الهمام والعلامة السعد والبياضي والسفاريني : الذكورة ، وكمال العقل ، وقوة الرأي ، والسلامة من دناءة الآباء ، وغمز الأمهات ، والقسوة ، والعيوب المنفرة كالبرص والجذام ، وقلة =

وبعد هذا العرض المفصل يظهر أن ماذهب اليه ابن كمال باشا من عصمة الأنبياء عن تعمد الكبائر ، وجوازصدورها عنهم على سبيل السهو ، وكذلك جواز صدور الصغائر عنهم فهو مذهب جماعة من السلف ، ومذهب أبي جعفر الطبرى ، وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين (١) .

الا أنه ليس مذهبا مختارا لدى جماعة من المحققين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين (٢) .

= المروءة ، كالأكل على الطريق ، ودناءة الصناعة كالحجامة ، وكل مايخل بحكمة البعثة من شروط النبوة .. (المسايرة مع شرحها المسامرة ١٩٤ ــ ١٩٥ ، شرح المقاصد ٦١/٥ ، إشارات المرام ص ٣٢٩ ، لوامع الأنوار ٢٦٧/٢) .

(١) القاضى عياض : الشفا ٣٢٨/٢ . انظر كذلك : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٣١٩/٤ .

(٢) القاضى عياض : الشفا ٣٢٩/٢ ، ٣٩٣ ، البياضى : إشارات المرام ٣١٩ ، ٣٢٢ ، الشيخ بخيت : القول المفيد ص ٤٩ .

الفصل الثاني

إمكان البعثة وحكمها

امكان البعثة

لم يرد خلاف بين المسلمين فى إمكان بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام ووقوعها، وإنما اختلفوا فى كونها جائزة ، أو واجبة ، وكلاهما داخل فى نطاق الامكان العام .

أما المعتزلة — وتبعتهم الشيعة — فقالت بوجوب البعثة على الله تعالى بناء على أصلهم فى وجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى ، فقالوا : ان النظام المؤدى الى صلاح حال النوع الانسانى على العموم فى المعاش والمعاد لا يتم الا ببعثة الأنبياء ، فيكون إرسالهم من اللطف بالخلق ، وفيه صلاحهم ، وهو الأصلح لهم ، وكل ما هو كذلك فهو واجب على الله تعالى (١) .

وقال جمهور المتكلمين : إنها من قبيل الممكنات فى العقل ، والله تعالى فاعل مختار ، لايجب عليه تعالى فعل شىء منها أو تركه . " إن ربك فعال لما يريد " (٢) ثم انه من الجائز عقلا أن يودع الله تعالى فى غرائز عقول البشر معرفة كل ما يحتاجون اليه فى معاشهم ومعادهم ، وما يوجب السعادة والشقاوة ، فلا يحتاجون بعد ذلك الى إرسال الرسل (٣) .

وأما صاحبنا العلامة ابن كمال باشا يرى أن بعثة الأنبياء جائزة عقلا ، بل إنها واجبة لكونها من مقتضيات الحكمة ، ولكونها واقعة سمعا (٤) ، حيث يقول : " ويعترف اعتراف مصدق بجواز إرسال الرسل ، مبشرين ومنذرين ، من الله تعالى ، ليبينوا للناس مصالح داريهم ، لأنه واجب بقضية الحكمة ،

---

(١) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ٥٦٣ — ٥٦٤؛ التفتازانى : شرح المقاصد ٥/٦٠٧٠ ابن أبى شريف : المسامرة ص ١٩١ .

(٢) هود /١٠٧ .

(٣) بخيت : القول المفيد ص ٥٧ .

(٤) انظر أيضا : السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢٥٦، ٢٥٩ .

اذ لاريب أن فيما خلق الله تعالى من جواهر العالم ما يتعلق به صلاح الأبدان ، وما يحصل به تلفها ، وليس في قوى العقول إمكان الوقوف على مافيه مصلحة ليقدموا عليه ، وعلى مافيه مضرة ليجتنبوا عنه ، فاقتضت الحكمة من الله تعالى ورود الرسل والأنبياء المعصومين عما يسقط أقدارهم ، ليبينوا للناس مافيه صلاحهم ، ويعلمهم مافيه فسادهم " ،

ثم أشار الى أنها وقعت فعلا فقال : " وقد جاءوا ، وبينوا ، وبلغوا ما أنزل اليهم من ربهم " ، ثم بين إيمانه بهؤلاء الرسل والأنبياء ، وحمد الله تعالى على إحسانه هذا ولطفه ، فقال : " ونحن على ذلك شاهدون ، ولربنا حامدون " (١) .

والذى ذهب اليه ابن كمال باشا هو رأى محققى الحنفية ..

هذا ، فلا بد من الاشارة هنا الى الفرق بين وجوب الرسالة عند المعتزلة ووجوبها وكونها من مقتضيات الحكمة عند محققى الحنفية :

ان الحنفية لايعنون بالوجوب بقضية الحكمة ، أنها تجب على الله تعالى بإيجاب أحد ، أو بايجابه على نفسه ، بل يريدون أنها متحققة الوجود ، وأنها ثابتة لابد منها ، لكون الرسالة من مقتضيات حكمة البارى ، ولأن تركها سفه لايليق بالحكيم ، فاقتضاء الحكمة يرجح جانب الوقوع فقط ، مع جواز الترك فى نفسه .

وهذا بخلاف الوجوب عند المعتزلة ، فانهم يعنون به الوجوب على الله تعالى ، بايجاب أحد ، أو بايجابه على نفسه ، وذلك بناء على قاعدتهم القائلة بوجوب الأصلح للعباد على الله تعالى (٢) .

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة/١٩٣ أ .

(٢) أبو المعين النسفى : التمهيد ٢٣٢ ـ ٢٣٣ مع الهامش ، النسفى : الاعتماد ق/٣٨ أ ـ ب ، ابن قطلوبغا : شرح المسايرة للكمال بن الهمام (نقلا عن أبى المعين النسفى) ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

ومع ذلك يقول الامام الصابوني البخاري الحنفي صاحب " الكفاية " في أصول الدين : " امتنع عامة أصحابنا عن إطلاق الواجب في باب الرسالة، لئلا يتوهم المشابهة بمذهب المعتزلة في وجوب الأصلح على الله تعالى، وهذا أحوط، والله تعالى أعلم " (١).

وأجاب العلامة ابن كمال باشا على سؤال في الحكمة من إرسال الرسل بقوله : " ان الله تعالى خلق الانسان، وقدر له البقاء بقدر عمره، ثم جعل لبقاء عمره أسبابا، وهي الطعام والشراب واللباس والمسكن ونحوها، فكان الانسان حريصا بسبب بقاء عمره الى جميع هذه الأسباب، فلم يقتنع بما رزقه الله تعالى له، فتجاوز بالظلم، والغصب والسرقة والقتل ونحوها، فلا بد أن يكون الرجل الواحد من صاحب الشرع رسولاً لهم، فيمنعهم عن هذه الفسادات، ويجعل بشرعه وحكمه نظاما فيما بينهم في هذا العالم، فلا يكون هذا العالم خرابا، ويرشدهم الى عبادة ربهم من البدنية والمالية، ليستحقوا بها الجنة في الآخرة، فان لم يكن كذلك يكون الإنسان في الآخرة ضائعا وهلاكا (٢) ".

"ثم إن بعثة الرسل والدعوة الى الحق، والتكليف أمر جرت به السنة الإلهية في الأمم كلها لهدى من أراد اهتداءه، وازدياد ضلال من أراد ضلاله، كالغذاء الصالح الذي ينفع من اعتدل مزاجه، ويضر من انحرف مزاجه" (٣)، و " ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة " (٤)، لأن الله تعالى حكيم، لايخل " بشيء من أسباب كما لهم، ووسائل اهتدائهم، كنقص حواسهم، وسلب عقولهم وبصائرهم، وإهمالهم سدى

---

(١) نقلا عن ابن قطلوبغا في شرح المسايرة ص ١٩٢.

(٢) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ١٠.

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٩٩ أ.

(٤) الأنفال / ٤٢.

بلا تنبيه ببعثة الرسل وإنزال الكتب " (١) ، (إن الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) (٢) ، وإنما أرسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه قطعا لأعذارهم ، وإلزاماً للحجة عليهم " (٣) . (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٤) ، (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) (٥) ، (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) (٦) ، " يعني أنه لو أهلكهم وهم غافلون ، لم ينتهوا برسول وكتاب لكان ظلما ، وهو تعالى منزه عن الظلم " (٧) .

النبوة ليست مكتسبة وانما هي اصطفاء واختيار : النبوة اصطفاء ونعمة ورحمة من الله ، يمن بها على من يشاء من عباده ويختار ، قال تعالى (ولقد مننا) أي أنعمنا (على موسى وهٰرون) (٨) بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية .. " (٩) . وقال تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) (١٠) .

ومن هنا ذهب ابن كمال باشا الى أن النبوة رحمة من الله تعالى على عباده ونعمة عليهم (١١) ، وأنها " ليست بكبر النفس ، ولا بالمال والجاه ، وانما هو بخصائص يخص الله تعالى بها من يشاء من عباده ، ويصطفي بها

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره /٣١٨ أ .
(٢) يونس /٤٤ .
(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١ /١٢٩ ، ٣٩٨ (الحرم المكي) ، ٤١ ه أ ، ٤٢ ه أ .
(٤) النساء /١٦٥ .
(٥) طه /١٣٤ .
(٦) الأنعام /١٣١ .
(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ١ /٣٩٨ (الحرم المكي) .
(٨) الصافات /١١٤ .
(٩) ابن كمال باشا : تفسيره ٦٠٦ ب .
(١٠) الحج /٧٥ .
(١١) ابن كمال باشا : تفسيره ١ /٢٨١ (الحرم المكي) .

من يعلم أنه يصلح لها ، وهو يعلم بالمحل الذى يضعها فيه ...
انه يعلم نفس المحل المستحق لوضع الرسالة فيه ، لا أشياء فى المحل "[١]
(الله أعلم حيث يجعل رسالته)[٢] .

وهذا هو رأى جمهور السلف والأئمة . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن بين رأى الجهمية والأشاعرة ، والمعتزلة والشيعة ، والفلاسفة فى النبوة :

" والقول الرابع :- وهو الذى عليه جمهور سلف الأمة وأئمتها وكثير من النظار - أن الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، فالنبى يختص بصفات ميّزه الله بها على غيره ، فى عقله ودينه ، واستعد بها لأن يخصه الله بفضله ورحمته ، كما قال تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)[٣] . وقال تعالى (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[٤] . وقال تعالى لما ذكر الأنبياء بقوله (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين. وزكريا ويحى وعيسى وإلياس كل من الصالحين. وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم)[٥] .
فأخبر أنه اجتباهم وهداهم "[٦]

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٩٥ (الحرم المكى) .
(٢) الأنعام/١٢٤ . (٣) الزخرف/٣١ - ٣٢ .
(٤) البقرة /١٠٥ . (٥) الأنعام/٨٤ - ٨٧ .
(٦) منهاج السنة النبوية ٢/٤١٦ - ٤١٧ .

ولاتبتنى النبوة على استحقاق من المبعوث واجتماع شروط فيه كما زعمه الفلاسفة يقول شارح الطحاوية : " وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه ، وخصوصا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)(١) . وقال تعالى (وما أرسلناك الارحمة للعالمين)(٢) "(٣)

وهو أيضا رأى الأشاعرة ، يقول الشهرستانى : " قال أهل الحق : النبوة ليست صفة راجعة الى نفس النبى ، ولادرجة يبلغ اليها أحد بعلمه وكسبه ، ولا استعداد نفسه ، يستحق به اتصالا بالروحانيات ، بل رحمة من الله تعالى ، ونعمة يمن بها على من يشاء من عباده "(٤) .

ومن هنا يظهر جليا موافقة ابن كمال باشا لمذهب السلف والمتكلمين ومخالفته لمذهب الفلاسفة .

---

(١) آل عمران/١٦٤ . (٢) الأنبياء/١٠٧ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٤) نهاية الاقدام ص ٤٦٢ ، وانظر كذلك : السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢٦٧ـ ٢٦٨ ؛ الآمدى : غاية المرام ص ٣١٧ .

– نقــد وتحليــــــــل –

يرى السلف ومعهم جمهور الحنفيةوابن كمال باشا أن الله تعالى حكيم، ولا يخلو فعل من أفعاله تعالى عن حكمة وغاية حميدة ..

والحكمة عندهم مقصودة له تعالى، يفعل لأجلها، لأنه يحبها ويرضاها (١). قال العلامة ابن قيم الجوزية: " ان الله سبحانه حكيم، لايفعل شيئا عبثا، ولالغير معنى ومصلحة وحكمة، هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرةعن حكمة بالغة، لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا، وهذا في مواضع لاتكاد تحصى" (٢).

وقال أيضا: "إن كمال الرب تعالى، وجلاله وحكمته وعدله ورحمته وقدرته واحسانه وحمده ومجده وحقائق أسمائه الحسنى تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة، ولا لغاية مطلوبة، وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك، وتشهد ببطلانه" (٣).

فليست الحكمة عندهم مطلق المشيئة والإرادة، والا كان كل مريد حكيما.

ثم ان القول بالحكمة والتعليل مذهب جمهور أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (٤): "أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة ....

وقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم: بل هو حكيم في خلقه وأمره، والحكمة ليست مطلق المشيئة، إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيما، ومعلوم أن الارادة تنقسم الى محمودة ومذمومة، بل الحكمة تتضمن مافي

---

(١) زمزم آدم: الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ص ٣١.

(٢) شفاء العليل ص ١٩٠، وانظر كذلك: مفتاح دار السعادة، له، ٤٢/٢.

(٣) شفاء العليل ص ٢٠٤.

(٤) منهاج السنة النبوية ١٤١/١، ١٤٣ – ١٤٤، انظر كذلك ٤٥٤/١ – ٤٥٥، ٤٦٤ – ٤٦٥، ودرء تعارض العقل والنقل ٥٤/٨ – ٥٦، ١١٠/٩ – ١١١.

خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة ، والقول باثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة فقط ، بل هو قول جماهير طوائف المسلمين من أهل التفسير والفقه والحديث والتصوف والكلام وغيرهم ... والحنفية هم من أهل السنة القائلين بالقدر ، وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح - الى أن قال - وأكثر أهل السنة على إثبات الحكمة والتعليل " في أفعاله وأحكامه تعالى .

ولذلك نرى جمهور الحنفية ومعهم ابن كمال باشا يقولون : إن ارسال الرسل واجب بقضية الحكمة ، فيعنون به أن قضية الحكمة تقتضيه ، لما فيه من الحكم والمصالح ، وليس ممتنع كما زعمت السمنية والبراهمة ، ولا بممكن يستوى طرفاه كما ذهب اليه بعض المتكلمين ، وقد يعنون به أيضا وجوب الوقوع لتعلق العلم القديم بوقوعه .. (١)

وسبق أن بينا الفرق بين معنى الوجوب عند الحنفية وبين معناه عند المعتزلة زيادة بيان ، فلا نعيده هنا مرة أخرى .

وأما المعتزلة فقد أساءوا الأدب مع الله تعالى ، حيث أوجبوا عليه تعالى ماحكمت عقولهم بحسنه ، ووضعوا له شريعة من عند أنفسهم ، فقاسوه بخلقه فيما ينبغي أن يفعل ، وما لاينبغي أن يفعل ، فشبهوا الخالق بالمخلوق .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " ولكن المعتزلة ونحوهم ومن وافقهم من الشيعة النافين للقدر يوجبون على الله من جنس مايوجبون على العباد ، ويحرمون عليه مايحرمونه على العباد ، ويضعون له شريعة بقياسه على خلقه ، فهم مشبهة الأفعال .

وأما المثبتون للقدر من أهل السنة والشيعة فمتفقون على أن الله تعالى لايقاس بخلقه في أفعاله ، كما لايقاس بهم في ذاته وصفاته ، فليس

---

(١) التفتازاني : شرح العقائد ١٦٤-١٦٥ ؛ الكمال بن أبي شريف : المسامرة/١٩٢ .

كمثله شيء ، لافي ذاته ،ولا في صفاته ، ولا في أفعاله . وليس ماوجب على أحدنا وجب مثله على الله تعالى، ولا ماحرم على أحدنا حرم مثله على الله تعالى ، ولا ماقبح منا قبح من الله ، ولاماحسن من الله تعالى حسن من أحدنا ، وليس لأحد منا أن يوجب على الله تعالى شيئا ، فهذا أصل قولهم الذى اتفقوا عليه .

واتفقوا على أن الله تعالى إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه واجبا بحكم وعده ، فانه الصادق في خبره الذى لايخلف الميعاد - الى أن قال - وأما أن العباد يوجبون عليه ، أو يحرمون عليه فممتنع عند أهل السنة كلهم . ومن قال : انه أوجب على نفسه ، أو حرم على نفسه ، فهذا الوجوب والتحريم يعلم عندهم بالسمع " (١) .

وبذلك يظهر أن إطلاق الوجوب على الله تعالى ، بمعنى الايجاب على نفسه بمقتضى حكمته ووعده صحيح ، بل نطق بذلك الكتاب والسنة (٢) . وهو ماذهب اليه ابن كمال باشا وجمهور الحنفية ..

وقال الامام الشاطبي في تحكيم المعتزلة عقولهم :

" تحكيم العقل على الله تعالى ، بحيث يقول : يجب عليه بعثة الرسل ، ويجب عليه الصلاح والأصلح ، ويجب عليه اللطف ، ويجب عليه كذا ، الى آخر ما ينطق به في تلك الأشياء ، وهذا إنما نشأ من ذلك الأصل ، وهو الاعتياد في الإيجاب على العباد . ومن أجَلّ البارى وعظّمه لم يجترئ على إطلاق هذه العبارة ، ولا ألمّ بمعناها في حقه ، لأن ذلك المعتاد إنما حسن في المخلوق من حيث عبد مقصور محصور ممنوع ، والله تعالى مايمنعه شيء ، ولايعارض أحكامه حكم ، فالواجب الوقوف مع قوله (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهدٰيكم أجمعين) (٣) ، وقوله تعالى (ويفعل الله

(١) ابن تيمية : منهاج السنة ١/٤٤٧-٤٤٨ ، ٤٥٢. وانظر كذلك: ابن القيم : مفتاح دار السعادة ٢/١١٠ .

(٢) ابن تيمية : منهاج السنة ١/٤٥٢ . (٣) الأنعام /١٤٩ .

مايشاء) (١) ، وقوله تعالى (ان الله يحكم مايريد) (٢) ، (والله يحكم لامعقب لحكمه) (٣) (ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد) (٤)

فالحاصل من هذه القضية أنه لاينبغي للعقل أن يتقدم بين يدى الشرع ، فانه من التقدم بين يدى الله ورسوله ، بل يكون ملبيا من وراء وراء " (٥) .

واما ماذكره العلامة ابن كمال باشا من حكمة الإرسال وبيان ضرورة الحاجة الى البعثة من نوع البشر لإقامة النظام فيما بينهم ، وارشادهم الى عبادة ربهم ، لينالوا بها سعادة داريهم ، ولئلايكونوا ضائعين فيهما، فهو موافق لما ورد فى النصوص . قال الله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق ، لااله الا هو رب العرش الكريم) (٦) .

قال العلامة ابن القيم : " وبالجملة : فحاجة العالم الى النبوة أعظم من حاجتهم الى نور الشمس ، وأعظم من حاجتهم الى الماء والهواء الذى لاحياة لهم بدونه " (٧) .

وقال العلامة السفارينى : " إن الرسالة ضرورية للعباد ، لاغنى لهم عنها ، وحاجتهم اليها فوق حاجتهم الى كل شىء ، فان الرسالة روح العالم ونوره وحياته فأى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور ؟ " (٨)

---

(١) ابراهيم/٢٧ .　　(٢) المائدة/١ .　　(٣) الرعد /٤١ .

(٤) البروج / ١٥ ـ ١٦ .　　(٥) الشاطبى : الاعتصام ٢/٣٣١ .

(٦) المؤمنون ١١٥ ـ ١١٦ .

(٧) مفتاح دار السعادة ٢/١١٨ . وكذلك السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢٥٦ ، ٢٦٢ .

(٨) لوامع الأنوار ٢/٢٥٩ .

الفصل الثالث

معجزات الأنبياء والرسل

أ ـ أصل لفظها .
ب ـ ركنها .
ج ـ شرائطها .
د ـ وجه دلالتها .

معجزات الأنبياء والرسل

المعجزة :

أ – أصل لفظها

ب – ركنها

جـ – شرائطها

د – وجه دلالتها

تكلم ابن كمال باشا في المعجزة من نواحي عدة ، فلنترك الكلام اليه ليبين لنا هذه النواحي . قال : " الكلام هنا – في المعجزة – في مواضع:

أ – في بيان أصل لفظها

ب – وفي بيان ركنها

جـ – وفي بيان شرائطها

د – وفي بيان وجه دلالتها على الصدق " .

أ – في بيان أصل لفظها :

" المعجزة : مأخوذة من العجز، بمعنى الضعف المقابل للقوة . قال الأزهري في التهذيب (١) : " ومعنى الإعجاز: الفوت ، والسبق ، يقال : أعجزني فلان ، أي فاتني . قال الليث : أعجزني : إذا عجزت عن طلبه وادراكه "

" فالإعجاز : وصف المتحدى ، أسند الى ما تحدى به مجازا ، من قبيل إسناد الشيء الى سببه . ثم جعل اسما للأمر المعهود – الآتي بيانه – فالتاء للنقل من الوصفية الى الإسمية كما في الحقيقة ، وقيل : للمبالغة ، كما في العلامة " (٢) .

(١) ١/٣٤٠ .

(٢) ابن كمال باشا : ر . في تحقيق المعجزة وبيان وجه دلالتها على صدق من ادعى النبوة ص ١٣٧ .

ب ـ ركـــن المعجـــزة :

" فهـو مايعجـز المنكريـن لمـن يدعـى النبوة ، فعـلا كان كشـق القمـر ، أو منعـا لغيره عـن الفعـل .

فان إظهار المعجـزة كما يكون بإتيـان غـير المعتاد ، كذلك يكـون بمنع الغير عـن المعتاد . كما اذا قـالـمـن يدعى النبوة فـى مقام التحدى : إنما أضع يـدى علـى رأسى ، وأنـتم لاتقـدرون عليـه ، ففعـل وعجزوا [1] ، صادرا كان ذلـك الفعـل عنـه صدور الأفعـال الاختياريـة عنـا ، بأن يكـون لكسبـه وارادته مدخل فيـه ، كمـا فـى المثال الأول ، فـان انشقاق القمـر لمـاكان بإشارتـه عليـه السـلام كان لكسبـه وإرادته مدخل فيـه ، أو ظاهـرا على يـده مـن غير صدور منه، بأن لايكـون لكسبـه وإرادته فيـه مدخل ، كالقرآن العظيم والفرقان الكريم ، فانـه معجـز ، ظهر علـى يد نبينـا عليـه السـلام ، ولادخل فيـه لإرادتـه وكسبه [2] .

وانمـا قلنا : صادراكـان ذلك الفعل عنـه ، لأن القسـم المنحى مـن العجز لاحظ لـه مـن هذا التقسيم ، فان منـع المنكر عـن وضـع يـده علـى رأسه مثـلا ، مرجعـه الـى عدم خلق القدرة عليـه ، فلا نسبة لـه الـى مدعى النبوة ، لابالصـدور عنـه ، ولا بالظهور على يـده ، وذلك ظاهـر ، نعـم ، له نسبة اليـه من حيـث إنـه ظهر على وفـق دعـواه ، مقرونـا بتحديـه [3] " .

وعـلى ضوء هـذا التفصيل الدقيق وجـه اعتراضات على السابقين من المتكلمين

---

(١) قال العلامة الخازن فى تفسيره لباب التأويل ١١٨/٢ : " وهى ـ اى المعجزة ـ على ضربين ، فضرب منها : هو على نوع قدرة البشر ، ولكن عجزوا عنه ، فعجزهم عنه دل على أنه من فعل الله ، ودل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم ، كتمنى الموت فى قوله (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) (البقرة/٩٤) . فلما صرفوا عـن تمنيه مع قدرتهم عليه ، علم أنه من عند الله ، ودل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم. والضرب الثاني : ماهو خارج عن قدرة البشر ، كإحياء الموتى ، وقلـب العصا حية ... " . قلت: ومثاله فى القسم المنحى أظهر وأنسب مما ذكره ابن كمال باشا فى منع الغير عن المعتاد ...

(٢) انظر أيضا : رسالة فى تحقيق أن القران معجز لابن كمال باشا ، ق/١١٢ أ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق المعجزة ص١٣٨ .

فـــى تعريفهـــم المعجـــزة .

وجـه اعتراضات علـى تعريـف الفاضل التفتازانى فـى شرح العقائد (١) :

"وهى أمر ، يظهر بخلاف العادات ، علـى يـد مدعـى النبوة ، عنـد تحدى المنكرين، علـى وجـه يعجز المنكرين عـن الإتيان بمثلـه " .

أولا ــ ان قيـد " الظهور علـى يـد مدعى النبوة " لايوجد فى القسم المنعى .

ثانيا ــ المعجز فيـه ــ أى فـى القسم المنعى ــ انمـا هـو المنع ، لا " مـايعجز المنكريـن عـن الإتيان بمثلـه " ، فانـه أمر عادى ، غير خـارق للعادة .

ثالثا ــ قولـه " بخلاف العادات " يأبـى صدق التعريـف المذكور علـى الفعـل الصادر عـن مدعى النبوة فـى القسم المذكـور ، أى المنعـى .

رابعا ــ قولـه " عن الإتيان " يأبـى عـن صدقه علـى المنع الظاهر عقيب تحديـه .

وانتهـى الـى القول : " فعـلى التعريف المذكور يلـزم أن لا يـوجـد المعجزة فـى الصورة المذكـورة وأمثالهـا " .

كما وجـه نقـده علـى تعريفه فـى شرح المقاصـد (٢) القائـل :

" والمعجزة فـى العرف : أمر ، خارق للعـادة ، مقرون بالتحدى ، مـع عـدم المعارضـة " ، وعـلى شرحـه " وانمـا قـال : " أمر " ليتنـاول الفعل كانفجار الماء مـن بـين الأصابع ، وعدمـه ، كعدم إحـراق النـار . ومـن اقتصـر على الفعـل جعـل المعجـز ههنـا كـون النـار بـردا وسـلامـا ، أو بقـاء الجسـم على مـا كان عليـه مـن غيـر احتـراق " ..

حيـث قـال : " إن مبنى توجيهـه الاقتصـار المذكـور الغفول عـن القســم المنعـى للمعجزة ، لما عرفـت أن مرجعـه الـى عـدم خلق القدرة ، فلا فعل أصلا فـى الصـورة المذكـورة " (٣).

---

(١) ص ١٦٦ .

(٢) شرح المقاصد ١١/٥ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق المعجزة ص١٣٨ ــ ١٣٩ .

وعزز رأيه بقول صاحب المواقف[1] : " ولا فعل ثمة ، فان عدم خلق القدرة ليس فعلا ، ومن جعل الترك وجوديا حذفه " ، معلقا على كلام الايجى :

" ولايخفى مافى جعل الترك – ترك خلق القدرة – وجوديا من التعسف "[2] .

ويقول الآمدى فى أبكار الأفكار : " ان المعجز إن كان عدميا كما هو أصل شيخنا ، فالمعجز – يعنى الصورة السالف ذكرها – عدم خلق القدرة ، فلا يكون فعلا ، وان كان وجوديا كما ذهب اليه بعض أصحابنا ، فالمعجز هو خلق العجز فيهم ، فيكون فعلا " مع تعليقه عليه : " والحق أن ماذكره وجه الاعجاز ، لاالمعجز نفسه " .

وكذلك لايسلم تعريف صاحب المواقف[3] ، وشارحه الفاضل[4] للمعجزة بقولهما : " وهى – أى حقيقة المعجزة – بحسب الاصطلاح عندنا : عبارة عما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله " ، من نقد صاحبنا العلامة ابن كمال باشا ، لاسقاطهما قيد " التعجيز " المعتبر فى حقيقة المعجزة عن تعريفهما المعجزة من ناحية ، وذكرهما فى التعريف " الرسول " بدلا منّ النبى " ، اذأنه أعم من الرسول ، فالوجه أن يذكر النبى بدل الرسول ، من ناحيةأخرى[5] .

جـ – <u>شرائط المعجزة</u> :

قسم العلامة ابن كمال باشا شرائط المعجزة الى قسمين :

<u>أحدهما</u> : مالابد منه فى تحقق ركنها

---

(١) الايجى : المواقف/٣٣٩ . (٢) ابن كمال باشا :الرسالة السابقة ، نفس الصفحة .

(٣) الايجى :المواقف ص ٣٣٩ . وانظر أيضا :تعريف الآمدى فى غاية المرام ص ٣٢٣ ؛ و أبكار الأفكار ٢ / ١٣٠ أ .

(٤) السيد الشريف : شرح المواقف ص ٥٤٧ .

(٥) ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق المعجزة ١٣٩ – ١٤٠ .

وثانيهما : مالابد منه في دلالتها على صدق من يدعي النبوة .

ولم يسبقه أحد في هذا التقسيم فيما أعلم من علماء العقيدة ، حيث ذكروا شروط المعجزة بدون تفرقة وتقسيم في مكان واحد (١) .

القسم الأول : مالا بد منه في تحقق ركن المعجزة :

" فهو أن يكون أمرا خارقا للعادة (٢) ، اذ لا اعجاز دونه " واعترض على الشريف الفاضل في تصديه لبيانه في شرحه للمواقف (٣) بقوله :

" فان المعجزة تنزل من الله تعالى منزلة التصديق بالقول ، كما سيأتي . وما لايكون خارقا للعادة ، بل معتادا ، كطلوع الشمس في كل يوم ، وبدو الأزهار في كل ربيع ، فانه لايدل على الصدق لمساواة غيره إياه في ذلك ، حتى الكذاب في دعوى النبوة " .

قال العلامة ابن كمال باشا في اعتراضه عليه : " ولم يصب في ذلك البيان ، لأن الصدور من الله تعالى كاف في التنزل المذكور ، خارقا كان ذلك الصادر للعادة ، أو لم يكن خارقا لها ، وقد اعترف به نفسه حيث قال : " والمعجزة عندنا مايقصد به تصديق مدعي الرسالة، وان لم يكن خارقا للعادة " .

---

(١) انظر في ذلك على سبيل المثال :الباقلاني :البيان ٤٥ــ ٤٨ ، البغدادي: أصول الدين/ ١٧٠ ، الجويني :الارشاد ٣٠٧ ، ٣١٥ ، والعقيدة النظامية ٤٨ ـــ ٥١ ، ابن الأنباري :الداعي الى الاسلام ٢٨٠ــ ٢٨٤ ، الآمدي :غاية المرام ٣٣٣ــ ٣٣٤ ، الايجي :المواقف ٣٣٩ــ ٣٤٠ ، السيد الشريف: شرح المواقف ٥٤٧ ــ ٥٤٩ ، الدواني :شرح العقائد العضدية مع حاشية الشيخ محمد عبده بعنوان :الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين ٢ / ٦٣٥ ، البيجوري :تحفة المريد ١٣٣ ـــ ١٣٤ ، الشيخ بخيت :القول المفيد / ٥٠ ، وغيرها من الكتب الكلامية ..

(٢) اي : أمر يفوق طاقات البشر ، ويخرق قوانين الطبيعة وخواص المادة المعروفة لنا (عتر: بينات المعجزة الخالدة ٢٦ ، ٤٤ ، الحميضي :خوارق العادات ص ١٨) .

(٣) السيد الشريف الجرجاني :شرح المواقف/٥٤٧ .

ثم ان ما ذكره بقوله : " وما لايكون خارقا للعادة ، بل معتادا ... الخ " انما يدل على أنه لابد من ذلك الشرط في دلالة المعجزة على صدق من يدعى النبوة ، لاعلى أنه لابد منه في تحقق الاعجاز بها ، والكلام فيه . فانه قد أورد ما نقل عنه في شرح قول صاحب المواقف (١) : " اذ لااعجاز دونه ". فمنشأ الخبط : الخلط بين نوعى الشرط ، وعدم الفرق بينهما .

بل لم يصب ـ أي الشريف الفاضل ـ في التصدى للبيان ، لما عرفت أن المبين أظهر من ذلك البيان ."

كما وجه نقده على صاحب المواقف في عده "تعذر المعارضة" أى معارضة مدعى النبوة من جملة الشرائط ، لأنه في الحقيقة معنى الاعجاز المعتبر في ركن المعجزة ، فلا وجه لعده من الشروط ، فصاحب المواقف مع اعترافه بما ذكر حيث قال : " فان ذلك حقيقة الاعجاز " لم يصب في عده من جملة الشرائط .

ثم ان اعتباره شرطا غني عن اشتراطه " بأن يكون أمرا خارقا للعادة" لاستلزمه اياه لزوما بينا ، فلا وجه لعد كل واحد منهما شرطا على حدة ، كما فعله ذلك الفاضل ومن حذا حذوه (٢) .

القسم الثاني : مالا بد منه في دلالة المعجزة على صدق من يدعى النبوة :

١ ـ فمنه : أن يكون ظاهرا على وفق دعوى من تحدى به ، حتى يكون تصديقا فعليا من الله تعالى ، نازلا منزلة التصديق القولي .

فلو قال : معجزتي أن أحيي ميتا ، فأتى بخارق آخر ، كنتق الجبل لم يدل على صدقه .

---

(١) ص ٣٣٩ . (٢) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق المعجزة ١٤٠ ـ ١٤١ .

٢ ـ ومنه: أن لايكون مكذباً له. فلو قال: معجزتي أن ينطق هذا الضب، فقال: إنه كذاب، لم يعلم به صدقه، بل ازداد انكار المنكر، وقوى اعتقاده بكذبه..

٣ ـ ومنه: أن يكون ظاهرا على يده، والمراد من ظهوره على يده أن يكون لكسبه، أو إرادته مدخل فيه، فمثل طلوع الشمس على الوجه المعتاد خارج بهذا القيد.

٤ ـ ومنه: أن لايكون متقدما على الدعوى، لأن التصديق قبل الدعوى لايعقل. المراد: التقدم في الظهور..

ونقل العلامة ابن كمال باشا عن صاحب المواقف (١) قوله: فما تقولون في كلام عيسى عليه السلام في المهد (٢)، وتساقط الرطب الجني من النخلة اليابسة؟ (٣).

قلنا: تلك الخوارق كرامات، وظهورها على الأولياء جائز، والأنبياء قبل نبوتهم لايقصرون عن درجة الأولياء.

وقد قال القاضي: "ان عيسى عليه السلام كان نبيا في صباه (٤)، لقوله تعالى (وجعلني نبيا)، ولايمتنع من القادر المختار أن يخلق في الطفل ما هو شرط في النبوة من كمال العقل وغيره.

ولايخفى بعده، مع أنه لم يتكلم بعد هذه الكلمة ببنت شفة الى أوانه، ولم يظهر الدعوة بعد أن تكلم بها الى أن يتكامل فيه شرائطها.

---

(١) الايجي: المواقف / ٣٤٠.

(٢) اشارة الى قوله تعالى (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) مريم/ ٣٠.

(٣) إشارة الى قوله تعالى (وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) مريم/ ٢٥.

(٤) وذكر هذا الرأي القاضي البيضاوي بصيغة التمريض في أنوار التنزيل ٤/ ٦، وكذلك أبو السعود في إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٦٤.
وذكر النسفي في مدارك التنزيل (٣/ ٢٢٠)، والآلوسي في روح المعاني (١٦/ ٨٩) أنه رواية عن الحسن.

وقوله (وجعلنى نبيا) فهو كقول النبى عليه السلام " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " (١) ، يعنى فى التعبير عن القبول والأهلية بالفعل . فمعنى القول المحكى عن عيسى عليه السلام: أنه جعلنى أهلا مستعدا للنبوة وأنا فى المهد . ومعنى قول نبينا عليه السلام: كنت مستعدا للنبوة ، قبل خلق آدم عليه السلام ، وهذا الاستعداد كان لروحه الشريف المخلوق قبل بدنه اللطيف. وهذا هو الوجه ، لا ماذكره الشارح الفاضل (٢) بقوله : "فى أنه تعبير عن المتحقق فيما يستقبل بلفظ الماضى " ،فانه وهم .. " (٣) .

كما اعترض على صاحب المواقف فى كلامه السابق بقوله "أن تساقط الرطب الجنى من النخلة اليابسة " على مريم على ما نطق بنص القرآن ، لا على عيسى عليه السلام ...

وأما تأخر ظهور المعجزة عن الدعوى ،فإن كان بزمن يسير يعتاد مثله فجائز بلا خلاف فيه ،فى وجه دلالته ، وإن كان بزمان كثير ،

---

(١) الى هنا انتهى كلام صاحب المواقف. والحديث نقل السيوطى فى تخريج أحاديث شرح المواقف (ص٢٠)عن الزركشى أنه قال : لاأصل له بهذا اللفظ. انظر أيضا : القارى : الأسرار المرفوعة / ٢٦٨ .

وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة/ ٣٢٧ : "فلم نقف عليه بهذا اللفظ" . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: "لاأصل له ،ولم يروه أحد من أهل العلم الصادقين ، ولا هو فى شىء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ ،بل هو باطل ،فان آدم لم يكن بين الماء والطين قط ،فإن الله خلقه من تراب ،وخلط التراب بالماء حتى صار طينا ... " (مجموع الفتاوى ٢ / ١٤٧ ، ٨ / ٢٨٣ ،الرد على البكرى ص٨-٩) .

(٢) الجرجانى : شرح المواقف ص ٥٤٩ .

(٣) وكأنه يؤيد رأيه هذا فى تفسيره حيث قال فى تفسير قوله تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام (...وجعلنى نبيا) : "عن الحسن: أنه كان فى المهد نبيا ، وكلامه معجزته . وقيل : معناه: ان ذلك سبق فى قضائه ،أو جعل الآتى لامحالة كأنه وجد " (تفسيره/ ٤٤٤ب) ، حيث ضعف القولين الآخرين فى تفسير الآية... (انظر: أيضا / ٤٠٠أ من تفسيره) .

مثل أن يقول : معجزتي أن يكون كذا ، بعد شهر،فكان «فجائز أيضا بلا خلاف فيه ، دون وجه دلالته ، فانهم اختلفوا فيه . فقيل : إخباره عن الغيب قبل وقوعه ، فيكون أصل المعجز متأخرا ، وهذا هو الوجه في تحرير الكلام في هذا المقام» (١)

٥ ـ ومنه : أن يكون فعلا لله تعالى ، أو ما يقوم مقامه من المنح. وهذا لأن التصديق من الله تعالى لايحصل بما ليس من قبله.

قال الآمدى في أبكار الأفكار : فان قيل : شرط المعجزة يجب أن يكون خاصا بالمعجزة ، غير عام لها ولغيرها ، واذا كانت جميع الأفعال من فعل الله تعالى ، سواء كانت معجزة ، أو لم تكن ، فلا معنى لعد ذلك من شرائط المعجزة ؟!

قلنا : عموم الوصف لايخرجه عن أن يكون شرطا في غيره ، اذا كان ذلك الغير متوقفا عليه . وانما يمتنع أخذ عموم الفعل شرطا في المعجزة ، أن لو كان شرطا ـ بمعنى كونه ـ مميزا عن غيرها وحده ، وليس كذلك بل ذلك شرط ، بمعنى توقف المعجزة عليه ، وتميزها عن غيرها بجملة ماذكرناه من الشروط» (٢)

د ـ بيان وجه دلالة المعجزة على صدق من يدعى النبوة :

يرى العلامة ابن كمال باشا" أنها عادية ، قد جرت عادة الله بخلق العلم بالصدق عقيب ظهورها . فان إظهار المعجز على يد الكاذب ، وان كان ممكنا عقلا ، فمعلوم انتفاؤه عادة ، كسائر العاديات (٣). وهذا البيان صريح في أن وجه عدم كون دلالتها عقلية ، تجويز العقل

(١) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق المعجزة ١٤٢ ـ ١٤٤ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق الفعجزة ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٣) انظر: الايجى : المواقف ص ٣٤١ ، وكذلك : التفتازانى :شرح المقاصد ١٨/٥.

ظهورها على يد الكاذب ، لا وقوع تخلف الصدق عنها فى الكاذب ، كما توهمه الشريف الفاضل ، حيث قال فى شرحه للمواقف (١) : " فلا يكون دلالته عقلية ، لتخلف الصدق منه فى الكاذب " . والفرق بين المعنيين ، وعدم استلزام الأول للثانى واضح " (٢) .

وأما قول ذلك الفاضل (٣) : " وهذه الدلالة ليست دلالة عقلية محضة ، كدلالة الفعل على وجود الفاعل ، ودلالة إحكامه وإتقانه على كونه عالما بما صدر عنه . فان الأدلة العقلية ترتبط بنفسها بمدلولاتها ، ولا يجوز تقديرها غير دالة عليها ، وليست المعجزة كذلك ، فان خوارق العادات ، كانفطار السماوات ، وانتثار الكواكب ، وتدكدك الجبال يقع عند تصرم الدنيا ، وقيام الساعة ، ولا إرسال فى ذلك الوقت . وكذلك تظهر الكرامات على أيدى الأولياء ، من غير دلالة على صدق مدعى النبوة .

ولا دلالة سمعية ، لتوقفها على صدق النبى عليه السلام ، فيدور ، بل هى دلالة عادية " فيعقب ابن كمال باشا على كلامه بقوله : " فان مساق كلامه على الذهول عن اعتبار الشرائط المذكورة فى المعجزة ، أو الغفول عن أن الكلام فيها ، لا فى مطلق الخارق للعادة ... " (٣) .

" وقال القاضى (٤) : اقتران ظهور المعجزة بالصدق ليس لازما لزوما عقليا ، بل هو أحد العاديات ، فاذا جوزنا انخراقها عن مجراها العادى جاز إخلاء المعجز عن اعتقاد الصدق ، وحينئذ يجوز إظهاره على يد الكاذب ، اذ لا محذور فيه سوى خرق العادة فى المعجزة ، والمفروض أنه جائز " .

قال العلامة ابن كمال باشا معقبا عليه : " وكأنه غافل عن أن

---

(١) ص ٥٥٠ .　　(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق المعجزة ص ١٤٥ .

(٣) الجرجانى : شرح المواقف ص ٥٤٩ .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق المعجزة ص ١٤٧ .

المعجز ليس بمطلق الخارق ، بل خارق قصد الله تعالى به تصديق من ظهر على يده في دعواه . فمن وقف على الخارق المعجز ، وعرف أن الخارق لا يكون معجزا الا بما ذكر ، لابد له من اعتقاد الصدق ، فعدم الاعتقاد لانعدام أحد الأمرين المذكورين ، وليس في انعدام واحد منهما خرق عادة ، فليس اخلاء المعجز عن اعتقاد الصدق من قبيل الخوارق ، كما توهمه القائل المذكور " .

وتابع ابن كمال باشا قوله : " واذ قد عرفت : أن مدار دلالة المعجزة على صدق من يدعى النبوة ، على أنها تصديق فعلى من الله تعالى ، جار مجرى التصديق القولى (١) ، فقد وقفت على أن من أنكر إحاطة علمه تعالى بالحوادث الجزئية ، أو قدرته ـ بمعنى صحة الفعل والترك ـ فقد أنكر دلالتها على صدق من يدعى النبوة ، سواء اعترف بانكاره لها ، كالفلاسفة ، أو لم يعترف كالمتفلسفين من المنتمين الى ملة الاسلام ، ومنهم الفارابى ، وابن سينا " (٢) .

وبعد اعتراضات وتوجيه انتقادات الى المتكلمين السابقين في تعريفهم المعجزة ، وبيان أركانها ، وشرائطها بنوعيها ، ووجه دلالتها على صدق من يدعى النبوة ، وصل صاحبنا العلامة ابن كمال باشا الى تعريف يرى أنه جامع مانع ، خال من القصور والأمور التى استشكلت فى تعاريف المتكلمين ، اذ يقول : " اعلم أنه قد تلخص مما قررناه فيما تقدم ، أن المعجزة :

أمر ، يظهر على يد مدعى النبوة ، على وجه يعجز المنكرين عن المعارضة . سواء كان ذلك الأمر ثبوت ما ليس بمعتاد ، أو نفى ما هو معتاد " (٣) .

---

(١) انظر هذا المعنى عند النسفى فى التمهيد ص ٢٣٨ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق المعجزة ١٤٧ ، وانظر أيضا : رسالة فى أن القرآن العظيم كلام الله القديم ص ١٣١ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق المعجزة ص ١٤٧ .

ثم ان الله تعالى قد جعل معجزة كل نبى مما يتعاطاه أهل زمانه ، ونبغوا فيه ، فمثلا " ان موسى عليه السلام كان فى زمانه السحرة كثيرون ، حتى جعل كل واحد منهم عصاه حية بالسحر ، فأبطل موسى عليه السلام سحرهم بعصاه . وكذا عيسى عليه السلام كان فى زمانه الأطباء الحاذقون كثيرون ، فأعجزهم عيسى عليه السلام بإحياء الأموات . وكذا محمد عليه الصلاة والسلام كان فى زمانه الفصحاء والبلغاء فى الكلام كثيرون ، فأعجزهم بالقرآن العظيم الذى أدرج فيه جميع العلوم .. " (١).

والذى تحدى به فصحاءَ العرب وبلغاءهم " أولا بالإتيان بمثل كل القرآن لقوله تعالى (فليأتوا بحديث مثله) (٢) ، ثم أخبرهم عن عجزهم عن ذلك بقوله (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) (٣) ، ثم بعشر سور مثله بقوله تعالى (قل فأتوا بعشر سور مثله) (٤) . ثم لما ظهر عجزهم عنها أيضا تحداهم بسورة بقوله (فأتوا بسورة من مثله) (٥) ، فعجزوا عن ذلك كله ...

ولما كان الأمر المذكور أمر تهكم وتعجيز أخبر أنهم ليسوا قادرين على إتيان المأمور بقوله (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) (٦) ... فالمعنى : فان لم تأتوا بسورة من مثله ، ولن تأتوا بسورة من مثله ... أى لستم بفاعلين ذلك أبدا ، لأن " لن " لتأكيد النفى فى المستقبل " (٧).

ولسان المعارضة عَيّ الى الآن ، والى الأبد ، وهو أكثر من ألف سنة

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص٨ ؛ انظر أيضا : شرح المقاصد ٥/١٤ـ١٥ .

(٢) الطور/٣٤ . (٣) الاسراء/٨٨ .

(٤) هود/١٣ . (٥) البقرة/٢٣ ، وكذلك سورة يونس/ ٣٨ .

(٦) البقرة/٢٤ .

(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٤ ـ ٣٥ (الحرم المكى) ؛ ورسالة فى تحقيق أن القرآن معجز ١١٢ ب ومابعدها ...

وأربعمائة سنة •• وفى ذلك أكبر دليل وبرهان على أنه منزل من الملك الدّيان ، وأنه معجزة كبرى الى آخر الدهر لمن نزل عليه صلى الله عليه وسلم •

هذا ، ولعلى اخترت الاطناب بدلا من الايجاز فى عرض رأيه فى المعجزة : تعريفها ، وركنها ، وشروطها ، ووجه دلالتها على صدق من يدعى النبوة ، وبيان اعتراضات ابن كمال باشا فيها على السابقين ، وذلك لتأكيد القول بأنه ليس مجرد جامع أو ناقل لآراء السابقين ، وانما هو ينظر فى نصوصهم ، ويستقصى الأقوال فى الموضوع ، ثم يتحرى فى البيان الدقة ، ويتخير من بينها القول الصحيح ، ويبين أماكن الضعف والخلل فيها ، ويأتى برأى من عنده جديد ان لم يعجبه أقوال السابقين ، كما فعله هنا فى تعريف المعجزة ، حيث بين أماكن الزلل فى تعريفات السابقين ، ونقدها ، ووضع لها تعريفا من عنده ، أعتقد أنه خال من الاعتراضات والزلل •• وهذا هو منهجه فى معظم رسائله التى كتبها لمعالجة الموضوعات المختلفة ، والتى دار حولها النقاش فى أيامه أو ماقبلها ••

ـ نقد وتحليل ـ

تسمية المعجزة :

ان علماء الكلام ومنهم العلامة ابن كمال باشا قد أطلقوا عليها اسم " المعجزة " لأن خصم النبى يعجز عن الاتيان بمثلها . وقال ابن حجر العقسلانى : " وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها " (١) .

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن الله تعالى سماها آية ، وبينة ، وبرهانا . فقال : " الآيات والبراهين الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة ، وهى أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء .

ويسميها من يسميها من النظار معجزات ، وتسمى دلائل النبوة ، وأعلام النبوة ، ونحو ذلك . وهذه الألفاظ اذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ، ولهذا لم يكن لفظ " المعجزات " موجودا فى الكتاب والسنة ، وانما فيه لفظ " الآية " و " البينة " ، و " البرهان " ... ولهذا كان كثير من أهل الكلام لايسمى معجزا الا ماكان للأنبياء فقط ، وما كان للأولياء ـ ان أثبت لهم خرق عادة ـ سماها كرامة . والسلف ـ كأحمد وغيره ـ كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ، ويقولون لخوارق الأولياء انها معجزات ، إذ لم يكن فى اللفظ مايقتضى اختصاص الأنبياء بذلك " (٢) .

وأنت ترى أن شيخ الاسلام ابن تيمية لم يفرق فى كلامه بين مايسمى أعلام النبوة ، ودلائل النبوة ، وبين المعجزات ، حيث ان الأولى أعم من

---

(١) فتح البارى ٦/٥٨١ ـ ٥٨٢ .

(٢) الجواب الصحيح ٤/٦٧ ، ٧٠ ، وأيضا السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢٩٠ ـ ٢٩١ .

الثانية .. وأما المتكلمون ففرقوا بينهما وبين الكرامات أيضا ...

قال الحافظ ابن حجر في التميز بين دلائل النبوة والمعجزات في شرح (باب علامات النبوة) من صحيح البخاري: " العلامات جمع علامة، وعبر بها المصنف لكون مايورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة . والفرق بينهما أن المعجزة أخص، لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي من يكذب به .... ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة" (١)

شروط المعجزة :

وجه شيخ الاسلام ابن تيمية الى المتكلمين ومنهم العلامة ابن كمال باشا انتقادات في شروط المعجزة .

ومن هذه الشروط المنتقدة من قبله أن تكون المعجزة خارقة للعادة، أي مخالفة لسنن الكون وقوانين الطبيعة وخواص المادة، وخارجة عن قانون الأسباب والمسببات المعهود للناس (٢) .

والمتكلمون وكذلك ابن كمال باشا يرون أن " المعتبر في كون الآية حجة أن يكون ذلك نقضا لعادة من كانت الآية حجة عليه، والعادة عادة له " (٣) .

ولو قدرنا أن ما أتى به النبي " معتادا عند أمة من الأمم، في قطر من أقطار الأرض، فلا يكون ذلك مانعا لما أتى به النبي أن يكون خارقا للعادة بالاضافة الى من بعث اليهم، ووقع التحدى معهم " (٤) .

---

(١) فتح الباري ٦/٥٨١ (٢) د. عتر: بينات المعجزة الخالدة ص ٢٦ .
(٣) الشهرستاني : نهاية الاقدام/ ٤٣٩ . انظر أيضا : ابن تيمية : النبوات/ ١١١ .
(٤) ابن الأنباري : الداعي الى الاسلام ص ٣١٢ .

وأما شيخ الاسلام ابن تيمية فيرى أن معجزة الأنبياء لابد أن تكون خارقة لجميع العادات ، عادات الانس والجن ، ماعدا عادة الأنبياء.

قال في كتابه النبوات [١] : " فصل : في معنى خرق العادة ، وأن الاعتبار أن تكون خارقة لعادة غير الأنبياء مطلقا ، بحيث تختص الأنبياء ، فلا توجد الامع الاخبار بنبوتهم " .

وقال فيه أيضا [٢] : " النبوة لها خواص مستلزمة لها ، تعرف بها ، وتلك الخواص خارقة لعادة غير الأنبياء ، وان كانت معتادة للأنبياء ، فهي لاتوجد لغيرهم ... فاذا أتى مدعي النبوة بالأمر الخارق للعادة الذي لايكون الالنبي لايحصل مثله لساحر ولا كاهن ولاغيرهما ، كان دليلا على نبوته " .

وأكد أن الخارق الذي يخرق عادة غير الأنبياء هو الذي جنسه خارج عن مقدور البشر وجنس الحيوان . قال في كتابه المذكور [٣] : " جنس آيات الأنبياء خارجة عن مقدور البشر ، بل وعن مقدور جنس الحيوان . وأما خوارق مخالفيهم ـ كالسحرة والكهان ـ فانها من جنس أفعال الحيوان من الانس وغيره من الحيوان والجن ، مثل قتل الساحر وتمريضه لغيره . فهذا أمر مقدور ، معروف للناس بالسحر وغير السحر ، وكذلك ركوب المكنسة أو الخابية ، وغير ذلك حتى تطير به ، وطيرانه في الهواء من بلد الى بلد ، هذا فعل مقدور للحيوان ، فان الطير يفعل ذلك ، والجن تفعل ذلك " .

وقال فيه أيضا [٤] : " ان آيات الأنبياء هي الخارقة للعادات ، عادات الانس والجن ، بخلاف خوارق مخالفيهم ، فان كل ضرب منها معتاد لطائفة " .

---

(١) ص٢١٩ . (٢) ص٢٣ . (٣) ص٦ ـ ٧ .

(٤) ص٢٩٩ . انظر كذلك ص٢٢٦ ، و ١١٥ .

ويبدو لي أن ماذهب اليه ابن تيمية من أن تكون المعجزة خارقة لجميع العادات أوفق لشروط المعجزة ..

وقد رد ابن تيمية على المتكلمين أيضا في اشتراطهم للمعجزة مقارنتها للدعوى حيث انه يرى أن آيات الأنبياء متى اختصت بنبي كانت آية له، سواء وجدت قبل ولادته، أو بعدها، أو بعد موته، أو على يد أحد من الذين آمنوا به، كما أن أشراط الساعة آية للنبي الذي أخبر بها، قال في ذلك : (١)

" فان كل نبي خص بآيات، لكن لايجب في آيات الأنبياء أن تكون مختصة بنبي، بل ولايجب أن يختص ظهورها على يد النبي، بل متى اختصت به، وهي من خصائصه، كانت آية له، سواء وجدت قبل ولادته، أو بعد موته، أو على يد أحد من الشاهدين له بالنبوة، فكل هذه من آيات الأنبياء. والذين قالوا : من شرط الآيات أن تقارن دعوى النبوة غلطوا غلطا عظيما ... بل وأشراط الساعة هي من آيات الأنبياء " .

وقال أيضا (٢) : " فقد تبين أنه ليس من شرط دلائل النبوة لاقترانه بدعوى النبوة، ولا الاحتجاج به، ولا التحدي بالمثل، ولاتقريع من يخالفه، بل كل هذه الأمور قد تقع في بعض الآيات، لكن لايجب أن ما لايقع معه لايكون آية، بل هذا ابطال لأكثر آيات الأنبياء لخلوها من هذا الشرط ".

فهنا يتحدث ابن تيمية عن آيات الأنبياء عموما، وهي التي تسمى آيات النبوة، ودلائل النبوة، وأعلام النبوة، من ناحية ..

ثم إنكاره منصب على ماذهب اليه المعتزلة من جعلهم مقارنة المعجزات للدعوى شرطا لازما مما أدى بهم الى تأويل بعض المعجزات، (٣)

---

(١) النبوات/٢٢٨ . (٢) النبوات/١٥٢ .

(٣) الحميضي : خوارق العادات ص ٣٢ .

من ناحية أخرى .

فهو لم ينف هذا الشرط ، اذ أنه يرى أن من الآيات ما لابد من وجوده في حياة النبي ، وخاصة به ، وذلك لتقوم به الحجة ، وتظهر به المحجة :

يقول : " وآيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول ، وقبل مولده ، وبعد مماته ، لاتختص بحياته ، فضلا عن أن تختص بحال دعوى النبوة ، أو حال التحدى ، كما ظنه بعض أهل الكلام ، بل لابد من آيات في حياته تدل على صدقه تقوم بها الحجة ، وتظهر بها المحجة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (١) :

" ما من نبي من الأنبياء الا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " (٢) .

كما أنه لم ينف غيره من الشروط عن الآيات عموما (٣) ؛ إنما الذى نفاه هو جعلهم بعض هذه الشروط مما تتميز به المعجزة عن غيرها ، ومن خصائصها ، ووصفا لازما لها .

قال في ذلك (٤) : " وهؤلاء ـ أي المعتزلة ـ جعلوا مجرد كونه ـ أي المعجز ـ خارقا للعادة هو الوصف المعتبر ، وفرق بين أن يقال : لابد أن يكون خارقا للعادة ، وبين أن يقال : كونه خارقا للعادة هو المؤثر ،

---

(١) أخرجه البخاري (٩/٣) في كتاب (٦٦) فضائل القرآن ، باب (١) كيف نزل الوحي وأول مانزل برقم /٤٩٨١ ، وأيضا برقم/٧٢٧٤ .
ومسلم (١٣٤/١) في كتاب (١) الايمان ، باب (٧٠) وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، برقم/١٥٣ .

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح ٤/٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(٣) انظر : الحميضي : خوارق العادات /٢٩ .

(٤) النبوات /٣١ .

فان الأول يجعله شرطا ، لاموجبا ، والثاني يجعله موجبا ".

وقال أيضا (١) : " ولهذا لم يسمها ـ اى المعجزات ـ الله تعالى في كتابه الا آيات وبراهين ، فان ذلك اسم يدل على مقصودها ، ويختص بها ، لايقع على غيرها ، لم يسمها معجزة ، ولاخرق عادة ، وان كان ذلك من بعض صفاتها ، فهى لاتكون آية وبرهانا حتى تكون قد خرقت العادة ، وعجز الناس عن الإتيان بمثلها ، لكن هذا بعض صفاتها ، وشرط فيها ، وهو من لوازمها ، لكن شرط الشيء ولازمه قد يكون أعم منه ".

ويقول أيضا (٢) : " التاسع أن يقال : آيات الأنبياء لاتكون الا خارقة للعادة ، ولاتكون مما يقدر أحد على معارضتها ، فاختصاصها بالنبى ، وسلامتها من المعارضة شرط فيها ، بل وفي كل دليل ".

وبذلك يظهر أن العلامة ابن كمال باشا يقترب من رأى شيخ الاسلام ابن تيمية في معظم شروط المعجزة ..

وأما وجه دلالة المعجزة على صدق من يدعى النبوة :

فإن المعجزة تدل على صدق من يدعى الرسالة في دعواه ، وهذا أمر لاخلاف فيه بين المسلمين (٣).

ولكن هل دلالتها على صدق صاحبها عقلية ، أم عادية ؟

وهذه المسألة في الحقيقة مبنية على مسألة جواز صدور المعجز على يد الكاذب ، أو لا ؟

فالعلامة ابن كمال باشا وجمهور الأشاعرة يرى أن ظهور المعجز على يد الكاذب جائز عقلا ، بناء على شمول قدرة الله تعالى ، ولكنه ممتنع عادة ، معلوم الانتفاء قطعا ، كما هو سائر العاديات .. وبناء على ذلك يقولون :

(١) النبوات/٢٢٠ ، انظر كذلك : ٢٢٦ ـ ٢٢٧ . (٢) النبوات/١١٤ .

(٣) د. عتر : بينات المعجزة الخالدة ص ٨٥ ؛ مغفور عثمان : النبوة/١١٦ .

إن دلالة المعجزة على صدق من يدعى النبوة عادية ، بمعنى أن الله تعالى أجرى عادته فى خلقه بخلق العلم لدى المرسل اليهم بصدق من يظهر على يده المعجزة ، عقب ظهورها .. (١)

والأشعرى ومن تبعه من منتسبيه يقولون : إن ظهور المعجزة على يد الكاذب ممتنع عقلا ، لأن للمعجزة دلالة قطعية على الصدق ، يمتنع التخلف فيها ، فلا بد لها من وجه دلالة ، اذ به يتميز الدليل الصحيح عن غيره ، وان لم نعلم ذلك الوجه بعينه.

فإن دل المعجز المخلوق على يد الكاذب على الصدق كان الكاذب صادقا ، وهو محال ، والا انفك المعجز عما يلزمه من دلالته القطعية على مدلوله ، وهو أيضا محال (٢).

ضح من ذلك أن الأشعرى ومن تبعه يرى أن دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عقلية.

وأما الماتريدية فيرون أن ظهور المعجز على يد الكاذب مستحيل عقلا، لأن ذلك يوجب التسوية بين الصادق والكاذب ، وعدم التفرقة بين النبى والمتنبى ، وهو سفه ، لايليق بالحكيم (٣).

وهذا يقتضى أن دلالة المعجزة على صدق من يدعى النبوة عند الماتريدية دلالة عقلية ، لايجوز تخلف الصدق عنها عقلا (٤).

وكان الأولى لابن كمال باشا أن يقتدى بأصحابه الماتريدية القائلين بامتناع ظهور المعجزة على يد الكاذب ، لأنه يؤدى الى التسوية بين الصادق والكاذب ، والنبى والمتنبى ، وهو سفه ، لايليق بالله تعالى الحكيم.

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق المعجزة/ ١٤٥ ؛ الجرجانى : شرح المواقف / ٥٥٠ ؛ التفتازانى : شرح المقاصد ١٨/٥ .

(٢) الجرجانى : شرح المواقف/ ٥٥٠ .

(٣) التفتازانى : شرح المقاصد ١٨/٥ .

(٤) انظر أيضا : مغفور عثمان : النبوة والرسالة / ١١٦ ـ ١١٧ .

وبالتالي كان يقول ان دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عقلية ، لايمكن عقلا تخلف الصدق عنها ..

وهذا القول هو ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله.قال في كتابه النبوات(١) : " والتحقيق أن إظهار المعجزات - الدالة على صدق الأنبياء - على يد الكاذب لايجوز ، لكن قيل : لامتناع ذلك في نفسه ، كما قاله الأشعري ، وقيل : لأن ذلك يمتنع في حكمة الرب وعدله ، وهذا أصح ، فانه قادر على ذلك ، لكن لو فعله بطلت دلالة المعجز على الصدق ".

وقال أيضا (٢) : " إن مايدل على النبوة ، هو آية على النبوة ، وبرهان عليها ، فلا بد أن يكون مختصا بها ، لايكون مشتركا بين الأنبياء وغيرهم ، فان الدليل هو مستلزم لمدلوله ، لايجوز (٣) أن يكون أعم وجودا منه ، بل إما أن يكون مساويا له في العموم والخصوص ، أو يكون أخص منه ، وحينئذ فآية النبي لاتكون لغير الأنبياء ".

وقال فيه أيضا (٤) : " فصل في آيات الأنبياء وبراهينهم : وهي الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم ، والدليل لايكون الامستلزما للمدلول عليه ، مختصا به ، لايكون مشتركا بينه وبين غيره ، فانه يلزم من تحققه تحقق المدلول ، واذا انتفى المدلول انتفى هو ، فما يوجد مع وجود الشيء ، ومع عدمه لايكون دليلا عليه ، بل الدليل لايكون الا مع وجوده ، فما وجد مع النبوة تارة ، ومع عدم النبوة تارة لم يكن دليلا على النبوة ، بل دليلها مايلزم من وجوده وجودها ".

وأكد هذا المعنى أيضا في موضع آخر (٥) فقال : " إنه لابد أن تكون الآية التي للنبي أمرا مختصا بالأنبياء ، فان الدليل مستلزم للمدلول عليه ، فآية النبي هي دليل صدقه ، وعلامة صدقه ، وبرهان صدقه ، فلا توجد

---

(١) ص ١٣٣ . (٢) النبوات ص ١٢ . (٣) في الأصل : لايجب والسياق ينفيه.
(٤) النبوات/ ٣٠ . (٥) النبوات/ ١١٢ .

قط الا مستلزمة لصدقه ..." .

ويبدو جليا من كلام ابن تيمية أن آيات الأنبياء أدلة نبوتهم ، وعلامة صدقهم ، فهي مستلزمة للنبوة متى وجدت ، ولا يجوز أن تتخلف عنها أبدا ، فلا توجد قط الا مستلزمة للنبوة ، ولصدق صاحبها ..

فاذن تكون دلالة المعجزة على النبوة وصدق صاحبها دلالة عقلية .

وبذلك يظهر مجانبة صاحبنا العلامة ابن كمال باشا للصواب في هذا الباب ، والله أعلم ..

وقفة مع ابن كمال باشا في تفسيره للحديث :-

" كنت نبيا وآدم بين الماء والطين" ، وقوله بأقدمية الأرواح ، وبخاصة روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على الأجساد ، حيث يرى في معنى الحديث أنه تعبير عن القبول والأهلية بالفعل ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان مستعدا للنبوة قبل خلق آدم عليه السلام ، وهذا الاستعداد كان لروحه الشريف المخلوق قبل بدنه اللطيف ، كما يرى أن معنى القول المحكي عن عيسى عليه السلام (وجعلني نبيا) : أنه تعالى جعله أهلا مستعدا للنبوة وهو في المهد (١) .

وقد أكد هذا المعنى في رسالته " الفرائدوشرحه (٢) " ، بل ذهب الى أبعد من ذلك حيث قال : " اعلم أن روح محمد صلى الله عليه وسلم أول باكورة أثمرها الله تعالى بإيجاده من شجرة الوجود ، وأول شيء تعلقت به القدرة ، شرفه بتشريف إضافته الى نفسه ، فسماه روحي ، كما سمى أول بيت من بيوت الله تعالى وضع للناس بيت الله ، وشرفه بالاضافة

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق المعجزة ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة الفرائد وشرحه ص ٢٧٣ .

الى نفسه . ثم حين أراد أن يخلق آدم عليه السلام سواه، ونفخ فيه من روحه، أي من الروح المضاف الى نفسه، وهو روح النبي عليه السلام، فكان روح آدم عليه السلام من روح النبي عليه السلام، فهو أبو الأرواح، كما أن آدم عليه السلام أبو الأشخاص. قال عليه السلام: "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين"، وهذا أحد أسرار قوله عليه السلام "آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة" (١).

وقال في موضع آخر (٢) في تفسير قوله تعالى (استكبرت أم كنت من العالين) (٣): "لعلهم -أي العالين- أرواح الأنبياء"، "فان الأرواح مخلوقة قبل الأجساد بألفي عام (٤)"، وقد قال عليه السلام "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين" اهـ .

والذي يهمنا هنا مناقشة ابن كمال في ثلاثة آراء له، وهي :

أ - قوله بأقدمية الأرواح على الأجساد .

ب - قوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أول المخلوقات .

ج - قوله بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الأرواح كما أن آدم عليه السلام أبو الأشباح .

أ - قوله بأقدمية الأرواح على الأجساد :

وليس هذا القول هو القول الراجح في المسألة ..

اختلف المسلمون في خلق الأرواح هل كان قبل الأجساد، أو تأخر عنها ؟ وذلك بعد اتفاقهم في حدوثها حدوثا زمانيا ..

---

(١) والحديث جزء من حديث الشفاعة الطويل، أخرجه بهذا اللفظ الامام أحمد عن ابن عباس في مسنده ١/١٨١ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٧٢) : "رواه أبو يعلى وأحمد . وفيه علي بن زيد، وقد وثق على ضعفه، وبقية رجالهما رجال الصحيح" .
وأخرجه الطيالسي في مسنده ٣٥٣-٣٥٤ برقم/٢٧١١ . والبيهقي في دلائل النبوة ٥/٤٨١-٤٨٣ .

وأخرج معناه الترمذي (٥/٣٠٨-٣٠٩) عن أبي سعيد الخدري في كتاب (٤٨) التفسير، باب (١٨) ومن سورة بني اسرائيل، رقم ٣١٤٨، وقال: حسن صحيح .

(٢) رسالة الفرائد ص ٢٨٤ .

(٣) سورة ص/ ٧٥ .

(٤) سيأتي تخريجه وكلام الأئمة فيه قريبا ..

وذهب طائفة الى تقدم خلقها : منهم محمد بن نصر المروزى ، والتقى السبكى (١) ، وصاحبنا العلامة ابن كمال باشا ، وابن حزم الظاهرى (٢) وحكاه إجماعا — وقد افترى — وغيرهم ، واستدل ابن حزم لذلك بما فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف (٣) " . وزعم أنها فى برزخ ، وهو منقطع العناصر ، فاذا استعد جسد لشىء منها هبط اليه ، وأنها تعود الى ذلك البرزخ بعد الوفاة ..

قال العلامة الآلوسى بعد أن ذكر رأيه : " ولا دليل لهذا من كتاب أو سنة " (٤) .

وأما استدلال ابن كمال باشا ومن معه بخبر " خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بألفى عام " .

قال العلامة ابن القيم (٥) : " فلا يصح اسناده . ففيه عتبة بن السكن قال الدارقطنى : متروك . وأرطأة بن المنذر ، قال ابن عدى : بعض

---

(١) انظر : السيوطى : الحاوى للفتاوى ٢٦٧/٢ .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ١٦٨/٣ — ١٦٩ ؛ ١٢٢/٤ — ١٢٣ .

(٣) أخرجه البخارى تعليقا (٣٦٩/٦) فى كتاب (٦٠) الأنبياء ، باب (٢) الأرواح جنود مجندة . ومسلم (٢٠٣١/٤) عن أبى هريرة فى كتاب (٤٥) البر والصلة ، باب (٤٩) الأرواح جنود مجندة ، برقم/٢٦٣٨ .
وأبو داود (١٦٨/٥ — ١٦٩) فى كتاب (٣٥) الأدب ، باب (١٩) من يؤمر أن يجالس ، ٤٨٣٤/ . والامام أحمد فى مسنده ٢٩٥/٢ ، ٥٢٧ .
قال ابن القيم فى الروح (١٤٨) : " وهذا الحديث رواه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أبو هريرة ، وعائشة أم المؤمنين ، وسلمان الفارسى ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمرو ، وعلى بن أبى طالب ، وعمرو بن عبسة رضى الله عنهم " .

(٤) روح المعانى ١٥٦/١٥ ؛ وكذلك ابن القيم : الروح ١٥٦ ؛ السفارينى : لوامح الأنوار ٤٠/٢ .

(٥) الروح /١٧٢ . وأقر كلامه العلامة السفارينى فى لوامح الأنوار ٤٥/٢ ، والآلوسى فى روح المعانى ١٥٦/١٥ .

أحاديثه غلط " .

وقال السيوطي في تخريج أحاديث شرح المواقف (١) : "سنده ضعيف جدا " .

وقال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية (٢) : "ضعيف جدا ، فلا يعول عليه " .

وذهب طائفة أخرى منهم الغزالي (٣) وشيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية والسفاريني والآلوسي وغيرهم الى أن الأرواح خلقت بعد الأجساد ، وهذا القول هو الراجح لقوة أدلته وسطوع برهانه (٤) .

قال العلامة ابن القيم (٥) بعد أن ذكر الأدلة على أن خلق الأرواح متأخر عن خلق أبدانها : " ولو دل دليل على أنها - أي الأرواح - خلقت جملة ، ثم أودعت في مكان ، حية عالمة ناطقة ، ثم كل وقت تبرز الى أبدانها شيئا فشيئا لكنا أول قائل به ، فالله سبحانه على كل شيء قدير ، ولكن لا نخبر عنه خلقا الا بما أخبر به عن نفسه ، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخبر عنه بذلك ، وانما أخبر بما في الحديث الصحيح " أن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك ، فينفخ فيه الروح (٦) " .

---

(١) ص ١٣ برقم/ ١٠ .

(٢) ص ١١٦ . وأقره العجلوني في كشف الخفا ١/ ٢٦٥ .

(٣) انظر الآلوسي : روح المعاني ١٤/ ٤٠ .

(٤) انظر أدلة الفريقين عند ابن القيم في الروح ١٥٦ - ١٧٣ ، والسفاريني في لوامع الأنوار ٢/ ٤٠ - ٤٥ .

(٥) الروح ١٧٤ - ١٧٥ . انظر أيضا : السفاريني : لوامع الأنوار ٢/ ٤٤ .

(٦) متفق عليه : أخرجه البخاري (٦/ ٣٠٣) في كتاب (٩) بدء الخلق ، باب (٦) ذكر الملائكة ، برقم ٣٢٠٨ ، وأيضا بأرقام ٣٣٣٢ ، ٦٥٩٤ ، ٧٤٥٤ .
ومسلم (٤/ ٢٠٣٦) في كتاب (٤٦) القدر ، باب (١) كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، ٢٦٤٣ .
والترمذي (٤/ ٤٤٦) في كتاب (٣٣) القدر ، باب (٤) ما جاء أن الأعمال بالخواتيم ، رقم ٢١٣٧ .
وأبو داود (٥/ ٨٢) في كتاب (٧٤) السنة ، باب (١٧) في القدر ، رقم/ ٤٧٠٨ .
وابن ماجه (١/ ٢٩) في المقدمة ، باب (١٠) في القدر ، رقم/ ٧٦ .

فالملك وحده يرسل اليه ، فينفخ فيه ، فاذا نفخ فيه ، كان ذلك سبب حدوث الروح فيه. ولم يقل : يرسل اليه الملك بالروح ، فيدخلها في بدنه ، وانما أرسل اليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه ، لا أن الله سبحانه أرسل اليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل مع الملك ".

ونقل العلامة الآلوسي (١) عن صاحب " روضة المحبين ونزهة المشتاقين " اختياره هذا القول قائلا : " إن القول بأن الأرواح خلقت قبل الأجساد قول فاسد ، وخطأ صريح. والقول الصحيح الذى عليه الشرع والعقل أنها مخلوقة مع الأجساد ، وأن الملك ينفخ الروح ، أى يحدثه بالنفخ في الجسد ، اذا مضى على النطفة أربعة أشهر ، ودخلت في الخامس ، ومن قال : إنها مخلوقة قبل ، فقد غلط ، وأقبح منه قول من قال : إنها قديمة ".

وبذلك يظهر مجانبة صاحبنا العلامة ابن كمال باشا للصواب في هذه المسألة.

ب - قوله بأن روح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أول المخلوقات :

ولم يذكر ابن كمال باشا دليلا على ماذهب اليه من أقدمية روح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ".

قال الامام ملا على القاري (٢) : " وروى : أن أول ماخلق الله العقل ، وأن أول ماخلق الله نوري ، وأن أول ماخلق الله روحي ، وأن أول ماخلق الله العرش. فالأولية من الأمور الاضافية ، فيؤول أن كل واحد مما ذكر خلق قبل ماهو من جنسه ، فالقلم خلق قبل جنس الأقلام ، ونوره قبل الأنوار ، والا فقد ثبت أن العرش قبل خلق السماوات والأرض ، فتطلق

---

(١) روح المعاني ١٥/١٥٧. (٢) مرقاة المفاتيح ١/١٤٠.

الأولية على كل واحد بشرط التقييد ، فيقال : أول المعاني كذا ، وأول الأنوار كذا . ومنه قوله " أول ما خلق الله نوري (١) " ، وفي رواية " روحي " ومعناهما واحد ، فان الأرواح نورانية ، أي أول ما خلق الله من الأرواح روحي " .

وقال القاري قبل ذلك أيضا (٢) في شرح حديث " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء (٣) " . قال ابن حجر : اختلفت الروايات في أول المخلوقات . وحاصلها — كما بينتها في شرح شمائل الترمذي — أن أولها : النور الذي خلق منه عليه الصلاة والسلام ، ثم الماء ، ثم العرش " .

وقال في مكان آخر (٤) : " فالأولية إضافية ، والأول الحقيقي هو النور المحمدي ، على ما بينته في المورد للمولد " .

وكذلك استشهدوا على أولية خلق روحه صلى الله عليه وسلم بحديث : " كنت أول النبيين في الخلق ، وآخرهم في البعث (٥) " .

---

(١) انظر أيضا : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٦١/١ ، وشرح الأمالي ص١٧ ، والأسرار المرفوعة/٣٨٦ .

(٢) مرقاة المفاتيح ١٢٢/١ .

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤٤/٤) في كتاب (٤٦) القدر ، باب (٢) حجاج آدم وموسى عليهما السلام رقم/٢٦٥٣ . والترمذي (٤٥٨/٤) في كتاب (٣٣) القدر ، باب (١٨) ، رقم/٢١٥٦ . وقال : حسن صحيح غريب .

(٤) مرقاة المفاتيح ١٣٩/١ . وانظر أيضا : العجلوني : كشف الخفا ٣١٢/١ .

(٥) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ٤٢/١ ، وتمام الرازي في فوائده (رقم ١٠٠٠) كلاهما من حديث سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن الحسن عن أبي هريرة به . قال محقق فوائد تمام : اسناده ضعيف ، فيه علتان : ضعف سعيد بن بشير ، والانقطاع بين الحسن وأبي هريرة " .
وأخرجه أيضا : ابن أبي حاتم في تفسيره ، وابن لال في مكارم الأخلاق ، كما في شرح الشفا (١٠٩/١) ، والأسرار المرفوعة (ص٢٦٩) لعلي القاري ، والخصائص الكبرى (٩/١) للحافظ السيوطي . وأخرجه أيضا : الطبري في جامع البيان ٧٩/٢١ =

قال القاري [١] : " أي خلق روحه قبل أرواحهم " .

وأما استدلال ابن كمال باشاوغيره على أولية خلق روح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " ،فقد سبق تخريجه وأقوال أئمة الحديث فيه ، وأنه ليس بثابت بهذا اللفظ في كتب الحديث المعتبرة ..

وكذلك ما روى في ذلك "أول ماخلق الله نوري" ، وفي رواية " روحي " . يقول الحافظ السيوطي في تخريج أحاديث شرح العقائد [٢] : " لايحضرني بهذا اللفظ " .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية فيمن يزعم أنه صلى الله عليه وسلم بحقيقته موجود بخلاف غيره من الأنبياء ، بعد أن بين أنه كذب واضح ومخالف لإجماع أئمة الدين :

" فان الله علم الأشياء ، وقدرها قبل أن يكونها ، ولاتكون موجودة بحقائقها الا حين توجد ، ولافرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم ، ولم تكن حقيقته صلى الله عليه وسلم موجودة قبل أن يخلق [٣] ، الا كما كانت

= عن قتادة ، وابن عدي في الكامل ٩١٩/٣ ، ١٢٠٩ . وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٢٧/١٤ ؛ والآلوسي في روح المعاني ٤١/١٤ ؛ و ٢١/ ١٥٤ وغيرهم من المفسرين .

وذكره القاضي عياض في الشفا ١١٤/١ . وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٦٩/٣ بعد أن ذكر الحديث عن أبي هريرة مرفوعا : "سعيد بن بشير فيه ضعف ، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلا وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفا ، والله أعلم " .

(١) شرح الشفا ١٠٩/١ . انظر ايضا : الآلوسي : روح المعاني ١٥٤/٢١ .

(٢) ص ١٣ برقم / ١٢ .

(٣) أو نوره ، أو روحه كذلك كما يدعيه أول مرة الحلاج في كتابه (الطواسين) ، وتبعه غيره في ذلك مثل ابن عربي ، وكذلك التقي السبكي ، وابن كمال في رسالة المنيرة (ص ١٠) ، وعلى القاري ، والعجلوني ... (انظر حول نظرية الحلاج في النور المحمدي ، أو الحقيقة المحمدية : د . محمد مصطفى حلمي : الحياة الروحية ١٤٢ ــ ١٤٤)

حقيقة غيره ، بمعنى أن الله علمها وقدرها .

لكن كان ظهور خبره واسمه مشهورا أعظم من غيره ، فانه كان مكتوبا في التوراة والانجيل وقبل ذلك ، كما روى الامام أحمد في مسنده (١) عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اني لعبد الله مكتوب خاتم النبيين ، وان آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك (٢) : دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي ، رأت حين ولدتني كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام " .

وحديث ميسرة الفجر (٣) : قلت : يارسول الله ! متى كنت نبيا ؟ وفي لفظ : متى كتبت نبيا ؟ قال : " وآدم بين الروح والجسد " وهذا لفظ الحديث .

وأما قوله : " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " فلا أصل له ، لم

---

(١) ٤ /١٢٧ـ ١٢٨ . وكذلك الحاكم في المستدرك ٢ / ٦٠٠ ، وقال : صحيح الاسناد ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل ١ / ٨٠ـ ٨١ ؛ وأبو نعيم في الدلائل ١ /٤٨ـ ٤٩ . وقال في مجمع الزوائد ٨ /٢٢٦ : " رواه أحمد والبزار والطبراني ، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد ، وقد وثقه ابن حبان .. " . وأخرجه أيضا ابن حبان في صحيحه (الموارد ٢٠٩٣) ؛ والبخاري في التاريخ الكبير ٦ /٦٨ . وذكره ابن الجوزي في الوفا ١ /٣٣ ؛ والسيوطي في تخريج أحاديث شرح العقائد ص ٢١ ، برقم ٢٥ ؛ والخصائص الكبرى ١ /١٠ ، ٢٣ .

(٢) قال البنافي شرح هذا الحديث : " والمعنى : أنه أراد بدء أمره بين الناس ، واشتهار ذكره ، فذكر دعوة ابراهيم الذي تنسب اليه العرب... وأما في الملأ الأعلى فقد كان أمره مشهورا مذكورا معلوما من قبل خلق آدم عليه السلام " (بلوغ الأماني ٢٠ /١٨١) .

(٣) أخرجه الامام أحمد في المسند ٥ /٥٩ ؛ والبيهقي في الدلائل ١ /٨٤ـ ٨٥ ؛ وأبو نعيم في الحلية ٩ /٥٣ ، وابن سعد في الطبقات ٧ /٦٠ ؛ والحاكم في المستدرك ٢ /٦٠٨ـ ٦٠٩ وصححه ووافقه الذهبي ؛ وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢ /١٤٧ ؛ ٨ /٢٨٢ ؛ وذكره ابن الجوزي في الوفا ١ /٣٣ ؛ =

يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ ، وهو باطل ، فانه لم يكن بين الماء والطين ، اذ الطين ماء وتراب ، ولكن لما خلق الله جسد آدم نفخ الروح فيه كتب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقدرها (١) ، كما ثبت في الصحيحين (٢) عن ابن مسعود ، قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق : إن خلق أحدكم يجعل في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث اليه الملك ، فيؤمر بأربع كلمات ، فيقال : اكتب رزقه ، وعمله ، وأجله ، وشقيا أو سعيدا ، ثم ينفخ فيه الروح ".

وروى أنه كتب اسمه على ساق العرش ، ومصاريع الجنة ..
فأين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة ؟ ". (٣) اهـ .

" فثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج (٤) ".
وقال أيضا (٥) : " فينبغي للعاقل أن يفرق بين ثبوت الشيء ووجوده في نفسه ، وبين ثبوته ووجوده في العلم ، فان ذاك هو الوجود العيني

= والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٢٦ وقال : " رواه أحمد والطبراني ، ورجاله رجال الصحيح ". وأخرج عن أحمد بطريق آخر وقال : رجاله رجال الصحيح .

(١) " فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه كتب نبيا حينئذ ، وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته ، فانه كون في التقدير الكتابي ، ليس كونا في الوجود العيني ، اذ ثبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين سنة من عمره صلى الله عليه وسلم " (مجموع الفتاوى ٢/١٤٩).

(٢) تقدم تخريجه قريبا .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٢/٢٣٧ ـ ٢٣٨ ؛ وانظر كذلك ٢/١٤٧ ـ ١٤٩ .

(٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٢/١٤٦ .

(٥) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٢/١٥٨ ـ ١٥٩ ، وانظر كذلك ٢/٤٧٠ ؛ ١٨/٣٦٩ .

الخارجي الحقيقي ، وأما هذا فيقال له الوجود الذهني والعلمي ، وما من شيء إلا له هذان الثبوتان ، فالعلم يعبر عنه باللفظ ، ويكتب اللفظ بالخط ، فيصير لكل شيء أربع مراتب : وجود في الأعيان ، ووجود في الأذهان ، ووجود في اللسان ، ووجود في البنان ؛ وجود عيني ، وعلمي ، ولفظي ، ورسمي ".

ثم قال : " فأما إثبات وجود الشيء في الخارج قبل وجوده ، فهذا أمر معلوم الفساد بالعقل والسمع ، وهو مخالف للكتاب والسنة والاجماع ".

والى هذا المعنى الذي ذهب اليه ابن تيمية ذهب الغزالي من قبله في معنى الحديث : " كنت أول النبيين في الخلق ، وآخرهم في البعث " ، فقال (١) : " فالخلق فيه بمعنى : التقدير ، دون الإيجاد ، فانه صلى الله عليه وسلم قبل أن يولد لم يكن مخلوقا موجودا ، ولكن الغايات سابقة في التقدير ، ولاحقة في الوجود ... ولا يفهم هذا إلا بأن يعلم أن للدار مثلا وجودين : وجوداً في ذهن المهندس ، حتى كأنه ينظر الى صورتها ، ووجودا خارج الذهن مسببا عن الوجود الأول ، فهو سابق عليه لامحالة .

وحينئذ يقال : ان الله تعالى يقدر أولا ، ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا ...

فاذا فهمت معنى الوجود فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم قبلُ بالمعنى الأول منهما ، دون المعنى الثاني ".

والحاصل أنا قد ذكرنا ونقلنا سابقا أقوال الأئمة المحققين أن الأرواح خلقت مع الأجساد ، وأن معاني الأحاديث الواردة في إثبات نبوة نبينا

---

(١) نقلا عن : روح المعاني للآلوسي ١٤/ ٤١ ـ ٤٢ . وانظر كذلك : المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥/ ٥٣ .

صلى الله عليه وسلم وآدم بين الروح والجسد هي تقدير نبوته وكتابة نبوته وإعلانها في الملأ الأعلى وآدم في هذه الحالة ، فاذا ثبت ذلك ثبت أن روح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق مع جسده الشريف ، وبذلك يظهر جليا أنه قد جانبه الصواب في فهمه لهذه المسألة ، وأن الرأي المعتبر والذي يطمئن اليه النفس ويؤيده الدليل هو رأي شيخ الاسلام ابن تيمية ومن معه من الأئمة الأعلام رحمهم الله تعالى .

جـ ـ وأما قوله انه صلى الله عليه وسلم أبو الأرواح ، كما أن آدم عليه السلام أبو الأشخاص ، اذ أن الله سبحانه وتعالى حين أراد أن يخلق آدم عليه السلام نفخ فيه من روحه ، أي من الروح المضاف الى نفسه ، وهو روح النبي صلى الله عليه وسلم ، فصار روح آدم عليه السلام من روح النبي صلى الله عليه وسلم ..

وهو رأي غريب وأمر عجيب من العلامة ابن كمال باشا حيث لم أر هذا الرأي عند غيره من المفسرين ، اذ راجعت كثيرا من كتب التفسير المعتبرة في قصة خلق آدم ونفخ الروح فيه ، بل هو مخالف لما ذهب اليه هو في تفسيره حيث يقول في تفسير قوله تعالى (ونفخ فيه من روحه) (١) :

" أضافه الى نفسه تشريفا ، واظهارا بأن له خلقا عجيبا ، وأن له شأنا ، له مناسبة ما الى حضرة الربوبية " (٢) .

---

(١) السجدة / ٩ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٦٣ ب . وانظر كذلك : البيضاوي : أنوار التنزيل ٤ / ١٥٥ ؛ ابو السعود : إرشاد العقل السليم ٧ / ٨١ ؛ الآلوسي : روح المعاني ٢١ / ١٢٤ .

ويقول أيضا فى تفسير قوله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى)[(١)] :
" وإضافة الروح الى نفسه لأنه صدر منه بلا واسطة "[(٢)] ..

إن هذا الروح المضاف الى الله عز وجل هى روح سيدنا آدم عليه السلام ، وليس روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما صرح به المفسرون الأعلام .

قال الامام الفخر الرازى[(٣)] فى تفسير الآية السابقة : " وانما أضاف الله سبحانه روح آدم الى نفسه تشريفا له وتكريما " .

وقال العلامة الخازن[(٤)] : " وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها ، كما يقال : بيت الله ، وناقة الله ، وعبد الله " .

وقال العلامة ابن الجوزى[(٥)] فى تفسير قوله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى)[(٦)] : " هذه الروح هى التى يحيا بها الانسان ، ولا تعلم ماهيتها ، وانما أضافها اليه تشريفا لآدم ، وهذه إضافة ملك " .

وقال الامام الشوكانى[(٧)] : " ولاشك أن الاضافة فى " روحى " للتشريف والتكريم ، مثل : ناقة الله ، وبيت الله " . ثم نقل عن القرطبى[(٨)] قوله " والروح جسم لطيف أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة فى البدن مع ذلك الجسم . وحقيقته إضافة خلق الى خالق ، فالروح خلق من خلقه ، أضافه الى نفسه تشريفا وتكريما ـ كقوله : أرضى ، وسمائى ، وبيتى ، وناقة الله ، وشهر الله ، ـ ومثله : " وروح منه " .

---

(١) الحجر/٢٩ .   (٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٨٩ أ .
(٣) مفاتيح الغيب ١٨٢/١٩ .   (٤) لباب التأويل ٩٥/٣ . وانظر كذلك ٤٤٥/٣ ، ٤٧/٤ .
(٥) زاد المسير ٤٠٠/٤ (ط. المكتب الاسلامى) .   (٦) الحجر/٢٩ .
(٧) فتح القدير ١٣٠/٣ .   (٨) الجامع لأحكام القرآن ٢٤/١٠ .

وبقول هؤلاء الأئمة المفسرين يظهر جليا أن العلامة ابن كمال باشا قد جانبه الصواب في رأيه الغريب في هذه المسألة أيضا ، ولذلك لا يلتفت إليه •

البَابُ الرَّابِعُ

السَّمْعِيَّاتُ

الفصل الأول : أمور تتعلق بالموت .

الفصل الثاني : أشراط الساعة .

الفصل الثالث : اليوم الآخر وأحداثه .

تمهيـــــــد :

المراد من السمعيات هي الأمور التي تتوقف معرفتها على السمع الوارد في الكتاب أو السنة والآثار الصحيحة ، ولايستقل العقل بادراكها واثباتها ، ولاطريق الى العلم بصدقها لابالحس ولابالعقل ، ولابالبديهة ولا بالكسب ، كعذاب القبر ونعيمه ، والحشر والنشر ، والصحف والحساب ، والميزان ، والصراط ، والشفاعة والحوض ، والثواب والعقاب في الجنة والنار [1].

وهذا من اصطلاحات المتكلمين ، وهم يقولون " ان الغرض من هذا الاصطلاح انما هو تقريب المسائل ، وجمع كل طائفة منها في باب ، كي يسهل ضبطها ، والرجوع اليها عند الحاجة بدون عناء" [2]. وعلى كل فهذا مما اصطلح عليه علماء العقيدة ، ولامشاحة في الاصطلاح .

وللتصديق بهذه الأمور الغيبية السمعية لابد من التصديق والايمان بوجود الله عز وجل أولا ، والايمان بارسال الرسل الكرام عامة ، وخاتمهم وسيدهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، ثم الاقرار بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى القديم أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويأتي بعد ذلك كله الايمان بالأمور الغيبية السمعية التي أخبر بها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم [3].

ونريد أن ندرس آراء العلامة الفاضل ابن كمال باشا في هذه

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١٣/١ ، الكمال بن أبي شريف : المسامرة شرح المسايرة ص٢١٢ ، السفاريني : لوامع الأنوار ٣/٢ .

(٢) الجزيري : توضيح العقائد ص١٢٨ .

(٣) د . البوطي : كبرى اليقينيات الكونية ص٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

الأمور الغيبية في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أمور تتعلق بالموت

الفصل الثاني : أشراط الساعة

الفصل الثالث : اليوم الآخر وأحداثه

الفصل الأول

أمور تتعلق بالموت

١ ـ الموت ، وملك الموت ، وقبضة الأرواح .

٢ ـ فتنة القبر وسؤاله .

٣ ـ عذاب القبر ونعيمه .

الموت حقيقة مشاهدة كبرى في هذا الوجود ، مصير كل من له حياة ، قاصمة جبروت المتجبرين والمتكبرين وعناد المنكرين ، وهادم لذات الغافلين ...

فوقوع الموت لا علاقة له بالأمور الغيبية حيث انه أمر مشاهد ومحسوس ، ولكن هناك أمورا أخرى تحيط به لا مجال للعلم بها الا عن طريق الخبر الصادق ... فالحياة البرزخية التي تبدأ بالموت من الأمور الغيبية السمعية بالنسبة الينا .

وهذه الأمور الغيبية هي :

١ ــ الموت ، وملك الموت ، وقبضة الأرواح .

٢ ــ فتنة القبر وسؤاله

٣ ــ عذاب القبر ونعيمه

١ ــ الموت ، وملك الموت وقبضة الأرواح :

أ ــ الموت :

ان " الموت والحياة من مخلوقات عالم الملكوت (١) ، قال الله تعالى (الذى خلق الموت والحياة) (٢) ، والخلق هنا غير مقابل للأمر ، بل على المعنى اللغوى العام " (٣) .

---

(١) قال علامة الروم أبو السعود في " إرشاد العقل السليم " ٩ / ٢ : " الموت عند أصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة " ثم استشهد على ذلك بهذه الآية ... وروى عن ابن عباس ومقاتل والكلبي في قوله تعالى (الذى خلق الموت والحياة) أن الموت والحياة جسمان (القرطبي : التذكرة ٢ / ١٠٥ ، الخازن لباب التأويل ٤ / ٢٨٩) .

(٢) الملك / ٢ .　　(٣) ابن كمال باشا : رسالة الفرائد ص ٢٧٥ .

ثم تابع الفاضل ابن كمال باشا حديثه قائلا : "ولكل منهما صورة مثالية في ذلك العالم ، بها يرى ويشاهد ، يشاهده من يغيب عن عالم الملك ، ومن يُسلخ عن البدن ، ولقد جاء في الخبر عن خير البشر : ان الموت يؤتى يوم القيامة — وينظر اليه أهل المحشر — في صورة الكبش ، ويذبح ... (١)

ومن هنا انكشف وجه التعبير عن ادراكه — اي عن ادراك الموت ومعرفته — بالذوق في قوله تعالى (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) (٢) ، دون سائر أسباب الإدراك من الحواس " (٣) .

ان " الموت زوال الحياة " (٤) الدنيا ، و " ليس بعدم محض ، بل هو انتقال من حال الى حال " (٥) . أي انتقال من الدار الدنيا الفانية الى دار البرزخ ، ومنها الى الدار الآخرة الباقية ...

---

(١) والحديث الذي ذكره ابن كمال بالمعنى أخرجه : البخاري (الفتح ٨/٤٢٨) في كتاب (٦٥) التفسير ، باب (١) "وأنذرهم يوم الحسرة" من سورة مريم ، رقم ٤٧٣٠ .

ومسلم (٤/٢١٨٨) في كتاب (٥١) الجنة وصفة نعيمها ، باب (١٣) النار يدخلها الجبارون ، /٢٨٤٩ .

كلاهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وسيأتي أحاديث اخرى في مباحث الجنة والنار من الرسالة .

(٢) الدخان/٥٦ . (٣) ابن كمال باشا : رسالة الفرائد ص٢٧٥ .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٢٨ .

(٥) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق القول بأن الشهداء أحياء في الدنيا ص٩٢ ، وابن القيم في الروح ص٣٦ كلاهما نقلا عن القرطبي في التذكرة ١/١٦ .

– نقد –

إن تمثل الموت في صورة كبش أملح وذبحه بين أهل الجنة والنار هو مدلول الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وقد قال العلامة ابن قيم الجوزية – بعد أن ذكر أحاديث ذبح الموت – : " وهذا الكبش والاضجاع ، والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لاخيال ولاتمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحا ، وقال : الموت عرض ، والعرض لايتجسم ، فضلا عن أن يذبح ! ، وهذا لايصح ، فان الله سبحانه ينشيء من الموت صورة كبش يذبح ، كما ينشيء من الأعمال صورا معاينة يثاب بها ويعاقب ، والله تعالى ينشيء من الأعراض أجساما تكون الأعراض مادة لها ، وينشيء من الأجسام أعراضا ، كما ينشيء سبحانه من الأعراض أعراضا ، ومن الأجسام أجساما ، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ، ولايستلزم جمعا بين النقيضين ، ولاشيئا من المحال " (١) .. ثم ذكر العلامة ابن القيم أدلة على تمثل الأعمال يوم القيامة ورؤيتها من الأحاديث المروية وأقوال السلف رضي الله عنهم ...

ب – ملك الموت وأعوانه :

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن المحيي والمميت هو الله عز وجل .. فهو الذي يتوفى الأنفس حين مفارقتها للدنيا (الله يتوفى الأنفس حين موتها) (٢) . ولكن اقتضت حكمته أن يكل قبض الأرواح عند انتهاء مدد أعمار البشر الى أحد ملائكته المقربين .

---

(١) ابن القيم : حادى الأرواح ص ٣٠١ .

(٢) الزمر / ٤٢ .

قال الامام ابن كمال باشا فى تفسير قوله تعالى (قل الله يتوفاكم) يقبض نفوسكم بتمامها (ملك الموت الذى وكل بكم)[١] اى يقبض أرواحكم عند انتهاء مدد أعماركم ، وفى عبارة " وكل بكم " إشارة الى وجه التوفيق بين هذه الآية ، وقوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها)[٢] ، وهو أن فعل الوكيل فعل الموكل"[٣] ..

ولهذا الملك المقرب أعوان يدل عليه قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) الجمهور على أنهم حفظة الأعمال . وقيل : انهم الذين يحفظون أنفاس الخلق ويعدونها الى وقت انقضائها ، ثم يقبضون الروح ، ويناسبه ما بعده ... (حتى اذا جاء أحدكم الموت) اى أسبابه (توفته) قبضت روحه ... (رسلنا) جاءوا جميعا ، يعنى به ملك الموت وأعوانه ، وفى عبارة " رسلنا " اشارة الى ان ذلك بأمره تعالى ، ولذلك أسنده الى نفسه فى موضع آخر ، وقال (الله يتوفى الأنفس حين موتها)[٢] ، (وهم لايفرطون)[٤] ... اى لاينقصون مما أمروا به ، ولايزيدون فيه "[٥] .

---

(١) السجدة/١١ .
(٢) الزمر/٤٢ .
(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٦٤ (أ) .
(٤) الأنعام/٦١ .
(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٧٢/١ .

ـ نـقـد ـ

والذى ذهب اليه علامة الروم ابن كمال باشا من أن الله تعالى هو المحيى والمميت ، وأنه تعالى وكل قبض الأرواح الى ملك الموت وأعوانه هو مدلول النصوص التى ذكرها العلامة ، وموافق لما ذهب اليه السلف رضى الله عنهم . قال ابن عباس وغير واحد : لملك الموت أعوان من الملائكة ، يخرجون الروح من الجسد ، فيقبضها ملك الموت اذا انتهت الى الحلقوم (١).

وقال الامام الطحاوى رحمه الله : " ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين " (٢).

٢ ـ فتنة القبر وسؤاله :

" القبر : الدفن ، يقال : قبرتُ الميت أقبُرُه وأقبِرُه ـ بالضم والكسر ـ قبرا : أى دفنته . وأقبرته : أى أمرت بأن يُقبر .

والمراد هنا ، موضع الدفن ، وقد شاع استعماله فيه " (٣).

وأما المراد من سؤال القبر السؤال فى البرزخ ، وهو " ما بين الدنيا والآخرة ، من وقت الموت الى أن يبعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ " (٤). واسناد السؤال الى القبر على وجه التغليب ، اذ

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (المختصر ٥٨٤/١ و ٧٢/٣) ، القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٩٣/١٤ ـ ٩٤ ، والتذكرة ٨٧/١ ، ٩٣ ـ ٩٤ .

(٢) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٠ .

(٣) ابن كمال باشا : شرح الأربعين ص ٦٢ ضمن " رسائل ابن كمال باشا " ط . ١٣١٦ .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة فى الشخص الانسانى ص ١٠٠ هامش ، " رسائل ابن كمال باشا " ط . ١٣١٦ .

غالب من يموتون يدفنون ، والا فالسؤال ثابت لكل من مات ، سواء دفن في القبر ، أو غرق في البحر ، أو أكلته السباع ، أو احترق حتى صار رمادا ونسف في الهواء (١) .

ان الموت باب الدار الآخرة ، والقبر أول منازلها (٢) .

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن الروح بعد مفارقة الجسد لها علاقة خاصة بموضع دفن بدنها ، فتعرف من يزورها ، وترد عليه السلام ، قال : "وكذلك قبور سائر المؤمنين بينها وبين أرواحهم نسبة خاصة مستمرة ، فيعرفون من يزور قبورهم ، ويردون على من يسلم عليهم . يدل عليه ماذكره الحافظ عبد الحق الاشبيلي (٣) في

(١) ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥١ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٢٦٥ . عن هانئ بن عثمان قال : كان عثمان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبلّ لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكي ، وتبكي من هذا ؟ قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان القبر أول منازل الآخرة ، فان نجا منه فما بعده أيسر منه ، وان لم ينج منه فما بعده أشد منه " . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مارأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه " .
أخرجه الترمذي (٤/٥٥٣) في كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٥) حديث رقم ٢٣٠٨ وقال : " هذا حديث حسن غريب ، لانعرفه الا من حديث هشام بن يوسف " .
وابن ماجه (٢/١٤٢٦) في كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٣٢) ذكر القبر والبلى ، ٤٢٦٧ .
وأحمد ١/٦٣ ، والبيهقي في عذاب القبر ص ٥٣ والحاكم في المستدرك ١/٣٧١ .

(٣) عبد الحق الاشبيلي : هو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله ، أبو محمد الأزدي المعروف بابن الخراط ، كان فقيها حافظا حجة عالما بالحديث وعلله ، وعارفا بالرجال .. توفي ٥٨١ هـ .
(الذهبي : تذكرة الحفاظ ٤/١٣٥٠ ، محمد بن محمد مخلوف : شجرة النور الزكية ١٥٥) .

" كتاب العاقبة " عن أبى عمر بن عبد البر أنه ذكر من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مامن أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا ، فيسلم عليه الا عرفه ، ورد عليه السلام (١) " وهو صحيح الاسناد " (٢) .

ويؤمن ابن كمال باشا بأن " سؤال منكر ونكير ، وهما ملكان ، يسألان من مات بعد ما دفن فى القبر : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ حق " (٣) .

ولقد استدل العلامة ابن كمال باشا بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) (٤) على سؤال القبر ، حيث قال فى تفسيره : " وتثبيتهم فيها - اى فى الآخرة - أنهم اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف لم يتلعثموا ولم يدهشهم أحوال القيامة . وقيل : معناه : الثبات عند سؤال القبر ، وروى فيه الخبر المرفوع " (٥) .

ومن الأخبار الواردة فى سؤال الملكين فى القبر مارواه البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) (٦)

---

(١) ابن كمال باشا : شرح الأربعين ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) والحديث أخرجه ابن عبد البر فى "التمهيد " ، و"الاستذكار" (١/ ٢٣٤)كما فى التذكرة ١/ ١٨٣ للقرطبى ، وفى " أحوال الروح " للسيوطى (ق ١٥٧ برنستون برقم ١٦١٤) ، وكذلك فى الحاوى فى الفتاوى ٢/ ٣٠٢ فقال :صححه أبو محمد عبد الحق " .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ١٩٣ ب (مكتبة الحرم المكى ١٥١ مجاميع)،وكذلك رسالة المنيرة ص ١٣ .

(٤) ابراهيم/ ٢٧ . (٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٨١ أ .

(٦) ابراهيم/ ٢٧ .

قال : نزلت في عذاب القبر ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك قوله عز وجل (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) " واللفظ لمسلم (١) .

ـ نقد ـ

لقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ، وسؤال الملكين ، فيجب الايمان بذلك ، واعتقاد ثبوته من غير بحث في كيفيته ، اذ ليس للعقل وقوف على ذلك (٢) ، لكونه لاعهد له به في هذه الدار ، والشرع لايأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول (٣) .

ومن الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتنة القبر :

١ ـ ما أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن العبد اذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ـ انه ليسمع قرع نعالهم ـ ، أتاه ملكان ،

---

(١) أخرجه البخاري (الفتح ٣/٢٣٢) في كتاب (٢٣) الجنائز، باب (٨٦) ماجاء في عذاب القبر ، رقم ١٣٦٩ .
ومسلم (٤/٢٢٠١) في كتاب (٥١) الجنة ، باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه رقم/٢٨٧١ .
والبيهقي في عذاب القبر ص ٢٠ ـ ٢١ .

(٢) لأنه من الأمور الغيبية التي غابت عن الحس والعقل غيبة كاملة حيث لايدرك واحد منهما بالبديهة ولابالاستدلال (ابن كمال باشا : تفسيره ١/١٣) .

(٣) انظر : ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، فيراهما جميعا . قال قتادة : وذكر لنا انه يفسح له في قبره . ثم رجع الى حديث أنس .

وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لاأدري ، كنت أقول مايقول الناس ، فيقال : لادريت ، ولاتليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين " (١) واللفظ للبخاري .

ومنها أيضا ما أخرجه الشيخان عن أسماء رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من شيء كنت لم أره الا قد رأيته في مقامي هذا ، حتى الجنة والنار . ولقد أوحي اليّ أنكم تفتنون في القبور مثل -أو قريبا من- فتنة الدجال يؤتى أحدكم فيقال له : ماعلمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمنون -أوالموقن- فيقول : محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وآمنا واتبعنا ، فيقال له : نم صالحا ، فقد علمنا ان كنت لموقنا به . وأما المنافق -أو المرتاب- فيقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته " (٢) . متفق عليه واللفظ للبخاري .

---

(١) أخرجه البخاري (الفتح ٣/٢٠٥) في كتاب (٢٣) الجنائز ، باب (٦٧) الميت يسمع خفق النعال ، حديث رقم ١٣٣٨ ، و (الفتح ٣/٢٣٢) باب (٨٦) ماجاء في عذاب القبر/١٣٧٤ .
ومسلم (٤/٢٢٠٠) في كتاب (٥١) الجنة ، باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، رقم ٢٨٧٠ (مختصرا) .

(٢) البخاري (الفتح ٢/٥٤٣) في كتاب (١٦) الكسوف ، باب (١٠) صلاة النساء مع الرجال في الكسوف/١٠٥٣ .

وهناك أحاديث كثيرة ، وردت في كتب الصحاح ، تثبت فتنة القبر وسؤال الملكين ، رويت بطرق متعددة ، وبألفاظ مختلفة عن جمع من الصحابة مثل علي ، وزيد بن ثابت ، وابن عباس ، والبراء بن عازب ، وأبي أيوب الأنصاري ، وأنس بن مالك ، وجابر ، وعائشة ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم ، بلغ مجموعها حد التواتر الذي لايقبل الريب او الاحتمال (١).

٣ ـ عذاب القبر ونعيمه

ان " عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، حق ثابت لجميع الكافرين ، ولبعض عصاة المؤمنين ، لقوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) (٢) " ، وقوله تعالى أيضا (وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك) (٣).

وقد استشهد العلامة ابن كمال بآيات أخرى من القرآن الكريم على عذاب القبر .

منها قوله تعالى (... فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى في الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) (٤) ، قال

ومسلم (٢/٦٢٤) في كتاب (١٠) الكسوف ، باب (٣) ماعرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، ٩٠٥ .

(١) ابن قطلوبغا : شرح المسايرة ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ، القرطبي : التذكرة ١/١٨٤ .

(٢) السجدة/٢١ . ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص١٣ ، وكذلك : رسالة في بيان عقيدة أهل السنة ١٩٣ ب . قال العلامة ابن القيم في الروح/٧٦ : " وقد احتج بهذه الآية جماعة ، منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر " .

(٣) الطور/٤٧ . استشهد بها ابن كمال باشا على من ينكر عذاب القبر في كتابه الرد على الفرق ٧ ب .

(٤) البقرة/٨٥ .

فى تفسيره : " ففيه إشارة الى أنهم كانوا قبل ذلك مرة أخرى فى أشد العذاب ، وهو ما فى القبر " (١) .

ومنها قوله تعالى (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) (٢) : " بالفضيحة والقتل ، أو بأحدهما وعذاب القبر ، أو بأخذ الزكاة ونهك الأبدان ... " (٣)

ومنها قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) (٤) ، " اليوم " الوارد فى الآية " يريد به وقت الإماتة (٥) ، أو الوقت الممتد من الموت الى ما لانهاية له " (٦) . اى ان الملائكة يخاطبونهم بهذا الخطاب وقت إماتتهم ... قال ابن حجر : " ويشهد له قوله تعالى فى سورة القتال (فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) (٧) ، ثم قال : " هذا وان كان قبل الدفن ، فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة . وانما أضيف العذاب الى القبر لكون معظمه يقع فيه ، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا " (٨) .

ومنها قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ...) (٩) " يعنى فى دار الآخرة ، ولفظ التوفية ان لم يشعر بأنه قد يكون فى هذه الدار بعض الأجور فلا يدل على

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٨١ (الحرم المكى) .
(٢) التوبة/١٠١ .
(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٠٤ أ .
(٤) الانعام/٩٣ .
(٥) وهو مروى عن عباس رضى الله عنهما (فتح البارى ٣/٢٣٣) .
(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٨٣ .
(٧) محمد /٢٧ .
(٨) ابن حجر : فتح البارى ٣/٢٣٣ ، انظر كذلك : ابن قيم الجوزية : الروح ص ٧٥ .
(٩) آل عمران/١٨٥ .

عدمه ، فلا ينافي عليه مايدل على وقوعه من الأخبار لقوله عليه السلام : " الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار " (١) .
وأما ما يعطى في القبر فمما يوفى في الدار الآخرة ، لأن الموت بابها والقبر أول المنزل " (٢) .

ومن الآيات الدالة على ثبوت عذاب القبر قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) (٣) ولم نجد تفسير هذه الآية عند صاحبنا العلامة ابن كمال باشا حيث لم يصل الى تفسير سورة غافر ، وانما اخترمته المنية قبل إكماله ، وانقل تفسير هذه الآية من القاضي البيضاوى والعلامة أبي السعود ـ تلميذ ابن كمال باشا ـ حيث تتفق عباراتهم في الغالب ، قالا في تفسيرها : " فان عرضهم على النار إحراقهم بها ، من قولهم : عرض الأسارى على السيف : اذا قتلوا به ، وذلك لأرواحهم كما روى عن ابن مسعود : أن أرواحهم في أجواف طيور سود ، تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة ... (٤) وفيه دليل على بقاء النفس ، وعذاب القبر " (٥) .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٣٩ : " أحمد من طريق القاسم عن عائشة ، لكن قال " وحسن الخلق " بدل " الصدقة " ورواه البيهقي في الشعب من هذا الوجه كذلك ، وزاد " وحسن الجوار " . وله طريق أخرى عند الاصفهاني عن أبي سعيد بلفظ : " صلة الرحم وحسن الخلق ، وبر الوالدين " ، وزاد " وان كان القوم فجارا " . انظر أيضا : السيوطي : تخريج أحاديث شرح العقائد ص ٧٢ ، السخاوى : المقاصد الحسنة / ٢٦١ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٢٦٥ (الحرم المكى) . (٣) غافر / ٤٦ .

(٤) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : .. وان أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود ، تغدو على جهنم وتروح عليها ، فذلك عرضها " (مختصر تفسير ابن كثير ٣ / ٢٤٦ ، القرطبي : التذكرة ١ / ١٩٤) .

(٥) البيضاوى : أنوار التنزيل ٥ / ٤٠ ، أبو السعود : ارشاد العقل السليم ٧ / ٢٧٨ ـ

ان النفس تنعم مفردة عن البدن ، ومتصلة به (١) . اذ أن " روح الانسان : جسم لطيف (٢) ، لا يفنى بخراب البدن ، ولا يتوقف عليه ادراكه ، وتألمه ، والتذاذه ، ويؤيد ذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) (٣) . وما روى عن ابن عباس رضى الله عنه (٤) أنه عليه السلام قال : " أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش " (٥) .

وقال أيضا : " واذا انكشف لك حال الروح فقد وقفت على أسرار عالم البرزخ ، وأحوال القبر ، وما فيه من الألم واللذة الجسمانيين ، وانجلى عندك وجه كونه " روضة من رياض الجنان ، أو حفرة من حفر النيران " (٦) ، وكان عندك حل شبهات المنكرين على طرف

---

٢٧٩ . وانظر: الآيات الدالة على ثبوت عذاب القبر ونعيمه عند ابن القيم فى الروح ٧٥ـ ٧٦ .

(١) ابن أبى العز: شرح العقيدة الطحاوية ٤٥١ ، ابن القيم : الروح ص ٥١ .

(٢) المراد من اللطيف ما لا يتعلق به حاسة النظر لعدم حظه من الكثافة . (ابن كمال باشا : تفسيره ١ /٣٨٨) .

(٣) غافر ٤٦ .

(٤) أخرجه أبو داود (٣ / ٣٢) فى كتاب (٩) الجهاد ، باب (٢٧) فضل الشهادة ، رقم / ٢٥٢٠ .
والحاكم فى المستدرك ٢ / ٨٨ وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى .
وأحمد فى المسند ١ /٢٦٦ ، وابن أبى شيبة فى المصنف ٥ /٢٩٤ ،
والبيهقى فى البعث والنشور ١٥٢ .
وأخرج مسلم معناه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (٣ /٢ ١٥٠) برقم/١٨٧٨ .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٢٥٩ ، وكذلك : رسالة فى تحقيق القول بأن الشهداء أحياء ص ٩٥ ، ورسالة فى الشخص الانسانى / ٩٩ .

(٦) جزء من الحديث الذى أخرجه الترمذى (٤ / ٦٣٩ ـ ٦٤٠) فى كتاب (٣٨) صفة =

التمـــام »(١) .

وليس السؤال في القبر للروح وحدها .. وكذلك عذاب القبر ، بل يكون للنفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة (٢). وان الروح بعد مفارقة البدن في الحياة الدنيا ، تعود اليه ، وتتصرف فيه في عالم البرزخ ، كما تصرفت فيه في الدنيا .. قال العلامة ابن كمال باشا : « ان الروح تدخل في بدنها بعد ما خرجت ، وتتصرف فيه تصرف الأحياء في أبدانهم قبل الحشر ... وقد شهد بذلك الأخبار . منها : مانقله الامام القرطبي في التذكرة (٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : بينما أنا أسير بجنبات بدر ، اذ خرج رجل من الأرض في عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود ، فقال : ياعبد الله إ اسقني ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما ، لا أدري أَعَرَفَ اسمي أو كما

القيامة ، باب (٢٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ : « انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وقال : هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه » .

والبيهقي في عذاب القبر/٦٤ .

قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص٣٠٢ : « الترمذي والطبراني معا عن أبي سعيد ، والطبراني فقط في ترجمة مسعود بن محمد الرملي من معجمه الأوسط عن أبي هريرة كلاهما به مرفوعا ، وسند كل منهما ضعيف »

وقال القرطبي في التذكرة ١/١٦٥ : « قوله (روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) محمول عندنا على الحقيقة لا المجاز ، وان القبر يملأ على المؤمن خضرا ، وهو العشب من النبات ، وقد عينه ابن عمر في حديثه أنه الريحان » .

(١) ابن كمال باشا : رسالة في الشخص الانساني ص١٠٠ ، ورسالة الفرائد ٢٧٤ .

(٢) ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ص٤٥١ ، ابن قيم الجوزية : الروح ص٥١ .

(٣) ١/١٧٢ ، وكذلك ابن قيم الجوزية في الروح ص٦٧ .

يقول الرجل : ياعبد الله ! فقال لى الأسود : لاتسقه ، فانه كافر ، فاجتذبه ، فدخل به الأرض . قال ابن عمر رضى الله عنهما : فأتيت رسول الله عليه السلام ، فأخبرته ، فقال : أَوَقَدْ رأيتَه ؟ ذاك عدو الله أبو جهل بن هشام ، وهو عذابه الى يوم القيامة " (١) .

ــ تعقيب ــ

ان عذاب القبر ونعيمه قد تضافرت عليه دلائل من الكتاب ، والسنة الصحيحة المتواترة ، واجماع الأمة .. ولذلك يجب الاعتقاد بثبوته ، والايمان به (٢) .

وأما الأدلة من القرآن الكريم فقد ذكرناها أثناء عرض رأى ابن كمال باشا مع تفسيره للآيات الكريمات ...

وأما الأحاديث الصحيحة الثابتة فى عذاب القبر فكثيرة جدا ، تبلغ حد التواتر . قال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم : " اعلم أن

(١) ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق القول بأن الشهداء أحياء فى الدنيا ص٩٦ . والحديث أخرجه : البيهقى فى عذاب القبر ص١٨٣ ، والوائلى الحافظ فى " كتاب الابانة " له كما ذكره القرطبى فى التذكرة ١٧٢/١ ، وابن أبى الدنيا فى كتاب القبور كما ذكره ابن قيم الجوزية فى الروح ص٦٧ ، والطبرانى فى الأوسط ، وفيه عبد الله بن محمد بن المغيرة وهو ضعيف كما فى مجمع الزوائد للهيثمى ٦٠/٣ . وذكره ابن الأثير : فى النهاية ٢١٩/٢ (رمزنة) .

(٢) ابن القيم : الروح ٧٥ ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ٤٥٠ ، الجرجانى : شرح المواقف ٥٩٠ ــ ٥٩١ : القرطبى : التذكرة ١٦٠/١ .

مذهب أهل السنة اثبات عذاب القبر ، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة. قال الله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) [١]، وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة من الصحابة فى مواطن كثيرة. ولا يمتنع فى العقل أن يعيد الله تعالى الحياة فى جزء من الجسد ويعذبه ، واذا لم يمنعه العقل ، وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده" [٢].

ومن الأحاديث الواردة فى عذاب القبر ونعيمه ما أخرجه الشيخان عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " [٣].

ومنها ما أخرجه أصحاب الكتب الستة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين ، فقال :

---

(١) غافر/٤٦ .   (٢) النووى : شرح صحيح مسلم ١٧/٢٠٠ـ ٢٠١.

(٣) أخرجه البخارى (الفتح ٣/٢٤٣) فى كتاب (٢٣) الجنائز ، باب (٨٩) الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، رقم ١٣٧٩ .

ومسلم (٤/٢١٩٩) فى كتاب (٥١) الجنة ، باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، رقم ٢٨٦٦ .

ومالك ١/٢٣٩ .

والترمذى (٣/٣٧٥) فى كتاب (٨) الجنائز ، باب (٧٠) ماجاء فى عذاب القبر رقم ١٠٧٢ .

والنسائى (٤/١٠٦) فى كتاب (٢١) الجنائز ، باب (١١٦) وضع الجريدة على القبر ، رقم ٢٠٧٠ .

انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير . أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لايستتر من بوله ، قال : فدعا بعسيب رطب ، فشقه باثنين ، ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ، ثم قال : لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا " (١).

ويقول العلامة ابن قيم الجوزية : " مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت اذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وان ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحيانا ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح الى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العباد ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى " (٢).

وبعد عرض رأى ابن كمال باشا في عذاب القبر ونعيمه على مذهب السلف نستطيع أن نقول إنه اتبع مذهبهم في ذلك حيث أثبت ماورد في الكتاب والسنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تأويل وصرف عن معانيه الحقيقية ، وآمن به .

---

(١) البخاري (الفتح ٣/٢٤٢) في كتاب (٢٣) الجنائز ، باب (٨٨) عذاب القبر من الغيبة والبول/١٣٧٨ .

ومسلم (١/٢٤١) في كتاب (٢) الايمان ، باب (٤٣) الدليل على نجاسة البول رقم ٢٩٢ .

والترمذي (١/١٠٢) في كتاب (١) الطهارة ، باب (٥٣) ماجاء في التشديد في البول رقم/٧٠ .

والنسائي (٤/١٠٦) في كتاب (٢١) الجنائز ، باب (١١٦) وضع الجريدة على القبر/٢٠٦٩ .

وابن ماجه (١/١٢٥) في كتاب (١) الطهارة ، باب (٢٦) التشديد في البول رقم ٣٤٧ ، واحمد ١/٢٢٥ .

(٢) ابن القيم : الروح ص٥٢ .

الفصل الثاني

أشراط الساعة

١ ـ ظهور الدجال .

٢ ـ نزول عيسى عليه السلام .

٣ ـ ظهور يأجوج ومأجوج .

٤ ـ طلوع الشمس من مغربها .

٥ ـ خروج الدابة .

الساعة اسم من اسماء يوم القيامة .. قال الله تعالى (يسألونك عن الساعة) (١) وقال الامام ابن كمال باشا فى تفسيره: " اى عن يوم القيامة ، لقوله تعالى (يسألون أيان يوم الدين) (٢) .

وهي من الاسماء الغالبة ، وإطلاقها على ذلك اليوم : اما لوقوعها بغتة ، أو لسرعة حسابها ، أو لأنها على طولها كساعة عند الله " (٣).

وقد أخفى الله تعالى موعد الساعة عن الناس كلهم ، " ولم يطلع أحدا ، لانبيا ولاملكا " (٤) . وقد صرح القرآن والأحاديث بهذا المعنى مكررا ومؤكدا ، قال الله تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها الا هو) اى لايبينها ولايكشف أمرها للناس ، واللام للتوقيت ، كما فى " أقم الصلاة لدلوك الشمس " (٥) ، والمعنى : ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها ، ولايظهر الا فى ذلك الوقت الذى يقع فيه بغتة بنفس الوقوع ، لابالإخبار عنها ، ليكون أدعى الى الطاعة ، وأنهى عن المعصية ، كإخفاء الأجل الخاص الذى هو وقت الموت (٦) ... (ثقلت فى السموات والأرض لاتأتيكم الا بغتة) فجأة على غفلة منكم ، كما قال (ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) (٧) .

وقد ورد فى الحديث : ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه، والرجل يسقى ماشيته ، والرجل يقوّم سلعته فى السوق ، والرجل يَخْفِض

---

(١) الأعراف/١٨٧ .   (٢) الذاريات/١٢ .

(٣) تفسير ابن كمال باشا ٢٦٥ أ . أنظر:الأوجه الأخرى فى سبب تسميته بالساعة : القرطبى : التذكرة ١/٢٦٧ــ٢٦٨ .

(٤) تفسير ابن كمال باشا /٥٧٥ ب .   (٥) الاسراء/٧٨ .

(٦) انظر فى حكمة اخفاء موعد الساعة ، وبيان علاماتها : القرطبى التذكرة ٢/٢٠٨، السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٦٦ .

(٧) يس / ٤٩ .

ميزانه ويرفعه (١) ... (يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون) (٢) أي علمها عند الله تعالى ، لم يؤته أحدا من خلقه " (٣).

أشراط الساعة :

إن أشراط الساعة وأماراتها تنقسم الى ثلاثة أقسام: قسم ظهر وانقضى ، وهي الأمارات البعيدة ، وقسم ظهر ولم ينقض ، بل لايزال في زيادة حتى اذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث ، وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة ، وأنها تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها (٤).

وقد جمع الحديث الذي ذكره العلامة ابن كمال باشا جزءا منها ، والذي أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه معظم أشراط الساعة ، وهو: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ، تكون بينهما مقاتلة عظيمة ،

---

(١) لم أعثر على الحديث بهذا اللفظ فيما اطلعت من كتب الحديث، وسيأتي تخريجه بعد قليل بلفظ قريب من هذا .

(٢) الأعراف/١٨٧ .   (٣) ابن كمال باشا :تفسيره ٢٦٥ أ ـ ب بشيء من التصرف.

(٤) السفاريني : لوامع الأنوار ٢ /٦٦ ثم ذكر علامات كل قسم منها .

وقد قسم كل من ابن حجر في فتح الباري ١٣ /٨٣ ، والسخاوي في " القناعة فيما يحسن الاحاطة به من أشراط الساعة " ، والشريف محمد بن رسول البرزنجي في " الاشاعة لأشراط الساعة " ،

وصديق حسن خان القنوجي ، في " الاذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة " الى هذه الأقسام وذكروا في كل قسم منها مايتعلق به.

دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج ـ وهو القتل ـ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهمّ رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه: لا أَرَب لى به ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : ياليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين (لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا) [١] ، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولايطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحته فلا يَطْعَمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يَطْعَمها » [٢] . واللفظ للبخارى فى الفتن .

قال الامام القرطبى : قال علماؤنا رحمة الله عليهم: هذه ثلاثة

---

(١) الأنعام/١٥٨ .

(٢) البخارى (الفتح ١٣ /٨١ـ ٨٢) فى كتاب (٩٢) الفتن ، باب (٢٥) ، رقم/٧١٢١ .
وطرفا منه فى (١١ /٣٥٢) فى كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٠) ، رقم/٦٥٠٦ .
وأخرج مسلم الجزء الأول منه (١ /١٣٧) فى كتاب (١) الايمان ، باب (٧٢) بيان الزمن الذى لايقبل فيه الايمان ، برقم/١٥٧ . والجزء الأخير منه (٤ /٢٢٧٠) فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٧) قرب الساعة برقم/٢٩٥٤ .
وأبو داود مختصرا (٤ /٤٩٢) فى كتاب (٣١) الملاحم ، باب (١٢) أمارات الساعة ، برقم/٤٣١٢ .
وابن ماجه مختصرا (٢ /١٣٥٢) فى كتاب (٣٦) الفتن ، باب (٣٢) طلوع الشمس من مغربها ، برقم/٤٠٦٨ .

عشرة علامة ، جمعها أبو هريرة في حديث واحد ، ولم يبق بعد هذا ماينظر فيه من العلامات والأشراط في عموم انذار النبي صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان ، وتغيير الدين ، وذهاب الأمانة مايغني عن ذكر التفاصيل الباطلة ، والأحاديث الكاذبة في أشراط الساعة » (١)

وأنا أقتصر هنا في بيان رأى العلامة ابن كمال باشا في علامات الساعة الكبرى حسبما وجدت رأيه في كل منها إن شاء الله تعالى .

ان مذهب العلامة ابن كمال باشا في الساعة وعلامات قربها هو وجوب الايمان بها ، وأنها آتية لامحالة ، وأنها قريبة الوقوع ، وان موعدها لايعلمه الا الله عز وجل ، أخفاه على الناس كلهم ، بما فيهم أنبياؤه المرسلون وملائكته المقربون (٢) ، وأنه ليس لأحد من سبيل الى معرفة مابقي من عمر الدنيا (٣) .

---

(١) القرطبي : التذكرة ٢/٣١٠ .

(٢) انظر : تفسير ابن كمال باشا ٢٦٥ أ ، ٤٥٣ أ ، ٥٧٥ ب .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة في بيان مدة الدنيا وخروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها ، ضمن مجموعة بجامعة القاهرة برقم/٣٩٣٧ ت وهي مصورة عندي . وقد انتدب جماعة من العلماء على تعيين قرب الساعة وزمن كونها ومجيئها ، واستدلوا بأحاديث غير صحيحة ، وماصح منها فدلالتها غير صريحة . وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي ذلك في رسالة سماها " الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف "، وذكر فيها أنها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف.. وقد ألف ابن كمال باشا رسالته المذكورة للرد على السيوطي في تحديده قيام الساعة اعتمادا على حديث: "الدنيا سبعة آلاف أنا في آخرها ألفا " .

قال أبو الفيض أحمد بن الصديق الغماري في " المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير " ص٤٨ : " قال الحافظ : موضوع . ولو كان المؤلف - السيوطي - في عصرنا لاستحى أن يذكره ، وكذلك البيهقي الذي زعم أنه لايخرج حديثا يعلم ==

وقال العلامة ابن كمال باشا فى تفسير قوله تعالى (يسألك الناس عن الساعة) أى عن وقت قيامها ، كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجالا — لا على سبيل الهزء والانكار — وامتحانا ... (قل إنما علمها عند الله) لم يطلع أحدا ، لا نبيا ، ولا ملكا ، ثم بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) (١) أى أنها قريبة الوقوع ، تهديدا للمستعجلين ، واسكاتا للممتحنين ".(٢)

وقال العلامة ابن كمال باشا أيضا فى بيان علامات الساعة :

" وعلامات قرب الساعة حق ثابت ، لقوله عليه الصلاة والسلام :

" لاتقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : كوقوع الدخان ، وخروج الدجال ودابة الأرض ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى عليه السلام ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار يخرج من جانب اليمن ، فتطرد الناس الى محشرهم " كذا فى المصابيح ".(٣)

أنه موضوع " . نقل عنه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة فى هامش " الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة " ص ٧٩ " ، انظر أيضا : القارى : الأسرار المرفوعة / ٤٣١ ، السفارينى : لوامع الأنوار ٢ / ٦٦ .

(١) طه / ١٥ . (٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٧٥ ب .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ١٣ .

والحديث : أخرجه مسلم (٤ / ٢٢٢٥ — ٢٢٢٧) من طرق عن أبى هريرة وحذيفة ابن أسيد الغفارى فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (١٣) فى الآيات التى تكون قبل الساعة ، رقم ٢٩٠١ .

والترمذى (٤ / ٤٧٧ — ٤٧٨) فى كتاب (٣٤) الفتن ، باب (٢١) ماجاء فى الخسف ، رقم / ٢١٨٣ . وقال : " وفى الباب عن على وأبى هريرة وأم سلمة وصفية بنت حيى وهذا حسن صحيح " .

وأبو داود (٤ / ٤٩١) فى كتاب (٣١) الملاحم ، باب (١٢) أمارات الساعة ، ٤٣١١ . ==

والآن أتحدث باختصار عن بعض هذه العلامات الكبرى الواردة في الحديث الذي ذكره العلامة ابن كمال باشا ، علما بأن العلماء اختلفوا في ترتيب وقوع هذه الآيات .

قال الامام القرطبي : إن أول الآيات: ظهور الدجال ، ثم نزول عيسى عليه السلام ، ثم خروج يأجوج ومأجوج ، ثم دابة الأرض ، ثم طلوع الشمس من مغربها (١) ، وذكر هذا الترتيب أيضا الامام البيهقي (٢) .

١ – ظهور الدجال :

الدجال هو الكذاب ، شديد الدّجل . والدجل في اللغة هو التغطية والتمويه . وسمي الكذاب دجالا ، لأنه يغطي الحق ويستره بسحره وكذبه ، أو يغطي الارض بالجمع الكثير (٣) .

وان من أمارات الساعة الكبرى ظهور شخص لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالدجال ، لشدة تدجليه وكذبه ، يدعي الألوهية ، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثهم من خوارق العادات ، وعجائب

وابن ماجه (٢/١٣٤٧) في كتاب (٣٦) الفتن ، باب (٢٨) الآيات ، رقم/٤٠٥٥ .
وأحمد في المسند ٤/٦-٧ .
وفي مشكاة المصابيح ٣/١٥٠٥ ، برقم/٥٤٦٤ .

(١) التذكرة ٢/٣٤٠ باختصار . انظر حول ترتيب ظهور علامات الساعة : ابن كثير : النهاية في الفتن ١/١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، وابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ٥٦٦ ، ابن حجر :فتح الباري ١١/٣٥٢ – ٣٥٣ ، السفاريني :لوامح الانوار ٢/١٤٢ .

(٢) ابن كثير :النهاية في الفتن ١/١١٣ – ١١٤ ، ابن حجر :فتح الباري ١١/٣٥٤ .

(٣) البيومي : مصباح المنير ١٩٠ ، القرطبي : التذكرة ٢/٣٤٤ – ٣٤٥ .

الأمور بإذن الله تعالى ، فيفتن به بعض الناس ، ويثبت الله الذين آمنوا ، فلا يخدعون بدجله وضلاله ، ثم يأذن الله تعالى بالقضاء على فتنته ، فينزل عيسى عليه السلام فيقتله .. (١)

لم أجد كلاما لابن كمال باشا في الدجال سوى قوله في تفسير قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك) (٢) : " ونزول عيسى عليه السلام لدعوى الخلق الى دين الحق بعد خروج الدجال " (٣) . فنستطيع أن نستنتج من هذا النص أنه يؤمن بخروج الدجال ، وأن ذلك قبل نزول عيسى عليه السلام من السماء ، حيث انه يقتل الدجال .

ولقد فاض بالأحاديث الصحيحة المتعلقة به جميع كتب السنة تحذيرا ، وإخبارا ووصفا (٤) .

منها : ما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال : اني لأنذركموه ، وما من نبي الا وقد أنذر قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه : انه أعور وان الله ليس بأعور " (٥) ، واللفظ للبخاري .

ومنها : ما أخرجه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول

---

(١) انظر : د . ياسين : كتاب الايمان ص١٠١ . (٢) الأنعام/١٥٨ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١ /٤١٠ (الحرم المكي) .

(٤) انظر : الأحاديث الواردة في الدجال : ابن كثير : النهاية في الفتن والملاحم ١ / ٥٢ ـ ٨٤ .

(٥) البخاري (١٣ / ٩٠) في كتاب (٩٢) الفتن ، باب (٢٦) ذكر الدجال ، ٧١٢٧ . ومسلم (١ /١٥٤ ـ ١٥٥)في كتاب (١)الايمان ، باب (٧٥)ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ، برقم١٦٩ . وفي (٤ /٢٢٤٧)كتاب (٥٢)الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٠) ذكر الدجال .

الله صلى الله عليه وسلم: لأنا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان ، أحدهما رأى العين ، ماء أبيض ، والآخر ، رأى العين ، نارٌ تأجّجُ . فإما أدركنّ أحد فليأت النهر الذي يراه نارا وليغمّض ، ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه ، فانه ماء بارد . وان الدجال ممسوح العين ، عليها ظفرة غليظة ، مكتوب بين عينيه كافر ، يقرأه كل مؤمن : كاتب ، أو غير كاتب " (١) .

ومنها : ما أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من نبى الا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا انه أعور ، وان ربكم ليس بأعور ، ومكتوب بين عينيه: ك ف ر " (٢) واللفظ لمسلم .

ومنها : ما أخرجه مسلم وأصحاب السنن عن النّوّاس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة ، فخفّض فيه ورفّع (٣) ، حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رحنا اليه عرف ذلك

---

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٩) في كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٠) ذكر الدجال ، برقم ٢٩٣٤ ـ ٢٩٣٥ .
وأبو داود (٤ / ٤٩٤) في كتاب (٣١) الملاحم ، باب (١٤) خروج الدجال ، برقم ٤٣١٥ .
والبخاري مختصرا (الفتح ١٣ / ٩١) في كتاب (٩٢) الفتن ، باب (٢٦) ذكر الدجال ، برقم/ ٧١٣٠ .

(٢) البخاري (١٣ / ٩١) في كتاب (٩٢) الفتن ، باب (٢٦) ذكر الدجال ، برقم ٧١٣١ .
ومسلم (٤ / ٢٢٤٨) في كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٠) ذكر الدجال ، ٢٩٣٣ .

(٣) وفي معناه قولان : أحدهما : أن خفّض بمعنى : حقّر ، فمن تحقيره وهو أنه على الله تعالى عوره ، وأنه لا يقدر على قتل أحد الا ذلك الرجل ، وأنه يضمحل أمره ، ثم يقتل .

فينا ، فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يارسول الله ! ذكرت الدجال غداة ، فخفّضت فيه ورفّعت ، حتى ظنناه في طائفة النخل ، فقال : غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيجُ نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شاب قطَط (١) ، عينه طافئة ، كأني أشبهه بعبد العزى بن قَطَن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج خَلّة بين الشام والعراق (٢) ، فعاث يمينا وعاث شمالا (٣) ، ياعباد الله! فاثبتوا . قلنا : يارسول الله ! وما لَبْثه في الأرض؟ قال : أربعون يوما ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم . قلنا : يارسول الله ! فذلك اليوم الذي كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره . قلنا : يارسول الله ! وما اسراعه في الأرض؟ قال : كالغيث استدبرته الرّيحُ ، فيأتي على القوم فيدعوهم ، فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرضَ فتُنْبِت ، فتروح عليهم سارحتُهم أطول ما كانت ذُرًا (٤) ، وأسبغه ضروعا ، وأمدّه خواصر ، ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون مُمْحِلين (٥) ، ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل (٦) ،

وأن رفّع: بمعنى عظّم وفخّم ، من تغخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة ، وأنه ما من نبي الا وأنذر قومه .

والوجه الثاني : انه خفّض من صوته بعد طول الكلام والتعب ليستريح ، ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد .

(١) شديد جعودة الشعر . (٢) سيظهر في مكان بين البلدين .

(٣) العيث: الفساد ، أوأشد الفساد والاسراع فيه .

(٤) الذرى بضم الذال : هي الأعالي والأسنمة .

(٥) اى أصابهم المحل ، اى الجدب والقحط ، من قلة المطر وييس الأرض من الكلاء .

(٦) كجماعة النحل ، واليعاسب هي ذكور النحل .

ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف ، فيقطعه جزلتين رمية الغرض ،(١)
ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ، يضحك ، فبينما هو كذلك اذ بعث
الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق ، بين
مَهرُودَتَين (٢) ، واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، اذا طأطأ رأسه
قطر ، واذا رفع تحدّر منه جمان كاللؤلؤ (٣) ، فلا يحل لكافر (٤)
يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرْفه ، فيطلبه
حتى يدركه بباب لدّ (٥) ، فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم
قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ، ويحدّثهم بدرجاتهم في
الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله الى عيسى : أني قد أخرجت
عبادا لي ، لايَدانِ لأحد منهم بقتالهم (٦) ، فحرّز عبادي الى الطور ،
ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر
أوائلهم على بُحَيْرة طبرية ، فيشربون مافيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد
كان بهذه مرة ماءٌ ، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابُه ، حتى يكون
رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله
عيسى (٧) وأصحابه ، فيرسل الله عليهم النّغف (٨) في رقابهم ، فيصبحون
فرسى (٩) ، كموت نَفْسٍ واحدة . ثم يَهبِط نبي الله عيسى وأصحابه
الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر الا ملأهُ زَهَمُهم (١٠) ، ونَتنهم ،

(١) فيقطعه قطعتين ، ويجعل بينهما مقدار رمية الغرض .

(٢) اى ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران .

(٣) يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ فى صفائه .

(٤) لايمكن ولايقع لكافر . (٥) بلدة قريبة من بيت المقدس .

(٦) اى لاقدرة ولاطاقة لأحد منهم . (٧) اى يدعو الى الله عز وجل .

(٨) النغف هو دود يكون فى أنوف الابل والغنم .

(٩) اى قتلى ، واحدهم فريس .

(١٠) اى دسمهم .

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البُخْت (١) ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرا لايكُنُّ (٢) منه بيت مدر (٣) ولاوبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلَفة (٤) ، ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، ورُدّي بركتك ، فيومئذ تأكل العِصابة من الرمانة ، ويستظلون بقِحْفها (٥) ، ويبارك في الرِّسْل (٦) حتى أن اللِّقحة (٧) من الابل لتكفي الفئام من الناس ، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة ، فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس ، يتهاجرون فيها تهارج الحمر (٨) ، فعليهم تقوم الساعة » (٩).

وأخرج الشيخان عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة ، وليس نقب من أنقابها الا عليه الملائكة صافين تحرسها ، فينزل بالسَّبَخة (١٠) ، فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج منها كل كافر ومنافق » (١١) ، واللفظ لمسلم .

---

(١) اى كجمال طوال الأعناق .　　(٢) اى لايمنع من نزول الماء .

(٣) هو الطين الصلب .

(٤) كالمرآة في صفائها ونظافتها ، وقيل : كمصانع الماء .

(٥) هو مقعر قشرها ، شبهها بقحف الرأس وهو فوق الدماغ .

(٦) هو اللبن .　　(٧) وهي القريبة العهد بالولادة .

(٨) يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير .

(٩) أخرجه مسلم (٤ / ٢٢٥٠ ـ ٢٢٥٥) في كتاب (٥٢) الفتن ، باب (٢٠) ذكر الدجال ، برقم / ٢٩٣٧ .

(١٠) وفي القاموس (١ / ٢٧٠) : السبخة ـ محركة ومسكنة ـ : أرض ذات نزّ وملح .

(١١) البخاري (٤ / ٩٥) في كتاب (٢٩) فضائل المدينة ، باب (٩) لايدخل الدجال =

وقال الامام النووى : " وهذه الأحاديث التى ذكرها مسلم وغيره فى قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق فى صحة وجوده ، وأنه شخص بعينه ، ابتلى الله به عباده ، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذى يقتله ، ومن ظهور زهرة الدنيا ، والخصب معه ، وجنته وناره ، ونهريه ، واتباع كنوز الأرض له ، وأمره السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تنبت فتنبت ، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك ، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ، ولا غيره ، ويبطل أمره ، ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ، ويثبت الذين آمنوا .

هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار ، خلافا لمن أنكره ، وأبطل أمره من الخوارج والجهمية ، وبعض المعتزلة (١) ، وخلافا للبخارى المعتزلى وموافقيه من المعتزلة وغيرهم فى أنه صحيح الوجود ، ولكن الذى يدعى مخارق وخيالات لاحقائق لها ، وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهذا غلط من جميعهم ، لأنه لم يدع النبوة فيكون مامعه

= المدينة ، برقم/١٨٨١ .

ومسلم (٤/٢٢٦٥) فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٤) قصة الجساسة/٢٩٤٣ .

وأبو داود مختصرا (٤/٤٩٦) فى كتاب (٣١) الملاحم ، باب (١٤) خروج الدجال / ٤٣٢١ .

والترمذى (٤/٥١٠-٥١٣) فى كتاب (٣٤) الفتن ، باب (٥٩) ماجاء فى فتنة الدجال ، برقم ٢٢٤٠ . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه الامن حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر .

وابن ماجه (٢/١٣٥٦-١٣٥٩) فى كتاب (٣٦) الفتن ، باب (٣٣) فتنة الدجال ، رقم/٤٠٧٥ .

ونسبه المنذرى للنسائى أيضا .

انظر فى شرح الحديث : النووى : شرح صحيح مسلم ١٨/٦٣-٧٠ .

(١) انظر أيضا : القرطبى : التذكرة ٢/٣٥١ ، ابن كثير : النهاية فى الفتن ١/٨٤ .

كالتصديق له ، وانما يدعى الإلهية ، وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ، ووجود دلائل الحدوث فيه ، ونقص صورته ، وعجزه عن إزالة العور الذى فى عينيه ، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه (١) ، ولهذه الدلائل وغيرها لايغتر به إلا رَعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق ، أو تقية وخوفا من أذاه ، لأن فتنته عظيمة جدا ، تدهش العقول ، وتحير الألباب ، مع سرعة مروره فى الأمر ، فلا يمكث يتأمل الضعفاء حاله ، ودلائل الحدوث فيه والنقص ، فيصدقه من صدقه فى هذه الحالة . ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ، ونبهوا على نقصه ، ودلائل ابطاله ، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ، ولايخدعون لما معه ، لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له مع ماسبق لهم من العلم بحاله " (٢).

" قال الخطابى : فان قيل : كيف يجوز أن يجرى الله الآية على يد الكافر ؟ فان إحياء الموتى آية عظيمة من آيات الأنبياء ، فكيف ينالها الدجال ، وهو كذاب مفتر ، يدعى الربوبية ؟ "

ثم أجاب الخطابى على هذا السؤال قائلا : " فالجواب : أنه على سبيل الفتنة للعباد ، اذ كان عندهم مايدل على أنه مبطل غير محق فى دعواه ، وهو أنه أعور ، مكتوب على جبهته كافر ، يقرأه كل مسلم ، فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات ، والقدر ، اذ لو كان إلهاً لأزال ذلك عن وجهه ، وآيات الأنبياء سالمة من

---

(١) انظر أيضا : ابن حجر : فتح البارى ٩٦/١٣ ، ١٠٣ ، وكذلك : ابن كثير : النهاية فى الفتن والملاحم ٨٣/١ ــ ٨٤ .

(٢) النووى : شرح صحيح مسلم ٥٨/١٨ ــ ٥٩ .

المعارضة ، فلا يشتبهان " (١) .

وأضاف ابن حجر جوابا على السؤال المذكور قوله : " وفي الدجال مع ذلك دلالة بينة لمن عقل على كذبه ، لأنه ذو أجزاء مؤلفة ، وتأثير الصنعة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينيه ، فاذا دعا الناس الى أنه ربهم فأسوأ حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن ليسوى خلق غيره ويعدله ويحسنه ، ولا يدفع النقص عن نفسه ، فأقل مايجب أن يقول : يامن يزعم أنه خالق السماء والأرض ، صور نفسك وعدلها وأزل عنها العاهة ، فان زعمت أن الرب لايحدث في نفسه شيئا ، فأزل ماهو مكتوب بين عينيك " (٢) .

٢ ـ نزول عيسى عليه السلام :

وهو من أهم أشراط الساعة ، وأخطر الأحداث التي تكون بين يديها .. لقد دلت الأحاديث الصحيحة المتواترة (٣) ، وأجمعت الأمة على أن عيسى عليه السلام ينزل من السماء الدنيا في آخر الزمان ، قرب قيام الساعة ، أثناء وجود الدجال ، فيقتله ، ويحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (٤) ، ثم يمكث في الأرض ماشاء أن يمكث ، ثم يموت ، ويصلي عليه المسلمون ، ويدفن .. وقد تقدم حديث النواس بن

(١) نقله ابن حجر عن الخطابي في فتح الباري ١٠٣/١٣ .

(٢) ابن حجر : فتح الباري ١٠٣/١٣ .

(٣) قد نص على تواتر نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان غيرواحد من الائمة منهم الحافظ ابن كثير ، وابن عطية ، وأبو الوليد بن رشد ، والشوكاني ، والكتاني . انظر : التصريح بما تواتر في نزول المسيح ٥٨ـ٥٩ ، وهامش ص/٦٢ـ٦٥ ، ومختصر تفسير ابن كثير ٢٩٤/٣ .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة في أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم ق ١٦ أ ، ١٧ ب ، ١٩ب .

سمعان في ذلك .

وقد أخبر القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام لم يقتله اليهود ، وإنما رفعه الله تعالى إليه ، وأنه لن يموت حتى ينزل قبل قيام الساعة . قال الله تعالى (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه ، وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله ، واثبات لرفعه اليه ، الى منزلة عالية مما كان فيه (وكان الله عزيزا حكيما) (١) .

واستدل العلامة ابن كمال باشا بقوله تعالى (ويكلم الناس في المهد وكهلا ..) (٢) على نزوله قبل يوم القيامة ، حيث قال في تفسيره : " واستدل به على نزوله من السماء ، لأن رفعه اليه كان قبل أن يصير كهلا " (٣) .

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى (وان من أهل الكتاب) أحد (إلا ليؤمنن به قبل موته) (٤) : " جملة قسمية وقعت صفة " لأحد " ، ويعود اليه الضمير الثاني ، والأول لعيسى ، أي : ما من يهودي ولانصراني الا ليؤمنن به قبل أن يموت ، ولو حين تزهق روحه - ولاينفعه إيمانه - بأن عيسى عبد الله ورسوله (٥) ، ويؤيد ذلك أنه قرئ : " إلا ليؤمنُنّ به قبل موتهم " بضم النون (٦) ، لأن " أحدا " في معنى

(١) النساء ١٥٧ - ١٥٨ . وتفسير ابن كمال باشا ١ / ٣٤١ (الحرم المكي) .

(٢) آل عمران / ٤٦ . (٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٢١٧ (الحرم المكي) .

(٤) النساء / ١٥٩ .

(٥) وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح ، وكذا صح عن مجاهد وعكرمة وابن سيرين وبه يقول الضحاك (الطبري : جامع البيان ٩ / ٣٨٢ - ٣٨٦ (ط . أحمد شاكر) . ومختصر تفسير ابن كثير ١ / ٤٥٧) .

(٦) وهي قراءة أبي رضي الله عنه (مختصر تفسير ابن كثير ١ / ٤٥٧) .

الجمع ، وهذا كالوعيد لهم ، والتحريض على معاجلة الايمان به قبل أن يضطروا اليه ، ولاينفعهم إيمانهم .

وقيل : الضميران لعيسى عليه الصلاة والسلام ، والمعنى : أنه اذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعا ، فتكون الملة واحدة ،وهى ملة الاسلام ، وهذا يقتضى تخصيص أهل الكتاب بالذين هم يوجدون عند نزوله عليه السلام (١) ، وتعميم الحكم لغير الكتابى أيضا " (٢) .

وقد ذكر العلامة ابن كمال باشا الرأى الراجح الصحيح فى تفسير الآية بصيغة التمريض ، وكأنه مال الى الرأى الذى ذكره أو لا تبعا للقاضى البيضاوى (٣) .

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبرى بعد أن ذكر اختلاف أهل التأويل فى معنى الآية : " وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك : وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى " (٤) .

وقال الامام الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر قول الطبرى : " ولاشك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح ، لأنه المقصود من

---

(١) وهو مروى عن ابن عباس والحسن وقتادة وأبى مالك وابن زيد (الطبرى : جامع البيان ٩/٣٨٠ـ ٣٨٢) .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٤١ (الحرم المكى) مصححا ومتمما عن نسخة ينى جامع/٤٠ .

(٣) فى أنوار التنزيل ٢/١٢٨ . وكذلك أبو السعود فى إرشاد العقل السليم ٢/٢٥٢ .

(٤) الطبرى : جامع البيان ٩/٣٨٦ (ط . أحمد شاكر) .

سياق الآى فى تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك ، وانما شبه لهم ، فقتلوا الشبه ، وهم لايتبينون ذلك ، ثم انه رفعه اليه ، وانه باق حىّ ، وانه سينزل قبل يوم القيامة ، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ... فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، يعنى : لايقبلها من أحد من أهل الأديان ، بل لايقبل الا الاسلام أو السيف ، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ، ولايتخلف عن التصديق به واحد منهم " (١) .

وهناك آية أخرى تشير الى نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة ، وأن نزوله من أشراط الساعة ، وهى قوله تعالى (وإنه) وإن عيسى عليه السلام (٢) (لعلم للساعة) (٣) : لأن حدوثه أو نزوله

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (المختصر ١/٤٥٨) ؛ وكذلك : النهاية فى الفتن ١/٩٣-٩٤ .

(٢) والضمير عائد على عيسى عليه السلام . وهو مروى عن ابن عباس والحسن وقتادة . (انظر : الطبرى : جامع البيان ٢٥/٥٤ ؛ الكشميرى : التصريح بما تواتر فى نزول المسيح /٢٨٩-٢٩١) ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى (وانه لعَلَم للساعة) أى أمارة ودليل على وقوع الساعة ... وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلاً وحكما مقسطا " (مختصر تفسير ابن كثير ٣/٢٩٤) .
وقال الحافظ ابن كثير : "والصحيح أنه - أى الضمير - عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام ، فان السياق فى ذكره ، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة ، كما قال تبارك وتعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) اى قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام (ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيدا) (النساء/١٥٩) (المصدر السابق) .

(٣) الزخرف/٦١ .

من أشراط الساعة ، يعلم به دنوها (١) .... وقرئ (لَعَلَمٌ) أى لعلامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا . وفى الحديث: ينزل عيسى عليه السلام على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها : أفيق ، وبيده حربة ، يقتل بها الدجال ، فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح ، فيتأخر الامام ، فيقدمه عيسى عليه السلام ، ويصلى خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ، ثم يقتل الخنازير ، ويكسر الصليب ، ويخرب البيع والكنائس ، ويقتل النصارى الا من آمن به (٢) . وقيل : الضمير للقرآن ، فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها " (٣).

وأما الأحاديث الواردة فى نزوله قبل يوم القيامة فكثيرة ومتواترة . (٤)

منها : ما أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والذى نفسى بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكما مقسطا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لايقبله

---

(١) أخرج ابن حبان فى صحيحه (الموارد ص ٤٣٥)عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (وانه لعلم للساعة)قال :نزول عيسى بن مريم قبل يوم القيامة " .

(٢) لم أعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ فى كتب السنة ، ولعل المؤلف ذكر الحديث بالمعنى ولم يتقيد بروايته لفظا ، وهذه الأوصاف أو الأمارات المذكورة واردة فى أحاديث مختلفة ، ذكرت بعضها قبل قليل .

(٣) البيضاوى: أنوار التنزيل ٦٢/٥ ، أبو السعود : إرشاد العقل السليم ٥٣/٨ . ولقد اخترتهما لأن ابن كمال باشا وتلميذه أبا السعود يعتمدان على البيضاوى غالبا .

(٤) وقد جمع غير واحد من العلماء أحاديث نزول عيسى عليه السلام فى تأليف مستقلة . منهم العلامة المحدث أنور شاه الكشميرى فى كتابه " التصريح بما تواتر فى نزول المسيح " ، فبلغت أحاديثه ٧٥ حديثا ماعدا الموقوف منها ، ومع الأخبار الموقوفة وصلت الى ١٠١ من الخبر .
(انظر المؤلفات الأخرى فى ذلك ، فى هامش الكتاب المذكور ص ٥٥ ـ ٥٧) .

أحمد (١) . واللفظ لمسلم .

ومنها : ما أخرجه الامام أحمد وأبو داود وابن جرير بطرق مختلفة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الأنبياء إخوة لعَلّات (٢) ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ، لأنه لم يكن بينى وبينه نبى ، وانه نازل ، فاذا رأيتموه فاعرفوه : رجلا مربوعا الى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران (٣) ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس الى الاسلام ، فيُهلك الله فى زمانه الملل كلها الا الاسلام ، ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال ، وتقع الأمنة على الأرض ، حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات ، لاتضرهم فيمكث أربعين سنة ، ثم يتوفى ، ويصلى عليه المسلمون . (٤) . واللفظ هنا للامام أحمد .

وهناك أحاديث كثيرة أخرى ومتواترة عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) البخارى (٦/ ٤٩٠-٤٩١) فى كتاب (٦٠) الأنبياء ، باب (٤٩) نزول عيسى بن مريم ، رقم/٣٤٤٨ .

ومسلم (١/ ١٣٥) فى كتاب (١) الايمان ، باب (٧١) نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، رقم/ ١٥٥ .

والترمذى (٤/ ٥٠٦) فى كتاب (٣٤) الفتن ، باب (٥٤) ماجاء فى نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، برقم/ ٢٢٣٣ . وقال : حسن صحيح .

وقد استدل ابن كمال باشا بهذا الحديث على أن نبينا آخر الأنبياء بعثة ، وأن عيسى عليه السلام آخرهم دعوة الى الحق (ر. فى أفضلية النبى صلى الله عليه وسلم، ق٦ أ).

(٢) وقال ابن الأثير فى النهاية (٣/ ٢٩١) : أولاد العلات : الذين أمهاتهم مختلفة ، وأبوهم واحد ، أراد أن ايمانهم واحد وشرائعهم مختلفة .

(٣) أى مصبوغان بالطين الأحمر .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٢/ ٤٠٦ ، ٤٣٧ .

=

وسلم من رواية أبى هريرة ، وابن مسعود ، وعثمان بن أبى العاص ، وأبى أمامة ، والنواس بن سمعان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومجمّع بن حارثة ، وحذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنهم أجمعين (١) .

وقال القاضى عياض: " نزول عيسى عليه السلام ، وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة فى ذلك ، وليس فى العقل ولافى الشرع مايبطله ، فوجب إثباته ، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم ، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى (وخاتم النبيين) (٢) ، وبقوله صلى الله عليه وسلم: " لانبى بعدى " (٣) ، وبإجماع المسلمين أنه لانبى بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وأن شريعته مؤبدة الى يوم القيامة لاتنسخ ، وهذا استدلال فاسد ، لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ، ولافى هذه الأحاديث ولافى غيرها شئ من هذا ، بل صحت هذه الأحاديث ... أنه ينزل حكما مقسطا بحكم شرعنا ،

وأبو داود مختصرا (٤/٤٩٨-٤٩٩) فى كتاب (٣١) الملاحم ، باب (١٤) خروج الدجال ، رقم ٤٣٢٤ .

والحاكم فى المستدرك ٢/٥٩٥ وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبى ، وعبد الرزاق فى المصنف ١١/٤٠١-٤٠٢ .

وابن جرير فى جامع البيان ٦/٤٥٩ (برقم/٧١٤٥) ، وضعف أحمد شاكر هذا الاسناد وفى ٩/٣٨٨-٣٨٩ (برقم ١٠٨٣٠) باسناد آخر صحيح من طبعة أحمد شاكر ، و ٦/١٦ من طبعة بولاق .

(١) انظر: مختصر تفسير ابن كثير ١/٤٥٨-٤٦٣ ، والتصريح بماتواتر فى نزول المسيح .

(٢) الأحزاب/٤٠ .

(٣) أخرجه البخارى (٨/١١٢) فى كتاب (٦٤) المغازى ، باب (٧٨) غزوة تبوك ، رقم ٤٤١٦ . وأحمد فى المسند ٣/٣٣٨ ، و ٦/٣٦٩ ، ٤٣٨ .

ويحيى من أمور شرعنا ما هجره الناس " (١).

وأما الإجماع في نزوله فقد ذكره العلامة السفاريني فقال : "فقد أجمعت الأمة على نزوله ، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لايعتد بخلافه ، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء ، وان كانت النبوة قائمة به ، وهو متصف بها " (٢).

هذا هو مذهب السلف رضي الله عنهم في نزول عيسى عليه السلام ، وهو ماذكره العلامة ابن كمال باشا باختصار ، وهو ما نؤمن به ، ونعتقده ..

٣ ـ ظهور يأجوج ومأجوج :

وهذه العلامة قد ورد ذكرها في القرآن الكريم ، قال تعالى (ثم أتبع سببا ، حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا ، قالوا : ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال : ما مكني فيه ربي خير ، فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال : انفخوا ، حتى اذا جعله نارا ، قال : آتوني أفرغ عليه قطرا ، فما

(١) نقله النووي في شرح صحيح مسلم ١٨ / ٧٥ ـ ٧٦ ؛ وانظر كذلك : القرطبي : التذكرة ١ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .

(٢) لوامع الأنوار ٢ / ٩٤ ـ ٩٥ .

استطاعوا أن يظهروه ، وما استطاعوا له نقبا ، قال : هذا رحمة من ربى ، فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء ، وكان وعد ربى حقا) (١) .

وقال تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين) (٢) .

يرى العلامة ابن كمال باشا أن يأجوج ومأجوج اسمان لقبيلتين من ولد يافث (٣) .. لايعلم عددهم الا الله تعالى ، ولم يصح فى عددهم وصفاتهم شىء (٤) ... وأنهم مفسدون فى الأرض بالقتل والتخريب والاتلاف ...

وأما السدان اللذان نسب اليهما هما على ماذكره وهب : جبلان

---

(١) الكهف/٩٢-٩٨ . (٢) الأنبياء ٩٦ - ٩٧ .

(٣) وهو مروى عن مقاتل . قال الامام القرطبى فى التذكرة (٢/٣٨٥) بعد أن ذكر قول مقاتل : " وهذا أشبه ، كما تقدم ، والله أعلم " (انظر كذلك : ابن حجر : فتح البارى ١٣/١٠٧) .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر والطبرانى والبيهقى فى البعث وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم ، ولايموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا ، وان من ورائهم ثلاث أمم : تاويل وتاريس ومنسك " (السيوطى : الدر المنثور ٥/٤٥٧) .

(٤) وقد ذكر ابن جرير الطبرى فى جامع البيان (١٦/١٤-١٨) عن وهب بن منبه أثرا طويلا عجيبا فى صفاتهم . قال الحافظ ابن كثير : " وفيه طول وغرابة ونكارة فى أشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم " (انظر : مختصر تفسير ابن كثير ٢/٤٣٦) .

منيعان فى السماء ، أملسان ، يزلق عليهما كل شىء (١) ، وانما سمى سدين لسدهما فجاج الأرض ، وكانت بينهما فجوة تلج فيها يأجوج ومأجوج ، وهذا المكان فى منقطع أرض الترك ... (٢)

ثم ان فتح السد المنسوب اليهما من أمارات قيام الساعة ، وحينما انفتح السد وهم من كل حدب ينسلون ، أى من كل مرتفع من الأرض، يسرعون فى المشى الى الفساد (٣).

وهذا ما رآه العلامة ابن كمال باشا فى يأجوج ومأجوج وخروجهما قبل يوم القيامة ..

— تعقيب —

إن خروج يأجوج ومأجوج ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة ، واجماع الأمة (٤).

أما الكتاب فقد سبق أن ذكرناه أثناء عرض رأى العلامة ابن كمال باشا فيهما .. وأما السنة الصحيحة فقد ورد ذكرهما فى أحاديث متعددة صحيحة ..

---

(١) روى ابن أبى حاتم من حديث عقبة بن عامر مرفوعا فى قصة ذى القرنين : وانه سار حتى بلغ مطلع الشمس ، ثم أتى السدين ، وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شىء ، فبنى السدين "وفى اسناده ضعف . (ابن حجر : فتح البارى ٦/٣٨٥) .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٣٩ ب .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٧٥ ب .

(٤) السفارينى : لوامع الأنوار ٢/١١٤ .

منها : ما أخرجه الامام مسلم وأصحاب السنن عن النواس بن سمعان الذى سبق ذكره ، وفيه خبر الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، وذكر يأجوج ومأجوج ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية ، فيشربون مافيها ، ويمر آخرهم فيقولون :لقد كان بهذه مرة ماء " .

ومنها : ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن زينب بنت جحش رضى الله عنها أنها قالت: استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه وهو يقول : لااله الا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وعقد سفيان تسعين أو مائة ، قيل:أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إن كثر الخَبَثُ " (١) .

وما ذكره العلامة ابن كمال باشا من أن يأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام يؤيده ما أخرجه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله ياآدم ! فيقول :لبيك وسعديك ، والخير فى يديك ، قال :

---

(١) البخارى (٦ / ٣٨١) فى كتاب (٦٠) الانبياء ، باب (٧) قصة يأجوج ومأجوج ، برقم/ ٣٣٤٦ . و (١٣ / ١١) فى كتاب (٩٢) الفتن ، باب (٤) قول النبى صلى الله عليه وسلم :ويل للعرب ، من شر قد اقترب ، برقم ٧٠٥٩ ،و (١٣ / ١٠٥-١٠٦) باب (٢٨) يأجوج ومأجوج ، برقم/ ٧١٥٣ .

ومسلم (٤ / ٢٢٠٧) فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (١) اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج ، برقم/ ٢٨٨٠ .

والترمذى (٤ / ٤٨٠) فى كتاب (٣٤) الفتن ، باب (٢٣) ماجاء فى خروج يأجوج ومأجوج ، برقم/ ٢١٨٧ . وقال :حسن صحيح .

وابن ماجه (٢ / ١٣٠٥) فى كتاب (٣٦) الفتن ، باب (٩) مايكون فى الفتن ، برقم/ ٣٩٥٣ .

يقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فذاك حين يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكرى ، وماهم بسكرى ، ولكن عذاب الله شديد ، فاشتد عليهم ذلك ، فقالوا : يارسول الله ! أينا ذلك الرجل ؟ قال : أبشروا ، فان من يأجوج ومأجوج ألفا ، ومنكم رجل " (١) واللفظ للبخاري .

وأما ماذكره في سدّ ي يأجوج ومأجوج ، فقد قال الحافظ ابن كثير فيهما : " وهما جبلان متناوحان بينهما ثغرة ، يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك ، فيعيثون فيها فسادا ، ويهلكون الحرث والنسل ، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين " (٢) . ثم ذكر الحديث السابق ذكره .

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) (٣) : " قد قدمنا أنهم من سلالة آدم عليه السلام ، بل هم من نسل نوح أيضا ، من أولاد يافث ، أي أبي الترك ، والترك شرذمة منهم (٤) ... وهذه صفتهم في حال خروجهم

---

(١) البخاري (١١/٣٨٨) في كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٦) قوله عزوجل (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) برقم/٦٥٣٠ . و (١١/٣٧٨) عن أبي هريرة في نفس الكتاب ، وباب (٤٥) الحشر ، برقم/٦٥٢٩ بألفاظ قريبة منه .
ومسلم (١/٢٠١) في كتاب (١) الايمان ، باب (٩٦) قوله : يقول الله لآدم : أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، برقم/٢٢٢ .
والترمذي (٥/٣٢٢-٣٢٣) في كتاب (٤٨) التفسير ، باب (٢٣) ومن سورة الحج ، ٣١٦٨ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٢/٤٣٥ . (٣) الأنبياء/٩٦ .

(٤) انظر أيضا : ابن كثير : النهاية في الفتن ١/١٠٢ . وقد نقل الحافظ ابن عبد البر =

كأن السامع مشاهد لذلك ، ولا ينبئك مثل خبير، هذا إخبار الذى يعلم غيب السماوات والأرض ، لااله الا هو. وقال ابن جرير: رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون ، فقال ابن عباس : هكذا يخرج يأجوج ومأجوج ، وقد ورد ذكر خروجهم فى أحاديث متعددة من السنة النبوية" (١).

وهناك أحاديث صحيحة أخرى ذكرت يأجوج ومأجوج (٢) ، ومجموع النصوص الواردة بذكرهم يفيد العلم اليقينى بظهور هذه الأمة المفسدة ، فى أواخر عمر هذه الدنيا ، فكان لابد للمؤمن من تصديق ماورد به القرآن والخبر الصحيح من أمرهم. وأما تحديد الزمن الذى يظهر فيه هذه الأمة ، والتفصيلات المتعلقة بأشكالهم وأوصافهم ، ومكان وجودهم قبل ظهورهم ، فكل هذا من أمور الغيب التى لايعلمها الا الله تعالى ، ونحن غير مكلفين بالبحث عنها (٣).

٤ ـ طلوع الشمس من مغربها :

لم أجد فيه كلاما لابن كمال باشا فيما اطلعت عليه من مؤلفاته سوى قوله المختصر الذى سبق ذكره فى أول أشراط الساعة ، ولذلك أكتفى بذكر مذهب السلف ..

ان طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة والأخبار الصريحة ، بل وبالكتاب المنزل على النبى المرسل. قال تعالى (يوم يأتى

الاجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام (السفارينى :لوامع الأنوار ٢/ ١١٥).

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ٥٢١.

(٢) انظر فى أحاديث يأجوج ومأجوج :ابن كثير :النهاية فى الفتن ١/ ٩٩ـ١٠٣.

(٣) انظر:د. ياسين: كتاب الايمان ص١١٠ ، د. البوطى :كبرى اليقينيات الكونية ٣٣٤ـ ٣٣٥.

بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا) [(١)] وقال العلامة السفارينى : " أجمع المفسرون أو جمهورهم على أنها طلوع الشمس من مغربها " [(٢)] .

وأما السنة الصحيحة فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون ، فذاك حين (لاتنفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا [(١)] ... " [(٣)] واللفظ للبخارى .

وأخرج مسلم وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيهما ما كانت [(٤)] قبل صاحبتها ، فالأخرى على اثرها قريبا " [(٥)] .

قال ابن أبى العز وابن كثير : " أى أول الآيات التى ليست مألوفة ، وان كان الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل

---

(١) الأنعام/١٥٨ .   (٢) السفارينى : لوامع الأنوار ٢/١٣٣ .

(٣) البخارى (١١/٣٥٢) فى كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٠) ، حديث رقم/٦٥٠٦ . ومسلم (١/١٣٧) فى كتاب (١) الايمان ، باب (٧٢) بيان الزمن الذى لايقبل فيه الايمان ، رقم/١٥٧ .

(٤) كذا فى مسلم وشرحه للنووى ١٨/٧٧-٧٨ . وفى أبى داود : فأيتهما كانت .

(٥) مسلم (٤/٢٢٦٠) فى كتاب (٣١) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٣) فى خروج الدجال .. رقم/٢٩٤١ .
وأبو داود (٤/٤٩٠-٤٩١) فى كتاب (٣١) الملاحم ، باب (١٢) أمارات الساعة ، =

ذلك ، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج ، كل ذلك أمور مألوفة ، لأنهم بشر ، مشاهدة مثلهم مألوفة ، وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف ، ثم مخاطبتها الناس ووسمها اياهم بالايمان أو الكفر فأمر خارج عن مجاري العادات ، وذلك أول الآيات الأرضية ، كما أن طلوع الشمس من مغربها - على خلاف عادتها المألوفة - أول الآيات السماوية" (١).

وقال الحافظ ابن حجر في معرض بيان تأليف الأحاديث الواردة في ترتيب أشراط الساعة : " فالذي يترجح من مجموع الأخبار : أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة ، في معظم الأرض ، وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم ، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي ، وينتهي ذلك بقيام الساعة ، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب " ، ثم نقل عن الحاكم قوله : " الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ، ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم ، أو الذي يقرب منه " ، وقال بعد ذلك : " والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة ، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة (٢). وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر

رقم/٤٣١٠ .

وابن ماجه (١٣٥٣/٢) في كتاب (٣٦) الفتن ، باب (٣٢) طلوع الشمس من مغربها ، رقم/٤٠٦٩ .

والحاكم في المستدرك ٥٤٧/٤ - ٥٤٨ .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٥٦٦ ، ابن كثير : النهاية في الفتن ١٠٩/١ ، ١١١ . وكذلك القرطبي : التذكرة ٣٩٦/٢ .

(٢) ونقل العلامة السفاريني في لوامع الأنوار (١٤٢/٢) عن العلامة الشيخ مرعي قوله : =

الناس ، كما تقدم فى حديث أنس فى بدء الخلق فى مسائل عبد الله ابن سلام ، ففيه : وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب" (١) .

وقال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر أحاديث طلوع الشمس من مغربها : " فهذه الأحاديث المتواترة ، مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث ايمانا أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها ، لايقبل منه ، وانما كان كذلك ـ والله أعلم ـ لأن ذلك من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ودنوها ، فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة" (٢) .

٥ ـ خروج الدابة :

ان خروج الدابة ثابت بالكتاب والسنة . أما الكتاب فقوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون) (٣) .

قال العلامة ابن كمال باشا فى تفسير هذه الآية الكريمة : قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم) : " سمى معنى القول ومؤداه ـ وهو ما وعدوا من قيام الساعة وعذابه ـ بالقول ، ووقوعه : حصوله ، والمراد : مشارفتها ، وظهور أشراطها (أخرجنا لهم دابة) هى الجساسة فى الحديث (٤) ، طولها ستون ذراعا (٥) ، ولها أربع قوائم

" وهذا كلام فى غاية التحقيق " .

(١) ابن حجر : فتح البارى ١١/٣٥٢ . (٢) النهاية فى الفتن والملاحم ١/١١٣ .
(٣) النمل /٨٢ . انظر :السفارينى :لوامع الأنوار ٢/١٤٦ .
(٤) انظر أيضا : النسفى :مدارك التنزيل ٣/٣٩٣ .
(٥) ذكر الثعلبى من حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : =

وذنب وريش (١) ، وجناحان ، لايدركها طالب ، ولايفوتها هارب ، (من الأرض) أى من أرض مكة ، روى أنه عليه السلام سئل عن مخرجها ، فقال : من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى (٢) ، يعني المسجد الحرام ، (تكلمهم) وقرئ : تَكْلُمُهم (٣) . وقال أبو الجوزاء (٤) : سألت عبدالله بن عباس رضى الله عنه : تُكَلِّمهم ، أو تَكْلُمُهم ؟ فقال : كل ذلك يفعل ، تُكَلِّم المؤمن ، وتَكْلِم الكافر (٥) . وقيل : تكلم بالعربية ، وتقول : (ان الناس كانوا بآياتنا) خروجها وسائر أحوالها ،

"دابة الأرض طولها ستون ذراعا ، لايدركها طالب ، ولايفوتها هارب" (ابن حجر : الكافى الشاف ص ١٢٥ برقم/١٢٧ ، وذكره السفارينى فى لوامح الأنوار ٢/١٤٦) .

(١) وهو مروى عن قتادة (الطبرى : جامع البيان ٢٠/١١) .

(٢) جمع ابن كمال باشا هنا أوصافها من أحاديث مختلفة . أخرج الطبرى فى جامع البيان (٢٠/١١) بسنده عن حذيفة بن اليمان يقول : وذكر الدابة ، فقال حذيفة : قلت : يا رسول الله ! من أين تخرج ؟ قال : من أعظم المساجد حرمة على الله ، بينما عيسى يطوف بالبيت ، ومعه المسلمون ، اذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل ، وينشق الصفا مما يلى المسعى ، وتخرج الدابة من الصفا ، أول مايبدو رأسها ، معلمة ذات وبر وريش ، لم يدركها طالب ، ولن يفوتها هارب ، تسم الناس : مؤمن وكافر ، أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب درّى ، وتكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء كافر" (انظر كذلك : ابن حجر : الكافى الشاف ص ١٢٥ ، السيوطى : الدر المنثور ٦/٣٨٠ ، الآلوسى : روح المعانى ٢٠/٢٣) .

(٣) الأول قراءة عامة قراء الأمصار ، والثانى قراءة أبى زرعة بن عمرو ، وهو بمعنى : تسمهم (جامع البيان ٢٠/١١) .

(٤) هو التابعى الجليل أوس بن عبد الله الرَّبَعى البصرى ت ٨٣هـ ، روى عن الصحابة منهم عائشة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو رضى الله عنهم ، وكان زاهدا فاضلا . (الذهبى : سير أعلام النبلاء ٤/٣٧١ـ ٣٧٢ ، ابن سعد : الطبقات ٧/٢٢٣) .

(٥) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما كما فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٣/٢٣٨ ، والدر المنثور للسيوطى ٦/٣٧٨ ، ولباب التأويل للخازن ٣/٣٩٣ ، وفتح القدير للشوكانى ٤/١٥٢ .

فانها من آيات الله تعالى (لايوقنون) لايتيقنون "[1] . الى هنا ينتهى كلام ابن كمال باشا فى تفسير الآية الكريمة[2] .

تعقيب

قد ورد فى ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة ، بعضها صحيح ، وقد تقدم منها حديث حذيفة بن أسيد الغفارى ، وحديث عبد الله ابن عمرو بن العاص ، وأذكر هنا علاوة على ماسبق ذكره من الأحاديث فيها .

منها : ما أخرجه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " بادروا بالأعمال ستّا : الدجال ، والدخان ، ودابة الأرض ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأمر العامة[3] ، وخويصة أحدكم[4] " [5] .

ومنها : ما أخرجه الترمذى وابن ماجه وابن جرير عن أبى

---

(١) وقال عطاء الخراسانى : تكلمهم وتقول لهم (ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون) ، ويروى هذا عن على وابن عباس ، واختاره ابن جرير الطبرى شيخ المفسرين فى تفسيره جامع البيان ٢٠/١١ ، انظر كذلك : مختصر تفسير ابن كثير ٢/٦٨٢ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٣٤ ب ــ ٥٣٥ أ .

(٣) قال قتادة أمر العامة : القيامة .

(٤) وخويصة ، تصغير خاصة ، وخويصة أحدكم : الموت (النووى : شرح صحيح مسلم ١٨/٨٧) .

(٥) مسلم (٤/٢٢٦٧) فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٥) فى بقية من أحاديث الدجال ، رقم/٢٩٤٧ .

هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تخرج الدابة ، معها خاتم سليمان ، وعصا موسى ، فتجلو وجه المؤمن بالعصا ، وتختم أنف الكافر بالخاتم ، حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا : يا مؤمن ، ويقول هذا : يا كافر " (١).

وليس فيما صح من تلك الأخبار وصف لهذه الدابة التى تخرج فى آخر الزمان قبيل قيام الساعة عند فساد الناس . وما ذكر من أوصافها فى بعض الكتب ورد فى روايات لم تبلغ حد الصحة ، والمؤمن لاتعنيه معرفة هذه الأوصاف ، وحسبه أن يقف عند النص القرآنى والحديث النبوى الصحيح الذى يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة (٢).

وقال العلامة الآلوسى : " وقصارى ماأقول فى هذه الدابة ، أنها دابة عظيمة ، ذات قوائم ، ليست من نوع الانسان أصلا ، يخرجها

---

(١) الترمذى (٥/٣٤٠) فى كتاب (٤٨) التفسير ، باب (٢٨) ومن سورة النمل ، رقم ٣١٨٧ . وقال : هذا حديث حسن غريب ، وفى الباب عن أبى أمامة وحذيفة بن أسيد " .

ابن ماجه (٢/١٣٥١ــ١٣٥٢) فى كتاب (٣٦) الفتن ، باب (٣١) دابة الأرض ، رقم/٤٠٦٦ .

وأحمد فى المسند ٢/٢٩٥ ، ٤٩١ .

وابن جرير فى جامع البيان ٢٠/١١ . وكذلك الطيالسى ونعيم بن حماد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى البعث كما فى الدر المنثور للسيوطى ٦/٣٨١ ، وروح المعانى للآلوسى ٢٠/٢٢ .

(٢) د . ياسين : كتاب الايمان ص ١٠٠ ، الشوكانى : فتح القدير ٤/١٥٣ ، سيد قطب : فى ظلال القرآن ٥/٢٦٦٧ .

الله تعالى آخر الزمان من الأرض" (١) .

وأما ما قاله العلامة ابن كمال باشا من أن الدابة هي الجساسة في الحديث (٢) ، فهذا القول مروي عن ابن عمر (٣) ، وعبد الرحمن بن عمرو بن العاص (٤) رضي الله عنهم .

---

(١) روح المعاني ٢٠/٢٤ . انظر كذلك : القرطبي : التذكرة ٢/٣٤١، ٣٨٨ .

(٢) خبر الجساسة أخرجه مسلم (٤/٢٢٦١ـ ٢٢٦٤) من حديث فاطمة بنت قيس الطويل في كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، برقم ٢٩٤٢ .
والترمذي (٤/٥٢١ـ ٥٢٢) في كتاب (٣٤) الفتن، باب (٦٦) برقم ٢٢٥٣.
وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث قتادة عن الشعبي ، وقد رواه غير واحد عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس .
وأبو داود (٤/٥٠٠ـ ٥٠١) مختصرا في كتاب (٣١) الملاحم، باب (١٥) في خبر الجساسة ، رقم/٤٣٢٦ .
وابن ماجه (٢/١٣٥٤ـ ١٣٥٥) في كتاب (٣٦) الفتن، باب (٣٣) فتنة الدجال ، برقم/٤٠٧٤ .

(٣) انظر : القرطبي : التذكرة ٢/٣٤١، ٣٨٨، الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٣٥.

(٤) النووي : شرح صحيح مسلم ١٨/٧٨. وقال السفاريني في لوامع الأنوار (٢/١٤٩) : " وهو مروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص " .

الفصل الثالث

اليوم الآخر وأحداثه

١ـ بداية اليوم الآخر .
٢ـ البعث والحشر .
٣ـ الشفاعة .
٤ـ العرض وأخذ الكتب وقراءتها .
٥ـ الحساب .
٦ـ الميزان .
٧ـ الصراط .
٨ـ الجنة والنار .

اليوم الآخر هو يوم القيامة ، وأوله : من وقت الحشر الى ما لا يتناهى على الصحيح [١] ... وسمى باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا ، أو عن النشأة الأولى [٢] ، وله نحو ثلاثمائة اسم [١] .

ويندرج تحت هذا الفصل : الايمان بالبعث ، والحشر ، والصحف ، والحساب ، والميزان ، والصراط ، والحوض ، والشفاعة ، والجنة والنار وأحوالهما وما أعد الله تعالى لأهلهما اجمالا وتفصيلا [٣] .

ويتحقق الايمان باليوم الآخر ويكون تاما وكاملا بأمرين اثنين :

الأول : أن يؤمن العبد به بصورة اجمالية ، وهذا هو الحد الأدنى لتحصيل هذا الركن من أركان الايمان .

والثانى : أن يؤمن بكل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب التى تكون بعد البعث ، والتى وردت بها الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة [٤] .

وسأذكر فيما يلى أهم ما وردت به الآيات والأحاديث من هذه الأمور ، وأبين مذهب ابن كمال باشا فى كل واحدة منها على حدة ، وانقد ما يستحق النقد منه ، مع بيان مذهب أهل السنة والجماعة رضى الله عنهم فى هذا الأمر .

---

(١) الباجورى : تحفة المريد ص١٧٥ ، الآلوسى : روح المعانى ١/١٤٥ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١/١٥ ، ١٩ .

(٣) السلمان : الكواشف الجلية ص٣٢٧ ، انظر أيضا ابن كمال : شرح العشر/٧٨ أ ـ ب .

(٤) د . ياسين : كتاب الإيمان ص٨٨ .

١ – بداية اليوم الآخر :

يرى العلامة ابن كمال باشا ان يوم القيامة " اسم للحين الواسع الذى يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب .. " (١)

ويبدأ يوم القيامة بنفخ اسرافيل عليه السلام فى الصور النفخة الأولى كما قال تعالى " ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون " (٢)

وقال ابن كمال باشا فى تفسير هذه الآية : " قد نطقت الأخبار بأن ينفخ فى قرن ، حتى قال تعالى فى موضع آخر من التنزيل " فاذا نقر فى الناقور " (٣) اى فى الصور (٤) ، ففى نفخة الاصعاق (٥) جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة أمد وأعظم " (٦) . ثم قال : " فالمراد من الصور : قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء ، وعليه عامة المفسرين " (٧)

ثم استشهد على كون الصور قرنا بالأحاديث المثبتة فى الصحاح ، منها ماروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول

---

(١) ابن كمال باشا : شرح الحشر ٧٨ أ – ب .

(٢) الزمر/٦٨ . (٣) المدثر/٨ .

(٤) رواه البخارى تعليقا عن ابن عباس (١١/٣٦٧) فى كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٣) نفخ الصور .
قال ابن حجر (١١/٣٦٨) :وصله الطبرى وابن أبى حاتم من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس .

(٥) أى نفخة الموت .

(٦) ابن كمال : شرح الحشر ٧٨ب ، انظر أيضا : القرطبى : التذكرة ١/٢٢٧ .

(٧) ابن كمال : شرح الحشر ٧٨ ب .

الله صلى الله عليه وسلم : كيف أنعم ، وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبينه ، واضعا فمه ينتظر أن يؤمر ، فينفخ (١) ".

وتابع ابن كمال حديثه : " وفي حديث صحيح مسلم (٢) من عبد الله بن عمرو : أول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله ويصعق . قال : ويصعق الناس . ثم يرسل الله تعالى مطرا كأنه الطل ، فينبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون " (٣).

وإثر هذه النفخة الأولى يموت أهل السماء والأرض كما قال تعالى " فصعق من في السموات والأرض الا من شاء الله " أي مات من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور جميع من في السماوات ومن في الأرض " (٣) . ويختل النظام الجاري في الكون ، حيث يقول صاحبنا ابن كمال باشا في صدد بيان التوفيق بين الآية الكريمة القائلة " ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا " (٤). وبين الآيات الواردة المبينة حال الجبال يوم القيامة مثل قوله تعالى " وسيرت الجبال فكانت سرابا " (٥) ، وقوله تعالى " يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا " (٦) ، وقوله تعالى " وبست الجبال

---

(١) أخرجه الترمذي (٤ / ٦٢٠) في كتاب (٣٨) صفة القيامة ، باب (٨) ما جاء في شأن الصور ، برقم ٢٤٣١ وقال : حسن . وأحمد ٣/ ٧٣ .

وأبو يعلى في مسنده ، وكذلك ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال ، كما في النهاية في الفتن ١/ ١٣٥ .

وأخرجه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في فتح الباري ١١/ ٣٦٨ .

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٤ / ٢٢٥٨ـ ٢٢٥٩) في كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٣) في خروج الدجال ومكثه في الأرض .. والنفخ في الصور ، وبعث من في القبور برقم / ٢٩٤٠ .

(٣) ابن كمال باشا : شرح العشر ٧٨ ب . (٤) الكهف/ ٤٧ .

(٥) النبأ/ ٢٠ . (٦) المزمل/ ١٤ .

بسا فكانت هباء منبثا " (١) ، وقوله تعالى " هباء منثورا " (٢) ،
وقوله تعالى " وتكون الجبال كالعهن المنفوش " (٣) :

" أما كونها كالعهن المنفوش فلا ينافى سيرها فى الجو كالسحاب ، بل يناسبه ويؤيده ، .. وكذا كونها سرابا ، لاينافيه ، بل يناسبه ، لأن معناه مثل سراب يرى على صورة الجبال ، ولم تبق حقيقتها لتخلخلها وانتقاش أجزائها ... وأما كونها كثيبا مهيلا ، والكثيب: الرمل المجتمع الكثير ، ومهيل مفعول من هلت الرمل أهيله هيلا : وذلك اذا حرك أسفله فسال أعلاه ، وأما كونها هباء منبثا ، وهباء منثورا ، اى غبارا منتشرا ، فبعدما صار كالعهن والسراب ، وسار فى الجو كالسحاب . وذلك أنه ترجف الأرض والجبال أولا ، وحمل على هذا قوله تعالى " وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة " قال الفراء : اى زلزلتا ... ثم ينفصل الجبال عن الأرض ، وتسير فى الجو ، ثم تسقط ، فتصير كثيبا مهيلا ، ثم هباء منبثا ، ثم هباء منثورا ، ويرشد الى أن هذه الصيرورة لاتترتب على ذلك الرجفة ، ولاتعقبها بلا مهلة : أنها لم تعطف عليها بالفاء كما عطفت صيرورتها سرابا على سيرها فى الجو ، بل عطفت بالواو " (٤) .

ثم بين أن الأرض على حالها أثناء هذه التغييرات الواردة على الجبال اذ قال فى تفسير قوله تعالى : " ويسألونك عن الجبال ، فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا ، لاترى فيها عوجا ولا أمتا " (٥) :
" فإن الظاهر منه أن الأرض على حالها ، والتغييرات المذكورة على الجبال

---

(١) الواقعة ٥ ـ ٦ .   (٢) الفرقان/ ٢٣ .   (٣) القارعة/ ٥ .
(٤) ابن كمال : شرح العشر ٧٧ ب .
(٥) طه/ ١٠٥ ـ ١٠٧ .

بعد ما أخذت من أماكنها . فان النسف : أخذ الشيء من مكانه بسرعة ... والقاع: الموضح المستوى ، والصفصف : الأرض الملساة ، فقوله " لاترى فيها عوجا " مؤكد للأول ، وقوله " ولاأمتا " مؤكد للثاني." (١)

ويرى العلامة ابن كمال باشا كذلك أن تسيير الجبال وبروز الأرض قبل الحشر (٢) ، ويؤيد ذلك " مافي بعض الآيات من الدلالة على أن ذلك قبل الحشر ، منها قوله تعالى " فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية " (٣) قالوا : هي النفخة الأولى ، لأن عندها فساد العالم ، وهكذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما " (٤).

وأما التغييرات الواقعة على السموات والكواكب والنجوم فيرى ابن كمال باشا أنها بعد جمع الناس في الموقف ،يقول في تفسير قوله تعالى " فيؤمئذ لايسأل عن ذنبه انس ولاجان " (٥) : (فيومئذ) فوقعت انشقاق السماء (٦) ، وذلك بعد جمع الناس في الموقف .

---

(١) ابن كمال : شرح العشر ٧٨ أ .

(٢) ويؤيد ماذهب اليه ابن كمال باشا ماقاله الحافظ ابن كثير في النهاية ١٤٨/١ : "... ان تبدل معالم الأرض فيما بين النفختين :نفخة الصعق ونفخة البعث ، فتسير الجبال ، وتميد الأرض ، ويبقى الجميع صعيدا واحدا ، لااعوجاج فيها ، ولاروابي ، ولاأودية ، قال الله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ، فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولاأمتا) (طه ١٠٥-١٠٧)اى لاانخفاض فيها ، ولاارتفاع.

(٣) الحاقة/١٣-١٨ .

(٤) ابن كمال باشا :شرح العشر ٧٨ أ .

(٥) الرحمن/٣٩ .

(٦) ورد قبلها بآيتين قوله تعالى : " فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان " (الرحمن/٣٧) ثم " فيومئذ .../الآية .

قال الامام القرطبي في تذكرته (١) : ان انشقاق القمر ، وتناثر النجوم (٢) ، وطمس الشمس قد ذكر المحاسبي وغيره : أن ذلك يكون بعد جمع الناس في الموقف ، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما " (٣).

وقد أكد ابن كمال باشا هذا المعنى في مكان آخر من رسالته . فقال في تفسير قوله تعالى " فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون " (٤) : " فان قلتَ : ما وجه التوفيق بين نفي السؤال هنا ، وإثباته في قوله تعالى " وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون " (٥) . قلت : إقبال بعضهم على بعض بالسؤال عقيب نفخة البعث ، قبل أن يطوى السماء كطي السجل ، كما هو الظاهر من قوله تعالى " ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم " (٦) ومن قوله تعالى " يتخافتون بينهم إن لبثتم الاعشرا " (٧) ؛ وانقطاع السؤال بعد ما صار السماء كالمهل والجبال كالعهن على مانطق به قوله تعالى " يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولايسأل حميم حميما " (٨).

ثم تابع العلامة ابن كمال حديثه قائلا : " فان قلت : مبنى ما ذكرته على أن طي السماء بعد البعث ، فهل يساعده النقل ؟

---

(١) ٢٤٤/١ وانظر كذلك : الحليمي :المنهاج ٤٤٧/١ ـ ٤٤٨ .

(٢) في الرسالة : ونثار النجوم ، والتصويب من التذكرة ٢٤٤/١ .

(٣) ابن كمال باشا :شرح العشر ٨٣ أ . وقال الحافظ ابن كثير في النهاية ١٤٣/١ : والظاهر ـ والله أعلم ـ أن هذا انما يكون بعد نفخة الصعق .

(٤) المؤمنون/١١١ . (٥) الصافات/٢٧ ، الطور/٢٥ .

(٦) يونس/٤٥ . (٧) طه/١٠٣ .

(٨) المعارج /٨ ـ ١٠ .

قلت: نعم ، خرج الختلى أبو القاسم اسحاق بن ابراهيم في كتاب " الديباج " عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) (١) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول من تنشق عنه الأرض ، فأجلس جالسا في قبري ، فيفتح لي باب (من) (٢) السماء حتى انظر الى العرش ، ثم يفتح لي باب عن يميني حتى انظر الى الجنة ومنازل أصحابي ، وإن الأرض تحركت تحتي ، فقلت لها : مالك أيتها الأرض ؟ قالت: إن ربي أمرني أن ألقي مافي جوفي ، وأن أتخلى (فأكون) (٢) كما كنت اذ لاشيء فيّ ، وذلك قوله عز وجل (وألقت مافيها وتخلت) (٣) . وقد مر في شرح الآية نقلا عن التذكرة أن انشقاق القمر ، وتناثر (٤) النجوم ، وطمس الشمس بعد جمع الناس في الموقف " (٥).

وقد بين الله تعالى التغيير الواقع في السماوات والأرض بقوله تعالى " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار " (٦) وقال العلامة ابن كمال باشا في تفسيرها : " اى تبدل الأرض المعهودة أرضا أخرى ، والسماوات المشهودة سماوات أخرى . والتبديل هو التغيير ، اما في الذات ... واما في الصفات ... فعن علي رضي الله عنه : تبدل أرضا من فضة ، وسماوات من ذهب (٧).

---

(١) الانشقاق ١ ـ ٢ .　　(٢) زيادة من القرطبي في التذكرة ٢٢٧/١ .

(٣) الانشقاق/٤ . انظر كذلك :التذكرة ٢٢٧/١ ، وروح المعاني ١٠١/٣٠ .

(٤) في الرسالة :وتأثر ، والتصحيح من التذكرة ٢٤٤/١ .

(٥) ابن كمال باشا : شرح الحشر ٨٤ ب .　　(٦) ابراهيم/٤٨ .

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، وابن جرير (١٦٥/١٣) ، وابن المنذر ، =

وعن ابن مسعود رضى الله عنه: يحشر الناس على أرض بيضاء، لم يخطى عليها أحد خطيئة (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: هى تلك الأرض، وانما تغير صفاتها . وأنشد :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التى كنت تعلم (٢)

ويدل عليه ماروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه عليه السلام قال : " تبدل الأرض، فتُبْسط، وتمد مد الأديم العكاظى " (٣)، " لاترى فيها عوجا ولاأمتا " (٤).

ويرى العلامة ابن كمال باشا أن العذاب يرفع من أهل البرزخ بين النفختين، وبينهما أربعون عاما .

قال رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى : " قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا " (٥) فان قيل :كيف قالوا " من بعثنا من مرقدنا " (٥) وهم منا لمعذبين فى قبورهم ؟ قلنا : إن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : ينامون نومة فيقولون : من بعثنا من مرقدنا ؟ (٦)

وابن أبى حاتم كما فى الدر المنثور ٥/٥٧، وانظر كذلك :القرطبى :التذكرة ١/٢٣٩، والالوسى :روح المعانى ١٣/٢٥٤.

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير، واسناده جيد كما قاله الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/٤٨، وابن جرير ١٣/١٦٤، وانظر كذلك :القرطبى :التذكرة ١/٢٣٩، والسيوطى :الدر المنثور ٥/٥٦ـ ٥٧، والآلوسى : روح المعانى ١٣/٢٥٤ .

(٢) انظر: القرطبى : التذكرة ١/٢٣٨، والآلوسى :روح المعانى ١٣/٢٥٤ـ ٢٥٥.

(٣) ذكره الثعلبى فى تغسيره كما فى تذكرة القرطبى ١/٢٣٨ .

(٤) طه/١٠٧. (٥) يس/٥٢.

(٦) أخرجه الفريابى وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم كما فى روح المعانى ٢٣/٣٢ .

وقال أبو صالح : اذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور ، وهجعوا هجعة الى النفخة الثانية (١) ، بينهما أربعون سنة (٢) . (٣)

تعقيب

وبعد هذا العرض الموسع لرأى العلامة ابن كمال باشا في بداية اليوم الآخر - يوم القيامة - نستطيع أن نقول أن ما ذهب اليه ، لاغبار عليه ، ولاشيء يُرد عليه ، حيث اعتمد في ذلك على مذهب السلف وجمهور العلماء رضي الله عنهم ، اذ اعتمد على الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال السلف في تفسيرهما ،

(١) وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنه : انظر : البيهقى عذاب القبر ص ١٧٣ ، والمصدر السابق أيضا .

(٢) أخرجه البخارى (٨/ ٥٥١-٥٥٢) في كتاب (٦٥) التفسير - تفسير سورة (٣٩) الزمر ، باب (٤) (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله) برقم ٤٨١٤ ، وبرقم/ ٤٩٣٥ .

ومسلم (٤/ ٢٢٧٠) في كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٨) مابين النفختين ، برقم/ ٢٩٥٥ .

ومالك في الموطأ (١/ ٢٣٩) في كتاب (١٦) الجنائز ، باب (١٦) جامع الجنائز ، كلهم بلفظ "أربعون" دون ذكر "عاما" . قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٥٥٢) : "وزعم بعض الشراح أنه وقع عند مسلم "أربعين سنة" . ولاوجود لذلك . نعم أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الاسناد : "أربعون سنة" ، وهو شاذ . ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال : مابين النفخة والنفخة أربعون سنة" اهـ .

وقال النووى في شرح صحيح مسلم ١٨/ ٩٢ : " وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم اربعون سنة" ولم يبين من هو الغير ؟

وقال البيهقى في عذاب القبر ص ١٧٥ : "وكأن أبا هريرة لم يحفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم ما أراد بالأربعين . وأهل التفسير يقولون : هى أربعون سنة" .

(٣) ابن كمال باشا : شرح العشر ٧٩ ب . انظر كذلك تفسيره ٥٥٩ ب .

وبخاصة ماذهب اليه ابن عباس ترجمان القرآن وحبر هذه الأمة ، رضي الله عنهم أجمعين .

وذلك واضح أثناء تخريجي ما اعتمد عليه العلامة ابن كمال باشا من أقوال السلف .

٢ - البعث والحشر :

البعث : وهو في الأصل : النقل باعتماد يوجب الاسراع الى الشيء (١) .

وفي اصطلاح علماء أصول الدين : أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ، ويعيد الأرواح اليها (٢) .

البعث والمعاد والحشر ألفاظ مترادفة (٣) يستعمل كل واحد منها مكان الآخر .. وعند الاطلاق يراد به المعاد الجسماني ، اذ هو الذي يجب اعتقاده ، ويكفر منكره (٤) .

والمعاد من المسائل التي دار النقاش الحاد حولها بين المقرين به والمنكرين له ... فلذلك نرى أن صاحبنا العلامة ابن كمال كما هو عادته يؤلف رسالة مستقلة " في بيان المعاد الجسماني ، وتفصيل ما وقع فيه من الخلاف بين السلف " (٥) .

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٤٩ أ .

(٢) التفتازاني : شرح العقائد ١٣٤ـ١٣٥ ، السفاريني : لوامع الأنوار ١٥٧/٢ ، الأحمد نكري : جامع العلوم .

(٣) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ٣٣/٢ (ط . القاهرة) .

(٤) السفاريني : لوامع الأنوار ١٥٧/٢ ، محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين ص٦٠٦ .

(٥) ابن كمال : رسالة في بيان حشر الأجساد ٢١ ب ضمن مجموعة بجامعة الملك سعود بالرياض .

نقل العلامة ابن كمال باشا عن الفاضل الشريف فى شرحه للمواقف (١) فى " أن الأقوال الممكنة فى مسئلة المعاد لاتزيد على خمسة :

الأول : ثبوت المعاد الجسمانى فقط ، وهو قول أكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة .

والثانى : ثبوت المعاد الروحانى فقط ، وهو قول الفلاسفة الإلهيين .

والثالث : ثبوتهما معا ، وهو قول كثير من المحققين كالحليمى ، والغزالى والراغب ، وأبى زيد الدبوسى ، ومعمر من قدماء المعتزلة ، وجمهور من متأخرى الامامية ، وكثير من الصوفية ، فانهم قالوا : الانسان بالحقيقة هو النفس الناطقة (٢) ، وهى المكلف والمطيع والعاصى والمثاب والمعاقب ، والبدن يجرى منها مجرى الآلة ، والنفس باقية بعد فساد البدن ، فاذا أراد الله تعالى حشر الخلائق خلق لكل واحد من الأرواح بدنا يتعلق به ، ويتصرف فيه كما كان فى الدنيا .

والرابع : عدم ثبوت شىء منهما ، وهذا قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين .

والخامس : التوقف فى هذه الأقسام ، وهو المنقول عن جالينوس ، فانه قال : لم يتبين لى أن النفس هل المزاج الذى ينعدم عند الموت ، فيستحيل إعادتها ، أو هى جوهر باق بعد فساد البنية فيمكن المعاد حينئذ ؟ " .

---

(١) ص ٥٨٢ .

(٢) والنفس عندهم جوهر بسيط فرد متميز . انظر : الرازى : المطالب العالية ٧/٣٨ ، والمحصل ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ، والآمدى : ابكار الأفكار ٢/٢٠١ ب ، والآلوسى : روح المعانى ٢٣/٥٧ .

ثم علق على كلام الجرجاني بقوله : " ولا يذهب عليك أن هاهنا احتمالا آخر ، فهو القول بثبوت أحدهما والتوقف في الآخر ، وهذا في الحقيقة احتمالان آخران أحدهما : القول بثبوت المعاد الروحاني والتوقف في المعاد الجسماني ، وثانيهما : القول بثبوت المعاد الجسماني والتوقف في المعاد الروحاني . فالأقوال الممكنة في هذا المقام سبعة ، لا خمسة كما توهمه الفاضل المذكور " (١) .

المعاد الجسماني ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين :

يرى العلامة ابن كمال باشا أن " البعث بعد الموت للثواب والعقاب ، وأداء الحقوق فيما بينهم حق ثابت ، لقوله تعالى " وأن الله يبعث من في القبور (٢) " .. (٣)

وأن المعاد الجسماني واجب سمعا " لأنه قد ثبت جواز الإعادة عقلا ، فاذا أخبر الشارع عن وقوعها ، وورد السمع بها لزم القول بوجوبها (٤) ، ودليل ورود السمع بها ما تعلمه بالضرورة والنقل المتواتر

---

(١) ابن كمال باشا : ر. في بيان حشر الأجساد ق ٢٤ أ مع تصويب الأخطاء الواردة فيها من النسخ الأخرى ومن شرح المواقف، انظر أيضا : المذاهب في المعاد بالتفصيل : ابن سينا : رسالة الأضحوية في أمر المعاد ٩١ـ٩٦ ، البغدادي : أصول الدين / ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

(٢) الحج / ٧ .

(٣) ابن كمال باشا : المنيرة ص ١٣ .

(٤) وقال العلامة ابن كمال في تفسير قوله تعالى (يونس/٤) (اليه مرجعكم جميعا) بالبعث من القبور يوم النشور ... (وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد بدئه وإهلاكه ، استئناف ، كالدليل لما تقدم ـ اى لقوله (اليه مرجعكم جميعا) ـ ، وذلك أنه تعالى لما أخبر عن وقوع الحشر والنشر ، ذكر بعده مايدل على كونه ممكن الوقوع في نفسه ، بقوله (انه يبدأ الخلق) ، لأن إمكان الوجود أولا ، يدل على إمكانه ثانيا ، ثم ذكر مايدل على وقوعه بقوله (ثم يعيده) " تفسيره ٣١١ أ .

من إخبار جميع الأنبياء بالمعاد الجسماني ، والشريعة طافحة بما ورد على لسان الرسول المؤيد بالمعجزات الدالة على صدقه ، من الآيات ، والأخبار الدالة على وقوع حشر الأجساد ونشرها "(١).

وهذه الأدلة السمعية الدالة على وقوع البعث الجسماني لاتقبل التأويل والعدول عن ظاهرها ، قال ابن كمال باشا : "وقال الآمدي في أبكار الأفكار (٢) بعد التفصيل المشبع بذكر الآيات والأحاديث الدالة على وقوع المعاد الجسماني : " والأدلة السمعية في ذلك متسع ، لايحويه كتاب ، ولايحصره خطاب ، وكلها ظاهرة في الدلالة على حشر الأجساد ونشرها ، مع إمكان ذلك في نفسه ، فلا يجوز تركها من غير دليل "(٣).

ثم ورد في بعض هذه الأدلة السمعية المعاد الروحاني ، وفي بعضها الآخر المعاد الجسماني . " أما الروحاني ففي مثل قوله عز من قائل " فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين "(٤) ، "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة "(٥) ، " ورضوان من الله أكبر "(٦).

وأما الجسماني فقد جاء أكثر من أن يعد ، وأكثره مما لايقبل التأويل ، مثل قوله عز من قائل : " قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة "(٧) ، " فاذا هم من

(١) ابن كمال : رسالة في بيان حشر الأجساد ٢٢ أ . نقلا عن الآمدي في أبكار الأفكار ١٩٧/٢ ب .
(٢) ١٩٩/٢ أ .
(٣) ابن كمال باشا : ر. في بيان حشر الأجساد ٢٣ أ .
(٤) السجدة/١٧ .
(٥) يونس/٢٦ .
(٦) التوبة/٧٢ .
(٧) يس/٧٨ــ٧٩ .

الأجداث الى ربهم ينسلون " (١) ، " فسيقولون من يعيدنا ، قل الذى فطركم أول مرة " (٢) ، " أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه " (٣) ، " أإذا كنا عظاما نخرة " (٤) ، " وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء " (٥) ، " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها " (٦) " يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير " (٧) ، " وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما " (٨) ، " أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور " (٩) مما لا يمكن أن يحصى " (١٠) .

ولذلك أجمع المسلمون على المعاد البدنى ، بعد اختلافهم فى معنى المعاد . فقال القائلون بإمكان إعادة المعدوم ان الله تعالى يعدم المكلفين ، ثم يعيدهم ، وقال القائلون بامتناعه إن الله تعالى يفرق أجزاء أبدانهم الأصلية ، ثم يؤلف بينها ، ويخلق فيها الحياة " (١١) .

ويرى العلامة ابن كمال باشا " أن المتفق عليه عند أهل الحق وقوع المعاد الجسمانى مطلقا ، وأما تعيين أنه بالايجاد بعد الإعدام ، أو بالجمع بعد التفريق فمختلف فيه فيما بينهم ، والسمع لا يعين واحدا

---

(١) يس/٥١ . (٢) الاسراء/٥١ .

(٣) القيامة/٣ ـ ٤ . (٤) النازعات/١١ .

(٥) فصلت/٢١ . (٦) النساء/٥٦ .

(٧) ق/٤٤ . (٨) البقرة/٢٥٩ . (٩) العاديات/٩ .

(١٠) ابن كمال باشا : ر. فى بيان حشر الأجساد ٢٢ أ ـ ب نقلا عن الطوسى فى تلخيص المحصل ص ٣٤٠ .

(١١) ابن كمال باشا : ر. فى بيان حشر الأجساد ق/٢٢ أ نقلا عن الطوسى أيضا فى تلخيص المحصل ص ٣٤٠ .

منهما على القطع .

فقول الامام الرازى فى المحصل : (١) " أجمع المسلمون على المعاد ، بمعنى جمع الأجزاء بعد افتراقها ، خلافا للفلاسفة " ليس بذلك لما عرفت: أن الوفاق والخلاف فى أصل المعاد ، لافى وصفه " (٢).

ثم عضد رأيه بقول صاحب المواقف(٣) : " هل يعدم الله تعالى الأجزاء البدنية ، ثم يعيدها ، أو يفرقها ويعيد فيها التأليف ؟ الحق أنه لم يثبت ذلك ، ولاجزم فيه نفيا ولاإثباتا ، لعدم الدليل أى على شىء من الطرفين " (٤).

" ويتقدير أن تكون الإعادة للأجسام بتأليف أجزائها بعد تفرقها (٥) ، فهل تجب اعادة عين ماتقضّى (٦) ومضى من التأليفات فى الدنيا ، أو أن الله تعالى يجوز أن يؤلفها بتأليف آخر ؟ ...

---

(١) ص ٣٣٩ .

(٢) ابن كمال : ر. فى بيان حشر الأجساد ق ٢٣ ب ـ ٢٤ أ ، وانظر أيضا : الآلوسى :روح المعانى ٢٣/ ٦١ حيث اعتمد فيه على ابن كمال باشا .

(٣) ص ٣٧٣ ، وشرح المواقف للجرجانى ٥٨٢ .

(٤) انظر هذا الرأى أيضا عند الجوينى فى الإرشاد ص٣٧٤ ، والآمدى فى غاية المرام ص٣٠١ ، وأبكار الأفكار ٢/ ١٩٩ أ ، والجرجانى فى شرح المواقف ص٥٨٢ ، والسفارينى فى لوامع الأنوار ٢/ ١٦٠ ، والغزالى فى الاقتصاد ص١٣٤ ، والرازى فى الأربعين/ ٢٩٣ .

(٥) وهذا هو الذى ذهب اليه فى تفسير قوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم) قال فيه : " بالموت وتفتيت الأجزاء (ومنها نخرجكم) بالبعث وجمع الأجزاء على الصورة السابقة ... " تفسيره ٤٥٧ ب .

(٦) وفى القاموس(٤/ ٣٨١)للفيروزآبادى : " تقضّى :فنى وانصرم كانقضى " .

فذهب أبو هاشم الى المنع من إعادتها بمنع آخر ... ومذهب ماعداه من أهل الحق أن كل واحد من الأمرين جائز عقلا ، ولا دليل على التعيين من سمع وغيره ...

ولا مانع أن تكون الإعادة بمثل ذلك التأليف ، لا بعينه " (١)
وكأنه يميل الى أن الاعادة بالمثل وليست بالعين ، اذ يقول : " وها هنا أمر آخر ، لابد من التنبيه عليه ، وهو أن اللازم فى المعاد الجسمانى هو وجود بدن ما ، لا وجود البدن الأول بعينه ...
وظاهر قوله تعالى " أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم " (٢) مساعد له ، فلا توقف فى ثبوت ما هو الضرورى فى الدين فى هذه المسألة على صحة إعادة المعدوم بعينه ، على أصل من قال بإعدام الأجسام ...

فمسألة إعادة المعدوم ليست من مبادئ مسألة حشر الأجساد كما زعمه صاحب المواقف ... وقد وته فيه الآمدى ... " (٣)

وهناك مسألة أخرى هامة ، دار النقاش حولها من قديم الزمان الى يومنا هذا ، ألا وهى موقف الفلاسفة الاسلاميين وعلى رأسهم ابن سينا من قضية المعاد ، وحاول ابن كمال باشا أن يدافع عن ابن سينا فيها اعتمادا على ما ورد فى كتابه " النجاة " حيث قال فيه (٤) : " يجب أن تعلم أن المعاد : منه مقبول من الشرع ، ولا طريق

---

(١) ابن كمال باشا : ر. فى بيان حشر الأجساد ٢٣ ب ، نقلا عن أبكار الأفكار ١٩٩/٢ أ.
(٢) يس/٨١ . (٣) ابن كمال باشا : ر. فى بيان حشر الأجساد ق/٢٥ أ .
(٤) ص ٢٩١ .

الى إثباته الا عن طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذى للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لاتحتاج الى أن تعلم .

وقد بسطت الشريعة الحقة ، التى أتانا بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حال السعادة والشقاوة ، التى بحسب البدن .

ومنه ماهو مدرك بالعقل والقياس البرهانى ، وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاوة ، الثابتتان بالمقاييس التى للأنفس ، وان كانت الأوهام منا تقتصر عن تصورها الآن ، لما توضحهم من العلل .

والحكماء الإلهيون رغبتهم فى إصابة هذه السعادة ، أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة البدنية ، بل كأنهم لايلتفتون الى تلك ، وان أعطوها ، فلا يستعظمونها فى جانب هذه السعادة ، التى هى مقاربة الحق الأول .(١)

وهذا النص فى نظر ابن كمال يثبت المعاد الجسمانى .. اذ علق عليه بقوله : " فان قلت : أليس قولهم باستحالة عدم تناهى الأبعاد ، وقولهم بأن النفس الناطقة غير متناهية ، ألزماهم الانكار للمعاد الجسمانى ، اذ على تقدير وقوعه يلزم اجتماع الأبدان الغير المتناهية فى الوجود ، اذ لابد لكل نفس من بدن ، فيلزم عدم تناهى الأبعاد ؟

قلت : ذلك وهم ، سبق اليه فهم بعض الناظرين فى هذا

---

(١) ابن كمال باشا : ر. فى بيان حشر الأجساد ٢٤ ب .

المقام ، وأثبته فى شرح العقائد العضدية (١) ، وليس الأمر كما توهمه ، فان حشر الأجساد اللازم ، على تقدير وقوع المعاد الجسمانى ، هو حشر المكلفين ، من المطيع المستحق للثواب ، والعاصى المستحق للعقاب ، لاحشر جميع أفراد البشر ، مكلفا كان ، أو غير مكلف ، فانه ليس من ضروريات الدين ، لأن الأخبار المنقوله فيه ، لم تصل الى حد التواتر ، ولم ينعقد عليه الإجماع ، بل كان مختلفا فيه فيما بينهم ، فلم يكن الاعتقاد به من شرائط الاسلام ، وقد نبه عليه الفاضل الطوسى فى التجريد حيث قال : " والسمع دل عليه ، ويتأول فى المكلف بالتفرق " ، وقال الشارح : يعنى لاإشكال فى غير المكلفين ، فانه يجوز أن ينعدم بالكلية ، ولا يعاد ، وأما بالنسبة الى المكلفين فانه يتأول العدم بتفرق الأجزاء .

وفى تلخيص المحصل أيضا (٢) حيث قال : وقال القائلون بامكان إعادة المعدوم ان الله تعالى يعدم المكلفين ، ثم يعيدهم .

ونبه الآمدى فى كلامه المنقول عن أبكار الأفكار (٣) حيث قرر الخلاف فى إعادة المكلفين .

والمكلف من بلغ الحلم ، وبلغ اليه الحكم ، ولاخفاء فى أن عدم تناهى جميع أفراد البشر لايستلزم عدم تناهى المكلفين منهم ، فلايلزم من القولين المنقولين إنكار ماهو الضرورى فى الدين فى هذه المسألة " (٤) .

---

(١) وهو جلال الدين الدوانى فى شرح العقائد العضدية انظر كذلك ص٦٠٦ المطبوع بعنوان : محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين .

(٢) ص ٣٤٠ .

(٣) أبكار الأفكار ١٩٧/٢ ب .

(٤) ابن كمال باشا : ر. فى بيان حشر الأجساد ٢٤ب ــ ٢٥أ مع تصويب الأخطاء الواردة فيها اعتمادا على نسخ الرسالة الأخرى ومصادرها ، دون ذكر الخلافات اللفظية .

هذا ، وقال العلامة في تفسير قوله تعالى " ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كافرين " (١) مبينا حكمة الاعادة والبعث: " وهو إشارة الى السبب الداعى الى البعث، المقتضى له ، من حيث الحكمة ، وهو الميز بين الحق والباطل ، والمحق والمبطل ، بالثواب والعقاب " (٢).

هذا هو رأى العلامة ابن كمال باشا فى مسألة المعاد ، وموطن الوفاق فيه ، والخلاف ، وموقفه من رأى الفلاسفة ، ودفاعه عنهم أمام خصومه ، ومحاولة بحثه عن مخرج لهم فى إلزام خصومهم بإنكارهم للمعاد الجسمانى ...

— تعقيب —

وبعد هذا العرض الموسع لرأى العلامة ابن كمال باشا فى مسألة المعاد نستطيع أن نقول :

١ — إنه مع السلف رضى الله عنهم فى أصل المسألة ، وهو إثبات المعاد الجسمانى ، إذ " هذه الأجساد هى التى تبعث كما نطق به الكتاب والسنة " (٣).

٢ — وأما فى كيفية المعاد فقد خالف ماذهب اليه السلف،

(١) النمل/٣٩ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره/٣٩٩ ب ، وانظر كذلك ٣١١/أ .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٣١٦/٤ .

ووافق المتكلمين القائلين بأن الأجسام مركبة من الجواهر الفردة ، فإعادتها إما عن عدم ، أو عن جمع بعد تفريق ..

يقول شارح الطحاوية[١] منتقدا لرأى المتكلمين ومثبتا لقول السلف " والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة ، لهم فى المعاد خبط واضطراب ، وهم فيه على قولين : منهم من يقول : تعدم الجواهر ، ثم تعاد . ومنهم من يقول : تفرّق الأجزاء ، ثم تجمع ...

والقول الذى عليه السلف وجمهور العقلاء : أن الأجسام تنقلب من حال الى حال ، فتستحيل ترابا ، ثم ينشئها الله نشأة أخرى ، كما استحال فى النشأة الأولى : فانه كان نطفة ، ثم صار علقة ، ثم صار مضغة ، ثم صار عظاما ولحما ، ثم أنشأه خلقا سويا . كذلك الإعادة : يعيده الله تعالى بعد أن يبلى كله الا عجْب الذنب[٢] ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب ، منه خلق ابن آدم ، ومنه يركب " [٣] .

---

(١) ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤ ، وانظر كذلك : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ١٧ / ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(٢) عجب الذنب ـ بفتح العين ، وإسكان الجيم ـ : أى العظم اللطيف ، الذى فى أسفل الصلب ، وهو رأس العصعص ، ويقال له : عجم ، بالميم . النووى : شرح صحيح مسلم ١٨ / ٩٢ ، القرطبى : التذكرة ١ / ٢٠٤) .

(٣) أخرجه البخارى (٨ / ٥٥١ ـ ٥٥٢) فى كتاب (٦٥) التفسير ، تفسير سورة (٣٩) الزمر ، باب (٤) " ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات والأرض الا من شاء الله " برقم / ٤٨١٤ ، وفى سورة (٧٨) عم يتساءلون ، باب (١) " يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا " رقم / ٤٩٣٥ .

ومسلم (٤ / ٢٢٧٠ ـ ٢٢٧١) فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٨) =

وفى حديث آخر: " ان السماء تمطر مطرا كمنى الرجال ، ينبتون فى القبور كما ينبت النبات " (١).

فالنشأتان نوعان تحت جنس ، يتفقان ويتماثلان من وجه ، ويفترقان ويتنوعان من وجه. والمعاد هو الأول بعينه ، وان كان بين لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق ، فعجب الذنب هو الذى يبقى ، وأما سائره فيستحيل ، فيعاد من المادة التى استحال اليها ".

٣ـ وأما دفاعه عن ابن سينا ، وتشبثه بما وجده فى النجاة من تصريحه بالبعث الجسمانى ـ حسب فهمه ـ ، وتوهين ما ألزمه صاحب شرح العضدية وتوهيمه فهو ناشىء عن عدم إحاطة بكتب ابن سينا المتعددة ، ومنهجه الذى لابد لدارسه أن يسير على هداه.

يقول استاذنا الفاضل الدكتور سليمان دنيا رحمه الله:

= مابين النفختين ، برقم/ ٢٩٥٥ .
وأبو داود (٥/١٠٨) فى كتاب (٣٤) السنة ، باب (٢٥) فى ذكر البعث والنشور ، برقم ٤٧٤٣ .
والنسائى (٤/١١١ـ ١١٢) فى كتاب (٢١) الجنائز ، باب (١١٧) أرواح المؤمنين ، برقم/ ٢٠٧٧ .
وابن ماجه (٢/١٤٢٥) فى كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٣٢) ذكر القبر والبلى ، رقم ٤٢٦٦ .
وأحمد ٢/٣٢٢ ، ٤٢٨ .

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير فى حديث طويل عن أبى الزعراء موقوفا على عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/٣٣١ـ ٣٣٣) ونبه على أن فيه جزءً مخالفا للحديث الصحيح .
وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٤/٥٩٨ـ ٦٠٠) وصححه على شرطهما ، ورده الذهبى بأنهما ما احتجا بأبى الزعراء.

" أمـــــران:

أولـــهمـــا : أن الفلاسفة لـم يلـز مهـم القـول بانكـار البعـــث الجسمانـــى ، ولكنهـم صـرحـوا بـــه تصريحـا ، وهـاك قـول ابـن سينـــا فـى كتابـه " رسـالة أضحـويـة فـى أمـر المعـاد "(١) :

" لكنـا نبـين بـيانـا بـرهانيـا ، أنـه لايمكـن أن تعـود النفـوس بعـد المـوت الـى البـدن ، البتـة " .

وثانيهمـا : أن ابـن سينـا لـم يعـترف بـأن هنـاك بعثـا جسمانيـا أصـلا ، لابمعـنى مفهـوم ، ولا بمعـنى غـير مفهـوم ، وإذا كـان قـد قسـم البعـث ـ فـى كتابيـه " النجـاة " و " الشفـاء " ـ الـى روحانـــى وجسمانـــى ، فقـال فيهمـا بنـص واحـد " . ثـم ذكـر أستـاذنـا النـص الـذى نقـل العـلامـة ابـن كمـال باشـا فـى رسـالتـه ، وعلـق عليـه :

" فليـس معـنى ذلـك أن ابـن سينـا يعـترف بـأن هنـاك بعثـا جسمانيـا ، بـل كـل مايفيـده هـذا النـص أن الشريعـة قـد أخـبرت بـه ، وليـس بـلازم عنـد ابـن سينـا أن كـل مـا أخـبرت بـه الشريعـة يكـون كما

---

(١) ص ١٢٢ (ط. عاصى) ، ص ٨٩ ط. دار الفكر. وقال فى ص ١١٤ : " فليكـن هذا كافيا فى مناقضة الجاعلين المعاد للبدن وحده ، أو للنفس والبدن معا " وقال فى ص ١٢٦ أيضا : " فاذا بطل أن يكون المعاد للبدن وحده ، وبطل أن يكون للبدن والنفس جميعا ، وبطل أن يكون للنفس على سبيل التناسـخ فالمعاد اذن للنفس وحدها على ماتقرر بعد أن كان المعاد موجودا " .
كما صرح أيضا فى ص ١٠٤ " أن المادة الموجودة للكائنات لاتفى بأشخـاص الكائنات الخالية اذا بعثت " .
ثم ان معنى المعاد عند ابن سينا هو سعادة النفس أو شقاوتها بعـد مفارقتها البدن ، اذ يقول فى ص ١٤٤ :
" والالم السرمدى شقاوة ، واللذة السرمدية الجوهرية ، الغير مشوبة سعادة . فالنفس بعد الموت اما شقية ، واما سعيدة ، وذلك هو المعاد " .

أخبرت به ، يقول ابن سينا نفسه عن ذلك فى " النجاة " (١) — بعد عدة صفحات من النص السابق — :

" وكذلك يجب عليه — أى على النبى — أن يقرر عندهم — أى البشر — أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته ، وتسكن اليه نفوسهم ، ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا ، مما يفهمونه ويتصورونه .

وأما الحق فى ذلك فلا يلوح لهم منه الا أمرا مجملا " .

فالبعث الجسمانى الذى يتحدث عنه القرآن ، ليس له — عند ابن سينا — معنى مفهوم ، ولا معنى غير مفهوم ، لكنه مجرد تمثيل لتفهيم العامة ، ويزيدنا ابن سينا تصريحا بهذا المعنى ، فى كتابه المخصص لبحث مسألة البعث " رسالة أضحوية فى أمر المعاد " (٢) حيث يقول :

" فظاهر من هذا كله أن الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمونه ، مقربا ما لا يفهمونه الى أفهامهم ، بالتشبيه والتمثيل . ولو كان غير ذلك لما أغنت الشرائع البتة ، وكيف يكون ظاهر الشرع حجة فى هذا الباب ..

ولو فرضنا الأمور الأخروية روحانية بعيدة عن إدارك بداية الأذهان لحقيقتها ، لم يكن سبيل الشرائع فى الدعوة اليها ، والتحذير عنها ، منبها بالدلالة عليها ، بل بالتعبير عنها بوجوه من التمثيلات المقربة الى الأفهام .

فكيف يكون وجود شئ ، حجة على وجود شئ آخر ، ولو لم يكن الشئ الآخر ، على الحالة المفروضة ، لكان الشئ الأول

---

(١) ص ٣٠٥ . (٢) ص ١٠٣ ط . عاصى ، ص ٥٠ ط . دار الفكر .

علـــــى حالتـــــه ".

فليس اذن بعث جسمانـى البتة ، وانما هو تصوير وتمثيل "(١)

ويقول أستاذنا أيضا فى معرضها ن منهج ابن سينا فـى كتبه ، وأقدار كتبه عند مؤلفها :

" انه لايسوغ للباحث أن يستمد أفكار ابن سينا من أى كتاب له يقع فى اليد ، بل ان مستمد أفكار ابن سينا كتب خاصة ، نبه عليها ابن سينا نفسه.

وقد رأينا كيف يصرح ابن سينا فى كتابه " النجاة " و " الشفاء " بالبعث الجسمانى ، ثم فى كتابه "رسالة أضحوية فى أمر المعاد " ينفيه نفيا باتا قاطعا .

ولقد صرح ابن سينا نفسه ، بالتفريق بين كتبه فى هذا الشأن ، فقال فى فاتحة كتابه " الشفاء " مايلى :

" ولى كتاب غير هذين الكتابين ـ يعنى كتاب " الشفاء " وكتاب " اللواحق " ـ أوردت فيه الفلسفة على ما هى فى الطبع ، وعلى ما يوجبه الرأى الصريح الذى لايراعى فيه جانب الشركاء فى الصناعة ، ولايتقى فيه من شق عصاهم ، ما يتقى فى غيره ، وهو كتابى فى " الفلسفة المشرقية ".

وأما هذا الكتاب ـ يعنى " الشفاء " ـ فأكثر بسطا ، وأشد مع الشركاء من المشائين ، مساعدة. ومن أراد الحق الذى لامجمجة فيه ، فعليه بطلب ذلك الكتاب ، ومن أراد الحق على طريق ترضى

(١) د. سليمان دنيا : مقدمة " الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين " ص١٧ ـ ١٩ .

ما ، الى الشركاء ، وبسط كثير ، وتلويح بما لو فطن له ، استغنى عن الكتاب الآخر ، فعليه بهذا الكتاب ـ يعنى "الشفاء" ـ .." (١)

فهذا هو الوزن الصحيح لكتب ابن سينا ، وهذه أقدارها عنده.

فلا يحق لنا أن نخلع عليها قداسة من عند أنفسنا ، تجرنا الى خطأ فى التقدير ، والى خطأ فى الاستنباط.

وواضح أن ابن سينا يبرز ميزتين فى كتاب "الشفاء".

الأولى : هى قوله : " ومن أراد الحق على طريق فيه ترضما ، الى الشركاء "، ومعنى هذا القول : أن ابن سينا يقول فى كتاب "الشفاء" أقوالا مجاراة لقوم ، يسميهم الشركاء ، وشركاؤه فى هذا الكتاب ـ كما هو واضح لمن قرأه ـ ليسوا هم المشائين وحدهم ، ولكن لعلماء الكلام نصيب فى هذه الترضية.

والثانية : هى قوله : " وتلويح بما لو فطن له استغنى عن الكتاب الآخر" ، ومعنى هذا القول : أن ابن سينا يذكر الى جانب القول الذى يراعى فيه ترضية شركائه ، ما يشير الى رأيه الحق فى المسألة.

وقد مر بنا تصريحه الصريح بالبعث الجسمانى ، ومر بنا قوله بعد ذلك : " وكذلك يجب ـ أى على النبى ـ أن يقرر عندهم ـ أى البشر ـ أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته ، وتسكن اليه نفوسهم ، ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمونه ، ويتصورونه.

وأما الحق فى ذلك فلا يلوح لهم منه الا أمرا مجملا.

---

(١) ص١٠ جزء المنطق ، الأميرية ١٩٥٣ م.

وهو أن ذلك شيء ، لاعين رأته ، ولاأذن سمعته " .

هذان عرضان لمسألة واحدة في نفس كتاب " الشفاء " :

أحدهما : صريح واضح .

والآخر : رمز واشارة.

ففي ضوء ماذكره ابن سينا نفسه ، يفهم القول الصريح على أنه ترضية للشركاء ، ويفهم الرمز والاشارة ، على أنهما رأيه الحق في المسألة .

فعلى هذا - وعلى فرض أن ليس لدينا كتب أخرى ككتاب " رسالة أضحوية في أمر المعاد " الذى نقلنا منه تصريح ابن سينا تصريحا باتا قاطعا ، بنفى عودة الأجسام الى الأبدان - لوقيل : ان الحق عند ابن سينا أن الأجسام لاتبعث ، لم يكن هذا القول بعيدا عن الصواب " (١).

ولايكون من حق العلامة ابن كمال باشا أن يقول إن ذلك استنباط واستنتاج لايغنيان شيئا الى جانب تصريحه الصريح بالبعث الجسمانى ..

٤ - وأما قول العلامة ابن كمال باشا باعادة المكلفين فقط من بين أفراد البشر في معرض دفاعه عن ابن سينا ، وبحثه عن مخلص له من إلزام خصومه ، وزعمه أن الأخبار المنقولة فيه لم تصل الى حد التواتر فهو من غلطاته رحمه الله ...

يقول العلامة الآلوسى في تفسيره بعد أن نقل كلام ابن

---

(١) د . سليمان دنيا : مقدمة " الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين " ٢٠ - ٢٢ . وانظر في الكتاب نفسه ص ٦٢٠ تصريح العلامة الدوانى بافكار ابن سينا المعاد الجسمانى ..

كمال باشا فى حصر الحشر على المكلفين فقط : " وأما قصر الحشر على المكلفين ، دون غيرهم من المجانين والصغار ، والذين لم تبلغهم الدعوة ، ونحوهم فليس بشئ ، والأخبار فى ذلك كثيرة ، ولعلها من قبيل التواتر المعنوى ، على أنها لو لم تكن كذلك لاداعى الى عدم اعتبارها ، والقول بخلاف ماتدل عليه ، كما لايخفى " (١) .

ثم ان العلماء اختلفوا قديما وحديثا فى مسألة أطفال المشركين ، الذين ماتوا وهم صغار ، وآباؤهم كفار ، ماذا حكمهم ؟

وقد ذكر الحافظ ابن حجر فى فتح البارى عشر أقوال للعلماء فيها ، وليس من بينها القول أنهم لايحشرون ، سوى رواية عن ثمامة ابن أشرس " أنهم يصيرون ترابا " (٢) ، ومع ذلك يفهم من قوله انهم يصيرون ترابا بعد الحشر ، مثل البهائم ..

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا لرأى السلف فى المسألة بعد أن ذكر حديث أبى هريرة (٣) فى امتحان المعتوه والأصم والهرم ومن مات فى الفترة :

" وقد جاءت بذلك عدة آثار مرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة والتابعين ، بأنه فى الآخرة يمتحن أطفال المشركين وغيرهم ممن لم تبلغه الرسالة فى الدنيا . وهذا

(١) روح المعانى ٦٢/٢٣ .

(٢) ٢٤٦/٣ انظر حول مسألة أطفال المشركين وأقوال الناس فيها ورأى السلف : ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٣٩٧/٨ـ٤٠٢ ، ٤٣٥ـ٤٣٧ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (المختصر ٣٦٨/٢ـ٣٧١) ، ابن حجر : فتح البارى ٣/ ٢٤٦ـ٢٤٧ ، البيهقى : الاعتقاد ١٠٨ـ١١٢ .

(٣) أخرجه الامام أحمد فى المسند (ط. أحمد شاكر) ٢٤/٤ .

تفسير قوله " الله أعلم بما كانوا عاملين ".

وهذا هو الذى ذكره الاشعرى فى المقالات (١) عن أهل السنة والحديث ، وذكر أنه يذهب اليه (٢).

ونصر هذا القول الحافظ البيهقى فى كتاب الاعتقاد (٣) ، والحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤) ، وغيرهم من محققى العلماء والحفاظ والنقاد .

ومعناه أنهم يحشرون أولا ، ثم يمتحنون ، خلاف ماقاله ابن كمال باشا ..

وكذلك قصره الحشر على المكلفين فقط يخالف ماقاله هو فى تفسير قوله تعالى " ومامن دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شىء ، ثم الى ربهم يحشرون " (٥) حيث قال فيه : " والمقصود أن من يضبط أحوال الدواب والطير كلها ، وأعمالها ، ويحشرها ، فينصف بعضها من بعض كما روى : أنه يأخذ للجماء من القرناء ، ويجازى كلها كيف يهملكم ". (٦)

وماقاله أيضا فى تفسير قوله تعالى : " يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا " (٧) : " أى حين مت، كما كان سائر الحيوانات ، فان الانسان مخصوص من بينها بالروح الباقى بعد الموت ، وهذا وجه ماقيل : يحشر سائر الحيوانات

(١) ص ٢٩٦ .   (٢) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٠١ وأيضا ٤٣٦ـ٤٣٧.
(٣) ص ١١١ـ١١٢.   (٤) تفسير القرآن العظيم (المختصر) ٢/ ٣٦٩ـ٣٧٠.
(٥) الأنعام/ ٣٨.   (٦) ابن كمال باشا : تفسيره ١/ ٣٦٤ (الحرم) .
(٧) النبأ/ ٤٠ .

للاقتصاص ، ثم ترد ترابا ، فيود الكافر حالها " (١).

وقال العلامة القرطبي في حشر البهائم في الآخرة " اختلف الناس في حشر البهائم ، وفي قصاص بعضها من بعض.

فروى عن ابن عباس: أن حشر الدواب والطير موتها . وقاله الضحاك.

وروى عن ابن عباس في رواية أخرى: أن البهائم تحشر وتبعث. قاله أبو ذر وأبو هريرة وعمرو بن العاص والحسن البصري وغيرهم ، وهو الصحيح ، لقوله تعالى " واذا الوحوش حشرت" (٢) ، وقوله " ثم الى ربهم يحشرون " (٣) " (٤).

ونسب الآلوسي هذا القول الى الجمهور ، فقال : " والى حشر البهائم ، والاقتصاص لبعضها من بعض ذهب الجمهور " (٥).

وتبين مما سبق أن العلامة ابن كمال باشا خالف نفسه في قصره الحشر على المكلفين فقط ، كما خالف الجمهور ، ورأي السلف رضي الله عنهم أجمعين ..

---

(١) ابن كمال باشا : تفسير سورة النبأ ضمن رسائله ١/ ٤٠ .

(٢) التكوير/ ٥ . (٣) الأنعام/ ٣٨ .

(٤) القرطبي : التذكرة ١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ وانظر كذلك : الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٤٢٠ ـ ٤٢١ ، ١٩/ ١٨٧ ، ٢٢٧ .

(٥) روح المعاني ٣٠/ ٢٨ ، وانظر أيضا ٣٠/ ٦٥ ـ ٦٦ .

٣ _ الشفاعة _

الشفاعة لغة مشتقة من الشفع الذى هو ضد الوتر، فكأن المشفوع له كان فردا ، فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه (١).

وعرفا : هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب من الذى وقعت الجناية فى حقه (٢).

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى " أن النبى عليه السلام شفيع مشفّع يوم المحشر ، ينتفع بشفاعته عصاة المؤمنين " (٣)، " لأن المؤمن _ وإن ارتكب الكبيرة _ لا يُحْرَم عن شفاعته عليه السلام ، كيف، وقد قال عليه السلام (٤) : " شفاعتى لأهل الكبائر

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٨/١ (الحرم) ، أبو السعود : إرشاد العقل السليم ٩٩/١ ، السفارينى : لوامع الأنوار ٢٠٤/٢ .

(٢) السيد الشريف: التعريفات ص٨٦ ، وكذلك السعد :شرح العقائد/ ١٥٠ .

(٣) ابن كمال باشا :رسالة فى مدح السعى وذم البطالة ٢ ص٣٨٩ .

(٤) أخرجه أبو داود (١٠٦/٥) فى كتاب (٣٤) السنة ، باب (٢٣) فى الشفاعة برقم/ ٤٧٣٩ ،
والترمذى (٦٢٥/٤) فى كتاب (٣٨) صفة القيامة ، باب (١١) ، برقم/ ٢٤٣٥
وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
وابن حبان (موارد الظمآن) / ٦٤٥ برقم ٢٥٩٦ .
وأحمد ٢١٣/٣ ، وابن أبى عاصم فى السنة ص٣٨٥ ، والحاكم ٦٩/١ ، وابن خزيمة فى التوحيد ص٢٧١ ، والبيهقى فى البعث (كما فى تخريج أحاديث شرح العقائد للسيوطى ص٥٨ اذ لم أجده فى البعث والنشور المطبوع ولعله ناقص)
والطبرانى فى الصغير ١٦٠/١ كلهم عن أنس .
وأخرجه أيضا الترمذى برقم/ ٢٤٣٦ ،
وابن ماجه (١٤٤١/٢) فى كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٣٧) ذكر الشفاعة ، برقم ٤٣١٠ ،

=

من أمتى "(١) .

ويرى أنه صلى الله عليه وسلم " ذو مقام محمود ". (٢) وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المقام المحمود : هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى " قال : هذا حديث حسن. فالمقام : الموضع يقوم فيه الانسان للأمور الجليلة ، ومعنى كونه " محمودا " أنه تعالى يقيمه عليه السلام فيه ، فيشفع ، فيحمده الخلق "(٣) .

وهذه هى الشفاعة العظمى ، وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم من بين سائر النبيين والصديقين وغيرهم . وشفاعته هذه

= والحاكم ١/٦٩ ، وابن خزيمة فى كتاب التوحيد ص ٢٧١ ،
والبيهقى فى البعث ص ٥٥ كلهم عن جابر رضى الله عنه.
والبيهقى فى البعث عن كعب بن عجرة (كما فى النهاية ٢/٣٢٦ ، وتخريج أحاديث شرح العقائد ص ٥٩) ،
والطبرانى فى الكبير (١١/١٨٩ ، برقم ١١٥١٤ ، عن ابن عباس
والخطيب فى تاريخه (٨/١١) عن ابن عمر رضى الله عنهم..
وقال على القارى فى شرح الفقه الأكبر ص ١٣٨ : فهو حديث مشهور فى المبنى ، بل الأحاديث فى باب الشفاعة متواترة المعنى " وقاله التفتازانى أيضا فى شرح العقائد ص ١٤٩ .

(١) ابن كمال باشا : شرح الأربعين ص ٤٤ ، وكذلك : تفسيره ٥٨٩ ب .
(٢) الترمذى (٥/٣٠٣) فى كتاب (٤٨) تفسير القرآن ، باب (١٨) ومن سورة بنى اسرائيل ، برقم ٣١٣٧ وقال : هذا حديث حسن.
والامام أحمد ٢/٤٤١ ، والبيهقى فى الدلائل ٥/٤٨٤ ، وابن حجر : فى الكافى الشاف ص ١٠١ رقم ٣٠٠ .
(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٢٢ ب مع استدراك ما سقط منه من نسخة ينى جامع برقم/١٠٢٠/٣٤٩ ب .

ليست منحصرة على أمته وإنما هى عامة للخلائق مؤمنهم وكافرهم ، ويدخل فيها أمته صلى الله عليه وسلم من باب الأولوية ...

وقال العلامة ابن كمال باشا مثبتا الشفاعة لمن ارتضاه الله تعالى من الأخيار كالعلماء والشهداء والأولياء ،ورادا على من أنكرها من المعتزلة :

" وشفاعة الأنبياء عليهم السلام ، والأولياء والصلحاء ، لكل عصاة من المؤمنين ـ ولو كانوا من أصحاب الكبيرة ـ حق ثابت، لقوله عليه السلام (١) : " أنا شفيع لعصاة المؤمنين من أمتى " (٢).

وكذلك استشهد ببعض الآيات لاثبات الشفاعة وقال فى تفسير قوله تعالى " إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد إذنه ... " (٣) : " كقوله " يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من أذن له الرحمن " (٤) ، وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له " (٥).

وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى " يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايشفعون الا لمن ارتضى " (٦) : لمن ارتضاه وأهله للشفاعة " (٧).

وذكر فى تفسير قوله تعالى : " يوم يقوم الروح والملائكة صفا

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ فى مظانها من كتب الحديث، ولعله رواية حديث " شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى " بالمعنى .

(٢) رسالة المنيرة ص ١٤ . (٣) يونس / ٣ .

(٤) النبأ / ٣٨ . (٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٣١٠ ب .

(٦) الأنبياء / ٢٨ . (٧) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٦٩ ب .

لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا " (١) : " هما شرطان : اذن الرحمن ، وقول الصواب ، وهو الشفاعة لمن ارتضى ، لقوله تعالى " ولايشفعون الا لمن ارتضى " (٢) . (٣)

ثم نراه يدافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة فى تفسير الآيات التى تشبثت بها المعتزلة فى انكارهم الشفاعة لأهل الكبائر ، وقصرهم إياها على المطيعين والتائبين لرفع الدرجات وزيادة المثوبات (٤) ، مثل قوله تعالى : " واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون " (٥) قالوا : وهى عام فى شفاعة النبى وغيره .

فقال ابن كمال باشا فى تفسيرها : " وانما قنطهم ــ أى اليهود ، لأن الخطاب لهم ــ الأقناط الكلى ، لأن اليهود كانوا يزعمون أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ، ولما كان الخطاب لليهود ، كان تقديره : لاتجزى نفس مامنكم عن نفس مامنكم ، فلا دلالة فيه على أن الشفاعة لاتقبل للعصاة مطلقا ، وكأنه أريد بالآية نفى أن يَرفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل " (٦) .

وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى " .. وماللظالمين من أنصار " (٧) : ولايلزم من نفى النصرة نفى الشفاعة ، لأن النصرة دفع بقهر " (٨) ، وأما الشفاعة فبعد إذنه تعالى لأهلها ..

(١) ابن كمال باشا :تفسير سورة النبأ ص ٣٩ . (٢) الانبياء/ ٢٨ .
(٣) ابن كمال باشا :تفسير سورة النبأ ص ٣٩ .
(٤) حول رأى المعتزلة فى الشفاعة انظر :القاضى عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة ٦٨٨ ــ ٦٩١ وكذلك :ابن كمال باشا :تفسيره ١/ ١٧٥ ــ ١٧٦ (الحرم المكى) .
(٥) البقرة/ ٤٨ . (٦) ابن كمال باشا :تفسيره ١/ ٥٩ (الحرم المكى) .
(٧) آل عمران/ ١٩٢ . (٨) ابن كمال باشا : ١/ ٢٦٧ (الحرم المكى) .

ـ تعقيب ـ

ان " شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم من السمعيات ، وردت بها الآثار ، حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوى ، وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة " (١).

وقد ذكر جمهور من العلماء أن أحاديث الشفاعة بلغت مبلغ التواتر ، منهم على سبيل المثال : ابن أبى عاصم فى السنة (٢) ، والحافظ ابن كثير (٣) ، وعلى القارى (٤) ، والتفتازانى (٥) ، والقاضى عياض ، والنووى (٦) وغيرهم كثيرون .

يقول مقرر مذهب السلف شيخ الاسلام ابن تيمية : " أجمع المسلمون على أن النبى صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة ، بعد أن يسأله الناس ذلك ، وبعد أن يأذن الله له فى الشفاعة ، ثم أن أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، واستفاضت به السنن من أنه صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الكبائر من أمته ، ويشفع أيضا لعموم الخلق .

فله صلى الله عليه وسلم شفاعات يختص بها ، لا يشركه فيها أحد ، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين ، لكن

---

(١) السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢٠٨ ، وكذلك : السعد : شرح المقاصد ٥/١٥٨ .

(٢) ص ٣٨٥ .

(٣) النهاية فى الفتن ٢/٣١٤-٣١٥ .

(٤) شرح الفقه الأكبر ١٣٨ .

(٥) شرح العقائد /١٤٩ .

(٦) شرح صحيح مسلم ٣/٣٥ .

ماله فيها أفضل مما لغيره ، فانه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل ، وله من الفضائل التى ميزه الله بها على سائر النبيين مايضيق هذا الموضع عن بسطه ، ومن ذلك : " المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون ".

وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة ، منها فى الصحيحين أحاديث متعددة ، وفى السنن والمسانيد مما يكثر عدده.

وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا أن الشفاعة إنما هى للمؤمنين خاصة فى رفع بعض الدرجات ، وبعضهم أنكر الشفاعة مطلقا " (١).

وهو كلام وجيز وجامع حول موضوع الشفاعة ..

وقال فى موضع آخر (٢) :

" وله صلى الله عليه وسلم فى القيامة ـ ثلاث شفاعات ـ (٣) :

---

(١) التوسل والوسيلة ضمن مجموع الفتاوى ١/٣١٣ ـ ٣١٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣/١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٣) لقد وصل الحافظ ابن كثير أنواع شفاعاته صلى الله عليه وسلم الى ثمانية أنواع، وتابعه فيها تلميذه ابن أبى العز، ونقل كلامه فى شرح الطحاوية ٢٥٢ ـ ٢٥٨، دون إشارة اليه..

النوع الأول : شفاعته صلى الله عليه وسلم لفصل القضاء بين العباد ويريحهم من مقامهم ذلك، وهى الشفاعة العظمى ، والمقام المحمود ، الخاصة به.

النوع الثانى : شفاعته صلى الله عليه وسلم فى أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، ليدخلوا الجنة.

النوع الثالث: شفاعته صلى الله عليه وسلم فى أقوام آخرين قد أمر بهم الى النار، أن لايدخلوا .

النوع الرابع: شفاعته صلى الله عليه وسلم فى رفع درجات من يدخل الجنة =

أما الشفاعة الأولى : فيشفع في أهل الموقف ، حتى يقضى بينهم ، بعد أن تتراجع الأنبياء : آدم ونوح وابراهيم وموسى ، وعيسى بن مريم ، عن الشفاعة ، حتى تنتهي اليه .

وأما الشفاعة الثانية : فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، وهاتان الشفاعتان خاصتان له .

وأما الشفاعة الثالثة : فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة له ، ولسائر النبيين ، والصديقين وغيرهم .

فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها .

ويخرج الله تعالى من النار أقواما بغير شفاعة ، بل بفضله ورحمته . ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا ، فينشيء

فيها ، فوق ماكان يقتضيه ثواب أعمالهم ، وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة ، وخالفوا فيما عداها من المقامات ، مع تواتر الأحاديث فيها .

النوع الخامس : شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب .

النوع السادس : شفاعته صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب ، أن يخفف عذابه ، لما رواه مسلم (١/١٩٥ برقم ٣٦٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذُكر عنده أبو طالب فقال : " لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه ، يغلي منه دماغه " .

النوع السابع : شفاعته صلى الله عليه وسلم لجميع المؤمنين قاطبة ، في أن يؤذن لهم في دخول الجنة .

النوع الثامن : شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار ، فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث .

(ابن كثير : النهاية في الفتن ٢/٣١٢ ـ ٣١٥ مع تصرف ، واختصار ، وحذف الأدلة على كل نوع منها . انظر كذلك : القرطبي : التذكرة ١/٣٠٨ ـ ٣٠٩) .

الله لها أقواما فيدخلهم الجنة " ا هـ .

وبعد عرض كلام العلامة بن كمال باشا على كلام مقرر مذهب السلف شيخ الاسلام ابن تيمية يتبين موافقته إياه فى إثباته الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولغيره من الأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين يوم الفزع الأكبر .

٤ ـ العرض ، وأخذ الكتب وقراءتها ، ورأى ابن كمال باشا فيهما :

أ ـ العرض: المراد من العرض هو إظهار الله تعالى أعمال الناس وابرازها ليتعرف صاحبها بذنوبه (١) .

يرى العلامة ابن كمال باشا أن الناس يعرضون على الله تعالى ، بعد النفخة الثانية والحشر فى الموقف ، كما يعرض الجيش على السلطان ليأمرهم . قال فى تفسير قوله تعالى (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) (٢) :

" والسؤال للتوبيخ ، كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده ليعاتبه ، ضمن الوقوف معنى العرض ، ولذلك قال " على ربهم " ، والمعنى : اذ عرضوا على ربهم موقوفين ، وقد أفصح عن هذا المعنى قوله تعالى (وعرضوا على ربك صفا) (٣) ، وقوله تعالى (ولو ترى اذا الظالمون موقوفون عند ربهم) (٤) " . (٥)

(١) ابن حجر : فتح البارى ٤٠٢/١١ . (٢) الأنعام/٣٠ . (٣) الكهف/٤٨ .

(٤) والآية فى نسخة ينى جامع والحرم المكى (اذ المجرمون موقوفون عند ربهم) وهو سبق خاطر من المؤلف ، اذ ليس فى القرآن آية بهذا النص .
سورة سبأ /٣١ .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٦٠/١ (الحرم المكى) .

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى (يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية) (١) : " والعرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة ، شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان ، لالتعرّف أحوالهم كما قيل – لأنه لايناسب المقام ، بل ليأمر فيهم " (٢) . ثم قال :

" وروى أن في القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان : فاعتذار واحتجاج وتوبيخ ، وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب ، فيأخذ الفائز كتابه بيمينه ، والهالك كتابه بشماله " (٣) .

---

(١) الحاقة/١٨ .

(٢) ابن كمال باشا : شرح العشر في معشر الحشر ٧٨ ب ، وتفسيره ٤٣٣ أ .

(٣) أخرجه الترمذي (٤/٦١٧) في كتاب (٣٨) صفة القيامة ، باب (٤) ماجاء في العرض ، حديث رقم ٢٤٢٥ ، عن أبي هريرة وقال : ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة . وقد رواه بعضهم عن علي الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال أبو عيسى : ولايصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى " .

قال الحافظ ابن كثير في " النهاية " ٢/٢٣٢ : "والعجب ان الترمذي روى هذا الحديث عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن علي بن علي ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، فذكر مثله . قال الترمذي : "ولايصح هذا الحديث ... " الى آخر كلامه السابق ذكره ، وقال : "قلت – القائل هو ابن كثير – : الحسن قد روى له البخاري عن أبي هريرة ، وقد وقع في مسند أحمد التصريح بسماعه منه ، والله أعلم .

وقد يكون الحديث عنده عن أبي موسى وأبي هريرة ، والله أعلم .

وأما الحافظ البيهقي فرواه عن طريق مروان الأصفر ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود من قوله مثله سواء . " انتهى كلام ابن كثير رحمه الله .

وأخرجه ابن ماجه (٢/١٤٣٠) في كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٣٣) ذكر البعث ، حديث رقم ٤٢٧٧ ، عن الحسن ، عن أبي موسى الأشعري .

وأخرجه أيضا أحمد (٤/٤١٤) عن أبي موسى ، وأبو بكر بن أبي الدنيا كما في شرح العقيدة الطحاوية ص٤٦٨ ، والنهاية لابن كثير ٢/٢٣١ ، وأبو بكر البزار =

ويدخل في معنى العرض عنده ابراز الأعمال واظهارها ، وتمثلها بصورها وهيئاتها ، فيرى الناس أعمالهم الحسنة والسيئة ، وقد أكد ابن كمال باشا هذا الرأي في مواطن من تفسيره ، ورسالته المتعلقة بتفسير الآيات الواردة في أحوال وأهوال المحشر ..

قال رحمه الله تعالى في تفسير سورة " النازعات " (١) في تفسير قوله تعالى " يوم يتذكر الانسان ما سعى " (٢) : " عند تمثيل الأعمال بصورها وهيئاتها على ما نطقت به الأحاديث ، وسيأتي تفسيره في سورة الزلزلة " .

وقال أيضا مؤكدا هذا الرأي في تفسير قوله تعالى " يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا " (٣) : " واظهار حضور العمل بنفسه من الخير والشر على ما نطق به الخبر عن خير البشر ، فلا يجوز الصرف عنه بلا صارف " (٤).

فما هو التفصيل الذي وعدنا به ابن كمال باشا في تمثل الأعمال ، وما هي الأخبار والأحاديث التي نطقت به ، ودلت عليه . يقول رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى " ووضع الكتاب " صحائف الأعمال في الميزان أو في أيدي العباد .... " فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا " من خير وشر " حاضرا " بوجوده في

عن أبي موسى الأشعري كما في التذكرة للقرطبي ١ / ٣١٢ .

والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١ / ٥٢٧ ،

وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي موسى رضي الله عنه كما في الدر المنثور ٨ / ٢٧١ .

(١) ق / ٢٤ (ب) أحمد الثالث برقم ١٥٤١ . (٢) النازعات / ٣٥ .

(٣) آل عمران / ٣٠ .

(٤) تفسير ابن كمال باشا ١ / ٢١٢ (مكتبة الحرم المكي الشريف ٢٨٠ تفسير) .

الخارج ، على مادل عليه قوله " يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم " (١) ، لا بوجوده فى الكتابة ، لأنه إعادة فى المعنى السابق " ولا يظلم ربك أحدا " (٢) باحضار مالم يعملوا ، ولا بعدم احضار بعض ماعملوا " (٣).

ويقول أيضا فى تفسير قوله تعالى " يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم " (٤) : " نفس العمل يتصور ويرى ، ثم يجزى عليه ، على مادل عليه قوله تعالى " وأن ليس للانسان الا ماسعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى " (٥) . وقد قال المفسرون على وقف ماورد به الآثار فى قوله تعالى " وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم " (٦) : إن المومن إذا خرج من قبره استقبله شئ هو أحسن الأشياء صورة وأطيبها ريحا ، ويقول : أنا عملك الصالح طالما ركبتك فى الدنيا ، فاركبنى اليوم أنت ، فذلك قوله تعالى " يوم نحشر المتقين الى الرحمٰن وفدا " (٧) ، قالوا : ركبانا ، وقد قال النبى عليه السلام : عظموا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم (٨) ـــ

(١) سورة الزلزلة/ ٦ . (٢) سورة الكهف/ ٤٩ .

(٣) تفسير ابن كمال ق ٤٣٣ ب باهمال تفسير بعض أجزاء الآية .

(٤) سورة الزلزلة/ ٦ . (٥) سورة النجم ٣٩ ـ ٤١ .

(٦) سورة الأنعام/ ٣١ . (٧) سورة مريم/ ٨٥ .

(٨) هو الحديث الثالث عشر من أربعين ابن كمال باشا ص ٤٧ ، قال فى تخريجه : ذكره امام الحرمين فى النهاية ـ نهاية المطلب فى دراية المذهب ـ ، وفى اسناد الديلمى عن أبى هريرة رضى الله عنه : " استفرهوا ضحاياكم فانها مطاياكم على الصراط " ... فقوله : " استفرهوا مطاياكم " اطلبوا الجيد منها " اهـ .
قال ابن حجر فى تلخيص الحبير (٤/ ١٣٨) : لم أره ... أخرجه صاحب "مسند الفردوس" من طريق ابن المبارك عن يحى بن عبيد الله بن موهب عن أبيه عن أبى هريرة رفعه "استفرهوا ضحاياكم فانها مطاياكم على الصراط" ويحى =

وأن الكافر اذا خرج من قبره استقبله شيء هو أقبح الأشياء صورة وأخبثها ريحا ، فيقول : أنا عملك الطالح ، طالما ركبتني في الدنيا ، فأنا أركبك اليوم ، فذلك قوله تعالى " وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم "(١) . فالمرئي نفس العمل ، ومن غفل عن هذا صرفه عن ظاهره(٢) ، وقال في تفسير قوله تعالى " ليروا أعمالهم " : جزاء أعمالهم . " فمن يعمل مثقال ذرة " مقدار نملة صغيرة " خيرا يره " أي يرى نفس ذلك العمل الخير ، " ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره "(٣) أي يرى نفس ذلك العمل الشر ، ثم يجعل خير الكافر هباء منثورا ، أي غبارا متفرقا لايمكن جمعه ... فذلك اى إبطال حسناتهم بعد ماراوها ، وتوقعوا منها النفع أشد إيجاعا لهم وإيلاما ، ويغفر شر المجتنب عن الكبائر ، قال الله تعالى " ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم "(٤) ، وذلك ، أي العفو والمغفرة بعد ما رأوا سيئاتهم ، وخافوا عن ضررها أوقع في نفوسهم إفضالا وإنعاما . وكل من لفظي العام في المقامين(٥)

ضعيف جدا " .

وذكره المتقي في " كنز العمال " (٥/ ٨٨) ونسبه للديلمي في " مسند الفردوس " أيضا .

(١) سورة الأنعام/ ٣١ . والحديث أخرجه ابن جرير الطبري من حديث عمرو ابن قيس (جامع البيان ١١/ ٣٢٧) ، وذكره ابن كثير مختصرا عن ابن أبي حاتم (مختصر تفسير ابن كثير ١/ ٥٧٤) ، وكذلك السيوطي في (الدر المنثور ٣/ ٢٦٣) ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم .

(٢) وهم مثل الزمخشري والقاضي البيضاوي ومن حذى حذوهم ...
انظر : ابن كمال باشا : رسالة الفرائد ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(٣) سورة الزلزلة ٧ ـ ٨ . (٤) سورة النساء/ ٣١ .

(٥) اى لفظ " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " ولفظ " ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " في الآيتين .

على طرفة عمومه غير منصرف عن الظاهر المتبادر " (١) .

وهو لايكتفى باثبات إراءة الله تعالى أعمال العباد ، وانما ينتقد كل من يخالف ذلك من الذين يصرفون هذه الألفاظ عن معانيها الظاهرة ، ويزعمون أن المرئى : جزاء العمل ، لانفسه ، فيقول : " ومن زعم أن المرئى جزاء العمل ، لانفسه ، وقال : لعل حسنة الكافر ، وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص الثواب والعقاب ، فقد رسا على كند الخطأ (٢) فى كل من مقامى كلامه .

أما فى الأول : فلأنه خالف فيه نص الكتاب الدال على حبوط خير الكافر ، وعلى أن لاأثر له فى الآخرة ، حيث كان هباء منثورا ، وشبه بالتراب فى عدم النفع به ، لامن جهة الافضاء الى الثواب ، ولا من جهة الانجاء من شدة العقاب .
وقوله تعالى " والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها " (٣) صريح فى أنه ليس لهم تخفيف العذاب ...

وأما فى الثانى : فلأنه خالف فيه نص الحديث الصحيح ، وهو ماروى أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه يتغديان ، اذ أنزلت عليه هذه الآية - أعنى قوله تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة " الآية - فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عن الطعام ، ثم قال : من عمل منكم خيرا فى الدنيا يُره جزاءه فى الآخرة ، ومن عمل

(١) ابن كمال باشا : شرح العشر فى معشر الحشر ق ٨٠ (ب) .
(٢)
(٣) سورة فاطر/ ٣٦ .

منكم شرا يسره فى الدنيا مصيبات وأمراضا ، ومن يك فيه مثقال ذرة من خير يدخل الجنة" (١) . والحديث مذكور فى التيسير (٢) .

وفى حديث آخر: " ما أصاب المؤمن من مكروه ، فهو كفارة لخطاياه ، حتى نخبة النملة" (٣) ، وهى عضها .

وفى حديث آخر: " ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها ، الا كتبت له بها درجة ، ومحيت عنه بها خطيئة" (٤) والحديثان مذكوران فى تفسير سورة البقرة من الكشاف .

بل خالف فيه نص الكتاب ، وهو قوله تعالى " ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم" (٥) ، فانه صريح فى أن سيئة مجتنب الكبائر لاتؤثر فى نقص الثواب ، إذ لو كانت مؤثرة فيه يلزم ان لاتكون مكفرة ، وهو خلاف مدلول النص" (٦) .

(١) والحديث أخرجه ابن مردويه ، كما ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٨/ ٥٩٤ ، وله شاهد من حديث أنس أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى فى شعب الايمان ، وابن أبى حاتم وابن جرير (٣٠/ ١٧٣) ، وجماعة" (السيوطى : الدر المنثور ٨/ ٥٩٣ ، الهيثمى : مجمع الزوائد ٧/ ١٤٤) .

(٢) التيسير فى التفسير لأبى حفص عمر بن محمد النسفى (ت ٥٣٧هـ) ق/ ٥٠٦ أ . (مكتبة ولى الدين جار الله برقم ١٤٠ تفسير ، وعنه ميكروفلم بمركز البحث العلمى برقم ٩٥٥ تفسير) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر فى " الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف" ص٦ : " لم أجده . وأصل الحديث دون ما فى آخره مروى بطرق كثيرة " .

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩١) فى كتاب (٤٥) البر والصلة ، باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض ... رقم ٢٥٧٢ ، والامام أحمد ٦/ ٤٣ ، ١٧٥ .

(٥) سورة النساء/ ٣١ .

(٦) ابن كمال باشا : شرح العشر فى معشر الحشر ق/ ٨٠ ب ـ ٨١ (أ) .

ـ تعقيب على رأى ابن كمال باشا ـ

ان الناس يعرضون على الله تعالى ، ويطلعون على أعمالهم خيرا كانت أو شرا ، وذلك حق ، دل عليه الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف .

وأما دليل العرض من الكتاب علاوة على ماذكره ابن كمال باشا فهو قوله تعالى " وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا " (١) وقوله تعالى " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار " (٢) .. فهذه الآيات تدل دلالة قاطعة على العرض على الله تعالى يوم القيامة ..

وأما أدلته من السنة فهى كثيرة : منها ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك ، فقلت : يا رسول الله ! اليس قد قال الله تعالى " فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " (٣) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة الا عُذب " (٤) .

---

(١) الكهف/٤٨ . (٢) ابراهيم/٤٨ . (٣) الانشقاق ٧ ـ ٨ .

(٤) البخارى (فتح ١١/٤٠٠) فى كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٩) من نوقش الحساب عذب ، حديث رقم ٦٥٣٧ .

ومسلم (٤/٢٢٠٤) فى كتاب (٥١) الجنة ، باب (١٨) اثبات الحساب ، حديث رقم/٢٨٧٦

وأبو داود (٣/٤٧١) فى كتاب (١٥) الجنائز ، باب (٣) عيادة النساء ، ٣٠٩٣ ،

والترمذى (٤/٦١٧) فى كتاب (٣٨) صفة القيامة ، باب (٥) من نوقش الحساب عذب ، حديث رقم/٢٤٢٦ .

وأحمد ٦/٤٧ .

ومنها أيضا ما أخرجه الشيخان عن عدى بن أبى حاتم رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مامنكم من أحد الا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان ، ثم ينظر فلا يرى شيئا قُدَّامه ، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة " (١).

وهناك أحاديث كثيرة تدل على العرض على الله تعالى يوم القيامة ، ذكرها الامام القرطبى فى التذكرة (٢) ، والحافظ ابن كثير فى النهاية فى الفتن (٣).

قال الامام الشوكانى : " وليس ذلك العرض عليه سبحانه ليعلم به ما لم يكن عالما به ، وانما هو عرض الاختبار والتوبيخ بالأعمال (٤) ".

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : " تعرضون على عالم السر والنجوى ، الذى لايخفى عليه شىء من أموركم ، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والأعمال " (٥).

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : " حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فانه أخف

(١) البخارى (فتح ١١/ ٤٠٠) فى كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٩) من نوقش الحساب عذب ، برقم/ ٦٥٣٩ ، وفى التوحيد ، برقم ٧٤٤٣.
ومسلم (٢/ ٧٠٣) فى كتاب (١٢) الزكاة ، باب (٢٠) الحث على الصدقة ولو بشق تمرة .. ، برقم ١٠١٦ ،
والترمذى (٤/ ٦١١) فى كتاب (٣٨) صفة القيامة والرقائق والورع ، باب (١) فى القيامة ، حديث رقم ٢٤١٥ وقال : حسن صحيح .
(٢) ١/ ٢٧٠ـ ٢٧٤ . (٣) ٢/ ٢٣٠ـ ٢٣١ . وانظر كذلك شرح الطحاوية ٤٦٥ـ ٤٦٦ .
(٤) فتح القدير ٥/ ٢٨٢ . (٥) مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٤٣ .

عليكم فى الحساب غدا ، وتزينوا للعرض الأكبر " (١) .

وأما ماذهب اليه ابن كمال باشا من أن الأعمال كلها خيرها وشرها سوف يحضرها الله تعالى يوم القيامة ،ويُرِيها صاحبَها فهو كذلك مدلول الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وقول أئمة السلف رضى الله عنهم ..

أما الآيات القرآنية فقد ذكرها ابن كمال باشا وفسرها أحسن تفسير.

وأما الأحاديث النبوية الشريفة التى تدل على تمثل الأعمال يوم القيامة بصور حسنة أو سيئة ورؤية صاحبها إياها (٢) :

فمنها ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى أمامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اقرأوا القرآن، فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران ، فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أوكأنهما غيايتان (٣) ، أوكأنهما فِرْقان من طير صوافّ تُحَاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فان أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولايستطيعها البطلة (٤) " (٥) .

ومنها أيضا ماأخرجه البيهقى وغيره من حديث طويل فى

---

(١) القرطبى :التذكرة ١/ ٣١١، ابن كثير :مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٤٣ .

(٢) انظر هذا الموضوع عند ابن قيم الجوزية :فى حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ٢٠١ـ ٢٠٢

(٣) الغمامة والغياية كل شىء أظل الانسان فوق رأسه.

(٤) البطلة: السحرة .

(٥) مسلم (١/ ٥٥٣)فى كتاب (٦)صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٤٢)فضل قراءة القرآن و سورة البقرة ، حديث رقم/ ٨٠٤ .

عذاب القبر عن البراء بن عازب ، وفيه " ... ويمثل له - اى للمؤمن - عمله فى صورة رجل ، حسن الوجه ، طيب الريح ، حسن الثياب ، فيقول : ابشر بما أعد الله لك ، ابشر برضوان من الله ، وجنات فيها نعيم مقيم ، فيقول : بشرك الله بخير ، من أنت ، فوجهك الذى جاء بالخير ؟ فيقول : هذا يومك الذى كنت توعد ، أنا عملك الصالح ، فوالله ماعلمتك الا كنت سريعا فى طاعة الله ، بطيئا عن معصيته ، فجزاك الله خيرا ... " وفى حق الكافر " ... ويتمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه ، منتن الريح ، قبيح الثياب ، فيقول : أبشر بعذاب الله وسخطه ! فيقول : من أنت ، فوجهك الوجه الذى جاء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث ، والله ماعلمتك الا كنت بطيئا فى طاعة الله ، سريعا فى معصيته ... " (١).

ومنها أيضا ما أخرجه ابن أبى شيبة (٢) ، وابن الضريس عن كعب انه قال : " يمثل القرآن لمن كان يعمل به فى الدنيا يوم القيامة كأحسن صورة رآها ، وأحسنها وجها ، وأطيبها ريحا ، فيقوم بجنب صاحبه ، فكلما جاءه روع هدأ روعه وسكنه وبسط له أمله ، فيقول له : جزاك الله خيرا من صاحب ، فما أحسن صورتك ، وأطيب ريحك ،

---

(١) أخرجه البيهقى فى عذاب القبر ص ٣٥ - ٣٩ وقال : هذا حديث كبير صحيح الاسناد رواه جماعة من الائمة الثقات عن الأعمش" .

وأخرجه أبو داود (٥ / ١١٤) فى كتاب (٣٤) السنة ، باب (٢٧) فى المسألة فى القبر وعذاب القبر ، رقم ٤٥٧٣ ،

وأحمد ٤ / ٢٨٧ ورجاله رجال الصحاح (مجمع الزوائد ٣ / ٥٢) ،

والحاكم فى المستدرك ١ / ٣٧ - ٣٨ .

(٢) المصنف ١٠ / ٤٩٣ - ٤٩٥ حديث رقم ١٠٠٩٥ .

فيقول له: أما تعرفني ؟ تعال اركبني ، فطالما ركبتك في الدنيا ، أنا عملك ، إن عملك كان حسنا ، فترى صورتي حسنة ، وكان طيبا فترى ريحي طيبة ، فيحمله فيوافي به الرب تبارك وتعالى ، فيقول : يارب - وهو أعرف به منه - قد شغلته في أيامه في حياته في الدنيا ، أظمأت نهاره وأسهرت ليله ، فشفعني فيه ، فيوضع تاج الملك على رأسه يكسى حلة الملك ، فيقول: يارب قد كنت أرغب له عن هذا ، وأرجو له منك أفضل من هذا ، فيعطى الخلد بيمينه والنعمة بشماله ، فيقول : يارب إن كل تاجر قد دخل على أمله من تجارته ، فيشفع في أقاربه . وإن كان كافرا مثل له عمله في أقبح صورة رآها وأنتنها ، فكلما جاءه روع زاده روعا فيقول : قبحك الله من صاحب ، فما أقبح صورتك وما أنتن ريحك ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أما تعرفني ؟ أنا عملك ، ان عملك كان قبيحا فترى صورتي قبيحة ، وكان منتنا فترى ريحي منتنة ، فيقول : تعال أركبك ، فطالما ركبتني في الدنيا ، فيركبه ، فيوافي بطالله ، فلا يقيم له وزنا " (١) .

ومنها أيضا ما أخرجه القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد الأستوائي (ت ٤٣٢هـ) (٢) ، وابن عبد البر (٣) (واللفظ له) عن ابراهيم النخعي في قوله تعالى : " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " (٤) ، قال : يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه يوم القيامة ، فيخف ، فيجاء بشيء أمثال الغمام أوقال مثل السحاب فيوضع في

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٤٦٦ . وهذا الحديث يؤيد ماذكره ابن كمال باشا في تفسير الآية " وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم " .

(٢) كتاب الاعتقاد ، ق / ٥٠ ب .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٤٦ ، القرطبي :التذكرة ١ / ٣٨٧ ، ابن كثير : النهاية في الفتن ١ / ٢٢٨ .

(٤) الأنبياء / ٤٧ .

كفة ميزانه فيرجح ، فيقال له : أتدرى ما هذا ؟ فيقول : لا ، فيقال له : هذا فضل العلم الذى كنت تعلمه الناس ، أو نحو هذا " .

وهذه الأحاديث وأشباهها تدل دلالة قاطعة على ان الأعمال تتمثل بصور حسنة أو سيئة فيراها أصحابها يوم القيامة ...

وهو ما ذهب اليه ترجمان القرآن ، حبر هذه الأمة ابن عباس رضى الله عنهما .

فقد أخرج ابن جرير [١] ، وابن المنذر ، والبيهقى [٢] عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " [٣] قال : ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا فى الدنيا الا أراه الله إياه ، فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته ، فيغفر له من سيئاته ويثيبه بحسناته ، وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته فيرد عليه حسناته ، ويعذبه بسيئاته " [٤].

وهو كذلك رأى ابن جرير الطبرى امام المفسرين فى تفسيره [٥] .

فما الحكمة من رؤية الناس أعمالهم يوم القيامة واطلاعهم عليها ؟

لقد أشار الى ذلك العلامة ابن كمال باشا بقوله " وذلك اى إبطال حسناتهم بعد ما رأوها - يعنى الكفار - وتوقعوا منها النفع أشد إيجاعا لهم وإيلاما ... وذلك أى العفو والمغفرة بعد ما رأوا - يعنى

(١) جامع البيان ١٧٣/٣٠ ، مع تصحيح بعض ألفاظه .

(٢) كتاب البعث والنشور ص ٨٢ . (٣) الزلزلة/٧ .

(٤) أورده كذلك السيوطى فى الدر المنثور ٥٩٥/٨ .

(٥) انظر رأيه بالتفصيل : جامع البيان ١٧٣/٣٠ ، ٤٤/٢٧ .

المؤمنين - سيئاتهم وخافوا عن ضررها أوقع في نفوسهم إفضالا وإنعاما " (١) .

ويقول البقاعي في تفسيره: " الكافر يوقف على ماعمله من خير، على أنه جوزى به في الدنيا ، أو أنه أحبط لبنائه على غير أساس الايمان ، فهو صورة بلا معنى ، ليشتد ندمه ، ويقوى حزنه وأسفه ، والمؤمن يراه ليشتد سروره به ، وفي جانب الشر يراه المؤمن ويعلم انه قد غفر له ، فيكمل فرحه ، والكافر يراه فيشتد حزنه وترحه " (٢) .

ب - أخذ الكتب وقراءتها :

المراد من الكتب : الكتب التي كتبتها الملائكة وأحصوا مافعله كل إنسان من سائر أعماله في الدنيا القولية والفعلية (٣) .

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن كل جماعة يدعون في الموقف بإمامهم الذي اتبعوه في الدنيا من نبي أو زعيم أوكتاب ، ليعطى كل واحد من المدعوين كتاب عمله . قال في تفسير قوله تعالى " يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم " (٤) : " يدعى كل جماعة من الانس بمن

(١) شرح العشر في معشر الحشر ق / ٨٠ ب .

(٢) الصابوني :تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٤/ ٥٨٥-٥٨٦ ، وانظر في ذلك أيضا :النيسابوري : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٧/ ٥٣ (بهامش الطبري) .

(٣) السفاريني :لوامع الانوار ٢ / ١٨٠ ، البيجوري: تحفة المريد ١٧٧ .

(٤) الاسراء/ ٧١ .

ائتموا به من نبى أومقدم فى الدين أوكتاب ، أودين. قال الامام القرطبى [١] : وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى " يوم ندعو كل أناس بإمامهم " فقال : كل يدعى بإمام زمانهم ، وكتاب ربهم ، وسنة نبيهم [٢] ، فيقول : هاتوا متبعى ابراهيم ، هاتوا متبعى موسى ، هاتوا متبعى عيسى عليهم السلام ، هاتوا متبعى الشيطان ، هاتوا متبعى رؤساء الضلالة ، إمامُ هدى وإمام ضلالة " [٣].

ثم قال فى قوله تعالى (فمن أوتى كتابه) : " كتاب عمله ، وفيه دلالة على أن الدعوة المذكورة لإعطاء كل من المدعوين كتاب عمله ، فالفاء للتعقيب ... (فأولئك يقرأون كتابهم) لكمال صحوهم ووفور عقلهم ، والذين يؤتون كتابهم بشمالهم فهم لتحيرهم وتردد هم لايقرأون كتابهم ، وأشار اليه فى قوله (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) [٤] حيث لم يذكر القراءة فيه. ويؤيد هذه الإشارة تعليق القراءة على إتيان الكتاب باليمين ، وفى قوله " ياليتنى " دلالة ظاهرة على انطلاق لسانهم وعدم احتباسها عن التكلم ، وتعليق القراءة باتيان الكتب باليمين يدل على من أوتى كتابه بشماله اذا اطلع على مافيه غشيهم من الخجل والحيرة حبست ألسنتهم عن القراءة [٥] ، ولذلك لم يذكرهم " [٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٩٧ ، وانظر كذلك : السيوطى : الدر المنثور ٥/٣١٦–٣١٧ .

(٢) أخرجه ابن مرديه عن على رضى الله عنه مرفوعا كما فى الدر المنثور ٥/٣١٧ .

(٣) ابن كمال باشا : شرح العشر ٨٢أ ، وتفسيره ٤٢١أ (دار الكتب) ، وقد جمع ابن كمال باشا الآثار المروية عن الصحابة والتابعين فى تفسير الآية وساقها دون عزو الى أصحابها .

(٤) الحاقة/٢٥ .

(٥) اى عن القراءة الكاملة : انظر فى ذلك : السفارينى : لوامع الأنوار ٢/١٨١ .

(٦) ابن كمال باشا : شرح العشر ٨٢ب ، وتفسيره ٤٢١ب .

ويرى ابن كمال باشا أن الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم ، وقارئهم وأميهم يقرأون كتبهم و يطلعون على ما فيها حيث يقول : " وان شئت زيادة تحقيق فى أن كل أحد مؤمنا كان أو كافرا ، قارئا كان أو أميا يقرأ كتابه يوم القيامة فاسمع ما نتلو عليك ، قال الله تعالى : " وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا " اى هيكلا مصورا بصور أعماله ، "يلقاه منشورا" لظهور تلك الهيئات فيه بالفعل مفصلة ، لا منطوية ، كما كانت قبل ذلك عند كونها فيه بالقوة ، " اقرأ كتابك " (١) على إرادة القول ، فيقرأ قارئا كان أو غير قارئ ، لأن الأعمال هناك متمثلة بصورها وهيئاتها ، فيعرف كل أحد لا على سبيل الكتابة بالحروف فلا يعرفها الأمى ، وهذا وجه ما روى عن قتادة (٢) : يقرأ ذلك اليوم من لم يكن فى الدنيا قارئا . " (٣)

---

(١) الاسراء/ ١٣ ـ ١٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير فى جامع البيان (١٥/ ٤١) وابن أبى حاتم كذلك (السيوطى : الدر المنثور ٥/ ٢٥٠) .

وقال الحسن أيضا : يقرأ الانسان كتابه أميا أو غير أمى (القرطبى :التذكرة ١/ ٣١٥) .

(٣) ابن كمال باشا : شرح العشر ق ٨٢ ب بشئ من الاختصار ، وتفسيره ٤١٤ (أ) .

ـ تحليل ونقد ـ

ان نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع ، ومن أنكره كفر ..

وأما الكتاب فقوله تعالى " واذا الصحف نشرت "(١)، قال الثعلبى : اى التى فيها أعمال بنى آدم ، نشرت للحساب(٢)، وقوله تعالى " فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب الى أهله مسرورا ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا "(٣). وقوله تعالى " وأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه "(٤).

فهذه الآيات الكريمات والتى ذكرها ابن كمال باشا من قبل تدل دلالة ظاهرة على أن العباد يعطون كتبهم التى كتبتها الحفظة الكرام الكاتبون فى الدنيا ، ويطلعون على مافيها ، ويقرأونها ، " وقراءة الكتب بين يدى الله تعالى فى الموقف حق ثابت ، لقوله تعالى " اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (٥) " (٦) .

وأما الأحاديث التى دلت على أخذ الكتب وقراءتها فقد سبق منها فى عرض الأعمال على الله تعالى " ... وأما الثالثة ـ اى العرضة الثالثة ـ ففيها تنشر الكتب ، فيأخذ الفائز كتابه بيمينه ، والهالك كتابه بشماله "(٧).

---

(١) التكوير/١٠ . (٢) السفارينى : لوامع الأسرار ٢/١٨٠ .
(٣) الانشقاق ٧ ـ ١٢ . (٤) الحاقة/١٩ .
(٥) الاسراء/١٤ . (٦) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ١٣ .
(٧) جزء من الحديث الذى قد سبق تخريجه .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت النار فبكت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مايبكيك ؟ قالت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا ، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل ، وعند الكتاب حين يقال (هاؤم اقرأوا كتابيه) (١) حتى يعلم أين يقع كتابه ، أفى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره ، وعند الصراط اذا وضع بين ظهرى جهنم " (٢).

وعنها أيضا أنها قالت : يارسول الله ، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ قال : أما فى مواطن ثلاثة فلا ، الكتاب ، والميزان ، والصراط " (٣).

أخرج الترمذى وحسنه (٤) ، والبزار وابن أبى حاتم وابن حبان (٥) والحاكم وصححه وابن مردويه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله " يوم ندعوا كل أناس بإمامهم " (٦) ، قال : يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ، ويمد له فى جسمه ستون ذراعا ، ويبيض وجهه ، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ ، فينطلق الى أصحابه ، فيرونه من بعيد فيقولون : اللهم ائتنا بهذا ، وبارك

(١) الحاقة/١٩ .

(٢) أخرجه أبو داود (٥/٦١٦) فى كتاب (٣٤) السنة ، باب (٢٨) فى ذكر الميزان ، رقم الحديث ٤٧٥٥ .

وأحمد مطولا ٦/١١٠ ، وفى سنده ابن لهيعة وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٠/٣٦٢) .

(٣) أخرجه أحمد ٦/١٠١ .

(٤) الترمذى (٥/٣٠٢) فى كتاب (٤٨) التفسير ، باب (١٨) ومن سورة بنى اسرائيل ، رقم الحديث/٣١٣٦ .

(٥) الموارد ص٦٤١ـ ٦٤٢ . (٦) الاسراء/٧١ .

لنا في هذا ، حتى يأتيهم فيقول : أبشروا ، لكل رجل منكم مثل هذا . قال : أما الكافر ، فيسود وجهه ، ويمد له في جسمه ستون ذراعا على صورة آدم ، فيلبس تاجا ، فيراه أصحابه ، فيقولون : نعوذ بالله من شر هذا ، اللهم لاتأتنا بهذا ، قال : فيأتيهم فيقولون : اللهم أخْزِه ، فيقول : أبعدكم الله ، وان لكل رجل منكم مثل هذا" (١).

فنقول بعد عرض رأى ابن كمال باشا، في أخذ الصحف وقراءتها على الآيات الكريمة والأحاديث النبوية : انه تمسك بمذهب السلف فيه حيث إنهم يؤمنون بأخذ العباد صحائفهم وكتبهم من غير تأويل (٢).

٥ - الحساب:

المراد من الحساب: توقيف الله تعالى العباد ، قبل الانصراف من المحشر ، على أعمالهم وأقوالهم واعتقاداتهم ، خيرا كانت أو شرا ، تفصيلا (٣) ، وذلك بعد أخذ كتبهم (٤) ، في العرضة الثالثة على الله تعالى ، كما سبق بيانه ..

رأيه في الحساب:

وذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن الله تعالى يعرّف عباده بأعمالهم العلانية والسرية ، ويقررهم بها ، ثم يغفر لمن يشاء ،

(١) انظر كذلك :السيوطي :الدر المنثور ٥/٣١٧ .

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٣/١٤٦ .

(٣) السفاريني : لوامع الأنوار ٢/١٧١-١٧٢ ، الشيخ بخيت :القول المفيد / ٦٤ .

(٤) القرطبي :التذكرة ١/٣١٥ ، السفاريني :لوامع الأنوار ٢/١٧٣ .

ويعذب من يشاء ، وهذا حق ثابت لامحالة " .

قال في تفسير قوله تعالى " وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله "(١) راويا عن الحسن أنه " قال : ليس يعاقب الله تعالى عبدا ، يوم القيامة ، أسرّ عملا أو أعلنه ، من حركة جوارحه ، أو هم في قلبه ، دون أن يعرّفه إياه يوم القيامة حتى يقرّر، ثم يغفر مايشاء لمن يشاء ، ويعذب من يشاء بما شاء (فيغفر لمن يشاء) من أهل المغفرة ، (ويعذب من يشاء) من أهل العقوبة ، وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب. وفي الآية دلالة على وقوع الحساب ، فتكون حجة على من أنكره من المعتزلة والروافض " (٢).

سؤال الرسل ومن أرسل اليهم :

ويرى ابن كمال باشا ان السؤال عام للمكلفين من الإنس والجن ، والرسل ومن أرسل اليهم ، قال في تفسير قوله تعالى (فلنسئلن) اى يجمعن الخلائق ، فلنسئلن (الذين أرسل اليهم) هم الأمم ، عما أجابوا به الرسل ، لقوله تعالى " ماذا أجبتم المرسلين " (٣) ، والمراد به التوبيخ والتقريع ، لا الاستخبار ولا التقرير ، لقوله تعالى " فعميت عليهم الأنباء يومئذ " (٤) (ولنسئلن المرسلين) (٥) عما أجيبوا به ، لقوله تعالى " يوم يجمع الله الرسل فيقول : ماذا أُجبتم ؟ " (٦) ، والمنفي في قوله تعالى " ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون " (٧) السؤال

(١) البقرة/ ٢٨٤ .
(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٣٣ ب .
(٣) القصص/ ٦٥ .
(٤) القصص/ ٦٦ .
(٥) الأعراف/ ٦ .
(٦) المائدة / ١٠٩ .
(٧) القصص/ ٧٨ .

عن الذنب ، لامطلق السؤال ، فلا ينافي هذا ، حتى يحتاج الى التوفيق بالاختلاف في الأوقات [١] ، أو في معنى السؤال " [٢] .

وهناك بون شاسع بين سؤال الفريق الأول وهم الأمم حيث ان سؤالهم سؤال تعنيف وتعذيب ، وبين سؤال الفريق الثاني ، اذ سؤالهم سؤال تشريف وتكريم [٣] .

وأما نفي السؤال الوارد في بعض الآيات فهو بمعنى استفسار واستخبار - مثل قوله تعالى " فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولاجان " [٤] فلا ينافي ذلك قوله تعالى " أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما " [٥] لأنه سؤال توبيخ وتقرير ، لاسؤال استفسار واستخبار [٦] ... ثم ان النفي المذكور لاينافي مافي بعض الآيات من إثبات السؤال ، لانه سؤال عن الباعث على الذنب نفسه . قال ابن عباس رضي الله عنه : لايسألون هل عملتم كذا وكذا ، بل يسألون لم عملتم كذا " [٧] ، وهو التوفيق بين قوله تعالى " فوربك لنسألنهم " [٨] وبين هذه الآية " [٩] اي " فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولاجان " [١٠] .

---

(١) مثل القرطبي حيث يقول في التذكرة ١ / ٣٥١ : "القيامة مواطن ، فموطن يكون فيه سؤال وكلام ، وموطن لايكون ذلك ، فلاتتناقض الآي والأخبار " وأبي السعود في تفسيره ٨ / ١٨٢ .

(٢) ابن كمال باشا : شرح العشر ٨٣ أ .

(٣) ابن كمال باشا :تفسيره ٢٣٣ ب .

(٤) الرحمن / ٣٩ . (٥) النمل / ٨٤ .

(٦) قال ابن عباس :حيث ذكر السؤال فهو سؤال توبيخ وتقرير ، وحيث نفي فهو استخبار محض عن الذنب . (الالوسي : روح المعاني ٢٧ / ١١٤) .

(٧) الطبري : جامع البيان ١٤ / ٤٦ ، القرطبي :التذكرة ١ / ٣٥١ ، ابن كثير :تفسيره (المختصر) ٣ / ٤٢٠ .

(٨) الحجر / ٩٢ . (٩) ابن كمال باشا :شرح العشر ٨٣ أ ، وكذلك :رسالة الفرائد ص ٢٧٨ .

(١٠) الرحمن / ٣٩ .

" وأما عدم السؤال عن الذنب فلعدم الحاجة اليه ، لا بالنظر الى السائل ، وذلك ظاهر ، ولا بالنظر الى الحاضرين إظهارا لاستحقاق المذنبين بالجزاء الموعود لهم ، لظهور الذنب أيضا .

وحينئذ دل على ذلك ماذكره صاحب التيسير فى تفسير قوله تعالى " يومئذ تحدث أخبارها "(١) روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ هذه الآية فقال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها كذا وكذا ، فى يوم كذا وكذا ، فهذه أخبارها "(٢). وقال مقاتل : تخبر بما عمل عليها ، تقول للمؤمن : وحد الله علىّ ، وصلى علىّ ، وصام وحج وزكى ، وتقول للكافر : كفر علىّ ، وأشرك وزنى وسرق ، حتى ود الكافر انه سبق الى النار .

وماذكره فى تفسير قوله تعالى " وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم "(٣) من أن الكافر اذا خرج عن قبره استقبله شىء هو أقبح الأشياء صورة ، وأخبثها ريحا ، فيقول : أنا عملك الفاسد ، طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا أركبك اليوم (٤).

وشهادة الأعضاء ، والجلود على مانطق به نص الكتاب أصدق خبر فى هذا الباب "(٥).

---

(١) الزلزلة/ ٤ .

(٢) أخرج الترمذى (٥/ ٤٤٦) فى كتاب (٤٨) تفسير القرآن ، باب (٨٨) (ومن سورة اذا زلزلت) حديث رقم/ ٣٣٥٣ وقال : حديث حسن صحيح .
وابن حبان فى صحيحه (الموارد ص ٦٤١) .

(٣) الأنعام/ ٣١ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) ابن كمال باشا : شرح العشر ٨٣ أ ــ ب . قال الله تعالى فى شهادة الأعضاء :
" ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون ، حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم =

ويرى أيضا ان الله سبحانه وتعالى يحشر الخلائق من الدواب والطير ، فينصف بعضها من بعض ، وأنه يأخذ للجماء من القرناء[1]، ثم يصير البهائم ترابا فيود الكافر حالها[2].

هذا ، وان قدرة الله تعالى تتسع لمحاسبة الخلق كلهم معا ، كما تتسع قدرته لاحداث خلائق كثيرة معا . قال تعالى " والله سريع الحساب "[3] : اى سريع حسابه للخلائق مع كثرة أعدادهم وأعمالهم لكمال علمه وقدرته ، ولأنه لايحتاج الى عدد وعقد ، ولايشغله حساب عن حساب ، ولالبث فى السؤال والجواب[4].

ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه : وسئل عن محاسبة الخلق ؟ فقال : كما يرزقهم فى غداة واحدة ، كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة[5].

سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا : لجلودهم لما شهدتم علينا ، قالوا انطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون " (فصلت ١٩ ـ ٢١) وقال تعالى " اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون " (يس/ ٦٥) وقال تعالى " يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون " (النور/ ٢٤).

(١) أخرج مسلم (٤/ ١٩٩٧) فى كتاب (٤٥) البر ، باب (١٥) تحريم الظلم برقم ٢٥٨٢ ، والترمذى (٤/ ٦١٤) فى كتاب (٣٨) صفة القيامة ، باب (٢) ماجاء فى شأن الحساب والقصاص ، برقم ٢٤٢٠ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لَتُؤَدُّن الحقوق الى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء" .

(٢) ابن كمال باشا : تفسير سورة النبأ ص ٤٠ (ضمن رسائله) ، وتفسيره ١/ ٣٦٤ (الحرم).

(٣) البقرة/ ٢٠٢ ، النور/ ٣٩ .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ١/ ١٤٧ ، ٣٧٢ ، و ٥٠٤ ب .

(٥) القرطبى : التذكرة ١/ ٢٧٩ .

ـ نــــــــقـــــــــد ـ

ان الحساب ثابت بالكتاب والسنة واجماع أهل الحق بلا ارتياب (١).

وأما أدلته من الكتاب فقد ذكرها صاحبنا العلامة ابن كمال باشاء وبينها على أحسن وجه وأبينه.

وأما الأحاديث الدالة على الحساب يوم القيامة فكثيرة:

منها ما أخرجه الترمذي عن أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه " (٢).

وقال: حسن صحيح.

ومنها ما أخرجه الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، وقد سبقت الإشارة اليه عند الكلام عن عرض الأعمال على الله تعالى (٣).

ومنها ما أخرجه البخاري وغيره عن صفوان بن محرز المازني قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده، اذ عرض رجل فقال: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب

---

(١) السفاريني: لوامع الأنوار ٢/١٧١.

(٢) الترمذي (٤/٦١٢) في كتاب (٣٨) صفة القيامة، باب (١) في القيامة، رقم الحديث ٢٤١٧.

(٣) ص / ٥٨٦.

كذا ، أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أى رب ، حتى اذا قرّره بذنوبه ، ورأى فى نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته ، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد : (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) (١) " (هود / ١٨) .

فان الناس متفاوتون فى السؤال والحساب ، فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا بلا مناقشة ولاتشديد ، وانما تعرض عليهم أعمالهم، ثم ان الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم كما بينه حديث عائشة و صفوان بن محرز المازنى السابق ذكرهما ..

ومنهم من يحاسب حسابا عسيرا ، مناقشة وتدقيقا ، فهؤلاء لابد أن يهلكوا أو يعذّبوا كما ورد أيضا فى الحديثين السابقين ، وفى قوله تعالى " فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير " (٢).

ومنهم من يدخل الجنة بغير حساب كما ورد فى الأحاديث الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، وعموم الآيات الكريمة مخصوص بأحاديث من يدخل الجنة بغير حساب " (٤) .

(١) البخارى (الفتح ٥ / ٩٦) فى كتاب (٤٦) المظالم ، باب (٢) قول الله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) ، حديث رقم ٢٤٤١ ، وأيضا برقم ٧٥١٤ .
وابن ماجه (١ / ٦٥) فى المقدمة ، باب (١٣) فيما أنكرت الجهمية ، برقم ١٨٣ .
والإمام أحمد ٢ / ٧٤ ، ١٠٥ .

(٢) المدثر ٨ ــ ١٠ .

(٣) انظر الأحاديث الواردة فى ذلك : ابن كثير : النهاية فى الفتن ٢ / ٢٥٣ ــ ٢٦٠ ، ٤١٢ ــ ٤١٣ ، القرطبى : التذكرة ٢ / ٢٣ ــ ٢٨ ، البخارى (الفتح) ١١ / ٤٠٥ ــ ٤٠٦ ، مسلم ١ / ١٩٧ ــ ٢٠٠ .

(٤) السفارينى : لوامع الأنوار ٢ / ١٧٥ .

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف (شك في أحدهما) - متماسكين ، آخذ بعضهم ببعض ، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر " (١) واللفظ للبخاري .

هذا ، وقد سلك العلامة ابن كمال باشا مذهب ابن عباس رضي الله عنهما في التوفيق بين الآيات المثبتة للسؤال ، اذ هو سؤال توبيخ وتقريع ، وسؤال عن الباعث على الذنب ، وبين الآيات النافية له ، اذ المنفي سؤال استخبار واستفسار ، وسؤال عن الذنوب نفسها ، ولا داعي الى السؤال عنها ، لأن الأعمال يوم القيامة متصورة ومتمثلة كما سبق رأيه مفصلا في عرض الأعمال على الله تعالى ، وأن الشهود من الأرض ، وأعضاء الإنسان تشهد على مافعله العبد في الدنيا ، وذلك عند الانكار ، وأن الله تعالى " يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور " (٢) و " يعلم السر وأخفى " (٣) .

يقول امام المفسرين الطبري في جامع البيان (٤) في معرض التوفيق بين الآيات : " فأما الذي هو عن الله منفي من مسألته خلقه ، فالمسألة التي هي مسألة استرشاد واستثبات فيما لايعلمه السائل عنها ويعلمه المسئول ، ليعلم السائل علم ذلك من قبله ،

---

(١) البخاري (الفتح ٤٠٦/١١) في كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٥٠) يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ، رقم/ ٦٥٤٣ .

مسلم (١٩٧/١) في كتاب (١) الايمان ، باب (٩٤) الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، رقم/ ٣٧٣ .

(٢) غافر/ ١٩ .　　　(٣) طه/ ٧ .

(٤) ٣٠٨/١٢ (ط . محمود شاكر).

فذلك غير جائز أن يوصف الله به ، لأنه العالم بالأشياء كلها قبل كونها ، وفي حال كونها ، وبعد كونها ، وهي المسألة التي نفاها جل ثناؤه عن نفسه بقوله " فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولاجان " (١) ، وبقوله " ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون " (٢)، يعني لايسأل عن ذلك أحد منهم مسألة إستثبات ، ليعلم علم ذلك مِن قبل مَن سأل منه ، لأنه العالم بذلك كله ، وبكل شيء غيره " .

٦ ـ الميزان والوزن :

الوزن في اللغة " وضع الشيء بإزاء المعيار بما يظهر منزلته منه في ثقل المقدار الى الزيادة .

وفي الشرع : " هو عبارة عما يعرف به مقادير الأعمال " (٣).
وقيل : هو " ما توزن به أعمال العباد " (٤).

والوزن : " لاظهار مقادير الأعمال ، ليكون الجزاء بحسبها " (٥)، هذا هو معنى الميزان عند علماء العقيدة .

---

(١) الرحمن / ٣٩ . (٢) القصص / ٧٨ .
(٣) النسفي : الاعتماد ، ق / ٩٧ (أ) ، القاري : شرح الأمالي ص ٤٠ ، الصابوني : البداية ص ٩٢ .
(٤) شيخ الاسلام ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٤ / ٣٠٢ ، الشيخ بخيت : القول المفيد / ٦٠ .
(٥) القرطبي : التذكرة ١ / ٣٧٧ ، ابن كثير : النهاية في الفتن والملاحم / ٢٢٢ .

رأى العلامة ابن كمال باشا فى الميزان والوزن :

واذا ذهبنا الى ابن كمال باشا لنطلع على رأيه فى الميزان فانه يرى أن صحائف أعمال العباد هى التى توزن يوم القيامة بميزان حقيقى ، له لسان وكفتان ، ويتمسك فى ذلك بما ورد فى الأخبار الصحاح ، وظواهر النصوص ، فيقول : " الجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان ، له لسان وكفتان ، ينظر اليه الخلائق، إظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة " (١) . وهو لايكتفى باثبات هذا ، وانما ينتقد كل من يخالف ذلك . فقد عرض لرأى الضحاك والأعمش ثم كر عليهما بالنقد ، مفندا أدلتهما ومبطلا إياها من خلال ما ثبت من النصوص ، مقتفيا فى ذلك أثر أهل السنة والجماعة .

قال : " قال الضحاك والأعمش : الوزن والميزان بمعنى العدل فى القضاء ، وذكر الميزان ضرب مثل ، كما تقول : هذا الكلام فى وزن هذا وفى وزانه ، أى يعادله ويساويه ، وإن لم يكن هناك وزن . وقال الزجاج : هذا شائع من جهة اللسان " (٢) .

وبين أن قولهم هذا مخالف لما ورد فى الأسانيد الصحاح ، وإجماع الأمة على الأخذ بظواهر النصوص ومنع التأويل فى القرون الفاضلة الأولى ، وعضد رأيه بقول الإمامين القشيرى والقرطبى ، قال : " والأولى أن يتبع ما جاء فى الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان . ولقد أحسن القشيرى حيث قال : لو حمل الميزان على هذا ، فليحمل الصراط على الدين الحق ، والجنة والنار على مايرد على الأرواح

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة فى حقيقة الميزان ٢ / ٣٨١ ، وتفسيره ق ٢٣٢ ب .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى حقيقة الميزان ٢ / ٣٨١ .

دون الأجساد (من الأحزان والأفراح) (١) ، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى المحمودة " (٢) .

ثم قال العلامة ابن كمال باشا : " وقد اجتمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل . قال الامام القرطبي في سورة الأعراف (٣) : " واذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر ، وصارت هذه الظواهر نصوصا " (٤) .

وقد استدل العلامة ابن كمال باشا بحديث قدسي على أن الميزان فوق السماوات السبع ، فقال : " وروى عن النبي عليه السلام أن الله تعالى يقول : يوم القيامة لآدم عليه السلام : أبرز الى جانب الكرسي عند الميزان ، وانظر الى مايرد اليك من أعمال بنيك ، فمن رجح خيره على شره مثقال حبة فله الجنة ، ومن رجح شره على خيره مثقال ذرة فله النار ، حتى تعلم أني لا أعذب إلا ظالما " (٥) .
أقول : دل الحديث على أن الميزان فوق السماوات السبع " (٦) .

---

(١) مابين المعقوفتين زيادة من التذكرة للقرطبي ١ / ٣٨٣ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة في حقيقة الميزان ٢ / ٣٨١ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٧ / ١٦٥ .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة في حقيقة الميزان ٢ / ٣٨١ .

(٥) جزء من الحديث الذي أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسن كما في " النهاية في الفتن والملاحم " لابن كثير ٢ / ٢٢٨ ،
والحكيم الترمذي في " نوادر الأصول " ٢ / ٦٦ عن أبي هريرة بلفظ : " ... ياآدم قد جعلتك حكما بيني وبين ذريتك ، قم عند الميزان ، فانظر مايرفع اليك من أعمالهم ، فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة ، حتى تعلم أني لاأدخل النار منهم الا ظالما " ، وليس فيهما عند المتقي في كنز العمال " ١٤ / ٦٤٤ لفظ " .. الى جانب الكرسي ... " ولفظ " ومن رجح شره على خيره مثقال ذرة فله النار . " .

(٦) ابن كمال باشا : رسالة في حقيقة الميزان ٢ / ٣٨٢ .

ونرى العلامة ابن كمال باشا يستدل بحديث أنس رضى الله عنه على أن الوزن بعد اجتياز الصراط ، لأنه على متن جهنم ، والسماوات السبع طبقاتها ، يقول فى ذلك : " فالوزن بعد العبور عن الصراط ، لأنه على متن جهنم ، والسماوات السبع طبقاتها ، يشهد بذلك أى أن الميزان وراء الصراط ماروله الترمذى عن أنس رضى الله عنه ـ وقال : حديث حسن ـ ، وهو أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لى يوم القيامة ، قال : أنا فاعل إن شاء الله تعالى ، قلت : فأين أطلبك ؟ قال : أول (ماتطلبنى) (١) على الصراط ، قلت : فان لم ألقك ؟ قال : فاطلبنى عند الحوض ، قلت : فان لم ألقك ؟ قال : فاطلبنى عند الميزان ، فانى لاأخطىء هذه الثلاثة مواطن " (٢).

وأما مسألة وزن أعمال الكفار يوم القيامة فيرى ابن كمال باشا أن أعمالهم توزن لعموم ظواهر الآيات والأحاديث الكثيرة .. قال فى تفسير قوله تعالى " ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون " (٣) اى يجحدون ، قد دل على أن الكفار أعمالهم أيضا توزن ، وأن من خفت موازينهم هم الكفار " (٤). ثم

---

(١) فى المطبوعة : طلبنى ، والتصويب من "الترمذى" ، ومن نسخة المحمودية ٢٥٩٧ ق/ ١١١ (أ).

(٢) أخرجه الترمذى (٤/ ٦٢١ ـ ٦٢٢) فى كتاب (٣٨) صفة القيامة ، باب (٩) ماجاء فى شأن الصراط ، حديث رقم ٢٤٣٣ ، وقال : هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه.

والامام أحمد ٣/ ١٧٨.

وفى الترمذى وأحمد والتذكرة للقرطبى ١/ ٤١٠ ، والنهاية لابن كثير ١/ ٢٠٨ ذكر أولا : الصراط ، ثم الميزان ، ثم الحوض. وقد قدم ابن كمال باشا ذكر الحوض على الميزان كما ترى.

(٣) سورة الأعراف/ ٩.   (٤) ابن كمال باشا : رسالة فى حقيقة الميزان ٣٨٣ .

مضى يؤكد رأيه فى ذلك قائلا : " فان قلت: أليس قد دل قوله تعالى " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا "(١) على أن الكافر لايوزن؟ قلت: لا ، لأنه فى حق منكر الحشر من الكفار ، لافى حق الكافر مطلقا ، دل على ذلك سياق الآية المذكورة ، وهو قوله تعالى " أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم " ولابعد فى اختصاص الحكم المذكور بهذا النوع من الكافر ، على أنهم أولوا عدم إقامة الوزن بالازدراء به ، وقالوا فى تفسيره: أى لانجعل لهم خطرا وقدرا "(٢).

وذكر العلامة ابن كمال باشا عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال : " صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام. يقول الله تعالى : ياجبريل : زن بينهم ، فرد من بعضهم على بعض . قال : وليس ثمة ذهب ولافضة ، فان كان للظالم حسنات أخذ من حسناته فرد على المظلوم ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فيحمل على الظالم ، فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال "(٣).

---

(١) سورة الكهف/ ١٠٥.

(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى حقيقة الميزان ٣٨٣ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى حقيقة الميزان. والحديث أخرجه ابن أبى الدنيا بطوله مع اختلاف فى بعض الألفاظ ، كما فى " النهاية " لابن كثير ٢٢٧ ، وذكره ابن جرير واللالكائى مختصرا كما فى " التذكرة " للقرطبى ١/ ٣٩٠ ، و " لوامع الأنوار " للسفارينى ٢/ ١٨٥ ، مرعى بن يوسف الكرمى : تحقيق البرهان فى إثبات حقيقة الميزان ص ٣٠ .

نلاحظ ان ابن كمال باشا سلك طريق السلف فى إثبات الوزن والميزان ـ كما هو منهجه فى المباحث السمعية ـ ولم يخرج عن رأيهم ، حيث استدل على إثبات الوزن والميزان بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، وذكر ان " الميزان حق ثابت ، لقوله تعالى " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " (١) ، ولقوله تعالى " والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون " (٢) . كما استدل فيه بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثيرة ، اذ " بلغ القدر المشترك منها حد التواتر ، والحمل على الحقيقة ممكن فيجب الايمان بذلك بلا تأويل " (٣)

أ ـ وماذهب اليه من أن صحائف الأعمال هى التى توزن يوم القيامة ، فهو مذهب المفسرين من أهل السنة والجماعة (٤) . قال العلامة السفارينى : " والحق ـ ماقدمناه ـ أن الموزون صحف الأعمال ، وصححه ابن عبد البر والقرطبى وغيرهما ، وصوبه الشيخ مرعى فى بهجته (٥) ، وذهب اليه جمهور من المفسرين . وقد سئل رسول

(١) سورة الأنبياء/٤٧ . ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ١٣ .

(٢) سورة الأعراف/٨ ـ ٩ . ابن كمال باشا : شرح العشر فى معشر الحشر ٨٧ ب .

(٣) الشيخ بخيت : القول المفيد ص ٦١ ، وانظر كذلك : السفارينى : لوامع الأنوار البهية ٢/١٨٥ ، مرعى بن يوسف الكرمى : تحقيق البرهان فى إثبات حقيقة الميزان ٢٥ ـ ٢٦ .

(٤) انظر : الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ١٤/٢٥ ، الكرمى : تحقيق البرهان ص ٢٣ .

(٥) وكذلك فى تحقيق البرهان فى إثبات حقيقة الميزان ص ٢٥ ، ٣٢ ـ ٣٣ .

الله صلى الله عليه وسلم عما يوزن يوم القيامة ، فقال : الصحف ، ذكره الفخر الرازى [١] ، وغيره [٢] ، وحكاه ابن عطية عن أبى المعالى ..." [٣] . وقال ابن عطية الغرناطى المفسر : وهو أقربها [٤] .

ويؤيد ذلك حديث البطاقة الذى رواه الامام الترمذى وحسنه ، وابن ماجه ، والامام أحمد ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، فانه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها " أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله " فيقول : احضر وزنك ، فيقول : يارب ، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : انك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات فى كفة ، والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شىء " [٥] .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤/٢٥ .

(٢) مثل : النسفى فى "الاعتماد" ق / ٩٧ ب .

(٣) السفارينى : لوامع الأنوار البهية ٢/١٨٧ ، مرعى بن يوسف الكرمى : تحقيق البرهان فى إثبات حقيقة الميزان ٣٢ ـ ٣٣ .

(٤) انظر : الكرمى : تحقيق البرهان ص ٣٣ .

(٥) أخرجه الترمذى فى السنن (٥/٢٤ ـ ٢٥) فى كتاب (٤١) الايمان ، باب (١٧) ماجاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا اله الا الله ، حديث رقم/ ٢٦٣٩ .

وابن ماجه فى السنن (٢/١٤٣٧) فى كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٣٥) مايرجى من رحمة الله يوم القيامة ، حديث رقم/ ٤٣٠٠ ، وقال بدل قوله فى أول الحديث: " ان الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة : يصاح برجل من =

ب ـ وقد وردت أحاديث أخرى بوزن الأعمال أنفسها ، وان كانت أعراضا ، الا ان الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساما ، كما في " صحيح مسلم " (١) عن أبي مالك الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ٠٠ " ٠

وفي الصحيحين (٢) أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم " واللفظ لمسلم ٠

وفي حديث آخر صحيح : " ٠٠٠ اقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ٠ فانهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان (٣) ، أو كأنهما فِرْقان من طير صواف (٤) ، تحاجان عن أصحابهما ٠٠٠ " (٥)

أمتي على رؤوس الخلائق ٠٠" وذكر الحديث والامام أحمد في المسند ٢ / ٢١٣ ، وفي روايته : " فلا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم " ٠
والحاكم في المستدرك ١ / ٦ وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ٠
انظر كذلك : تخريج أحاديث شرح العقائد ص ٥٥ للسيوطي ، وفرائد القلائد في تخريج أحاديث شرح العقائد ص ٣٩ للقاري ٠

(١) (١ / ٢٠٣) في كتاب (٢) الطهارة ، باب (١) فضل الوضوء ، حديث رقم ٢٢٣ ٠

(٢) البخاري (فتح ١٣ / ٥٣٧) في كتاب (٩٧) التوحيد ، باب (٥٨) قول الله تعالى " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " ، حديث رقم ٧٥٦٣ ٠
ومسلم (٤ / ٢٠٧٢) في كتاب (٤٨) الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب (١٠) فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، حديث رقم ٢٦٩٤ ٠

(٣) الغمامة والغياية : كل شيء أظل الانسان فوق رأسه ٠

(٤) اى قطيعان أو جماعتان ٠

(٥) أخرجه مسلم (١ / ٥٥٣) في كتاب (٦) صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٤٢) فضل =

جـ ـ وقد جاء أيضا ان العامل نفسه يوزن كما أخرج البخارى (١) ومسلم (٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال: اقرأوا " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " (٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٤) : " وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا ، فتارة توزن الأعمال ، وتارة توزن محالها ، وتارة يوزن فاعلها ، والله أعلم ".

وأما استدلاله بحديث قدسى على أن الميزان فوق السماوات السبع بين الجنة والنار فيؤيده ماذكره الحكيم الترمذى فى " نوادر الأصول " (٥) ، ونقله عنه القرطبى فى " التذكرة " (٦) ، وابن كثير فى " النهاية فى الفتن " (٧) فقال: " وجاء فى الخبر: ان الجنة يؤتى بها فتوضع عن يمين العرش يوم القيامة ، والنار عن يسار العرش ، ويؤتى بالميزان فينصب بين يدى الله تعالى ، وكفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة ، وكفة السيئات عن يسار

قراءة القرآن وسورة البقرة ، حديث رقم/ ٨٠٤ ،
والامام أحمد ٥/ ٢٥١ ، ٢٥٥ .

(١) فى الصحيح (فتح ٨/ ٤٢٦)فى كتاب(٦٥)التفسير، سورة الكهف ، باب(٦) " أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم " ، حديث رقم ٤٧٢٩ .

(٢) فى الصحيح (٤/ ٢١٤٧)فى كتاب(٥٠)صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث رقم/ ٢٧٨٥ .

(٣) سورة الكهف/ ١٠٥ .

(٤) مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ٧ ، وانظر كذلك: ابن أبى العز: شرح العقيدة الطحاوية ٤٧٣ ـ ٤٧٥ .

(٥) ١ / ٢٢٠ . (٦) ١/ ٣٨٣. (٧) ص ٢٢٩.

العرش مقابل النار" .

وكذلك ماذكره الفخر الرازى فى تفسيره (١) : " عن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس ، يستقبل به العرش ، إحدى كفتى الميزان على الجنة ، والأخرى على جهنم ، ولو وضعت السماوات والأرض فى إحداهما لوسعتهن ، وجبريل آخذ بعموده ينظر الى لسانه".

وأما ذكر العلامة ابن كمال باشا السماوات السبع مكانا لجهنم ، وطبقات لها ، فهو غير وارد فى الأحاديث والآثار ، بل الوارد عكس ذلك .

روى الامام البيهقى فى " البعث والنشور " (٢) عن عبد الله بن سلام أنه قال : " الجنة فى السماء ، والنار فى الأرض " .

وروى أيضا عن أبى الزعراء قال : قال عبد الله : " الجنة فى السماء السابعة العليا ، والنار فى الأرض السابعة السفلى " (٣) ثم

---

(١) ١٤/٢٥ ، وانظر كذلك : السفارينى : لوامع الأنوار البهية ٢/١٨٤ ، والكرمى : تحقيق البرهان ص ٢٨ .

(٢) ص ٢٦٤ . وهذا الحديث جزء من الحديث الذى أورده ابن حجر فى " المطالب العالية " (٤/٢٩ و ٣٨٢) وعزاه الى الحارث. وقال محققه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى فى تعليقه على هذا الحديث (ص ٣٨٣ هامش) : " وساقه البوصيرى بلفظ الحاكم ، وحكى عنه أنه قال : حديث صحيح الاسناد ، وليس بموقوف ، فان عبد الله ابن سلام مع تقدمه فى معرفة قديمة من جملة الصحابة ، وقد اسنده بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير موضع ، والله أعلم " . الحاكم : المستدرك ٤/٥٦٩ .
وروى الحديث كذلك ابن خزيمة ، وابن أبى الدنيا كما فى التخويف من النار لابن رجب الحنبلى ص ٤٥ .

(٣) البعث والنشور ٢٦٦ . ورواه كذلك أبو نعيم فى الحلية ٧/١٠٣ ، ورواه ابن =

قرأ " إن كتاب الأبرار لفي عليين"، "وإن كتاب الفجار لفي سجين " (١).

وقال الامام البيهقي بعد أن ذكر الأحاديث والآثار في موضع الجنة والنار: " حديث البراء بن عازب (٢)، وأبي هريرة (٣) في عذاب القبر ، وما ذكرا عن النبي صلى الله عليه وسلم في موضع روح المؤمن (٤) يدل على هذا " اى على أن الجنة في السماء، والنار في الأرض، والله تعالى أعلم.

ثم ان ابن كمال باشا نفسه يقول في تفسير قوله تعالى: " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار " (٥) : " ولايبعد أن يجعل الله تعالى الأرض جهنم ، والسموات الجنة ، على ما أشعر به قوله تعالى " كلا إن كتاب الفجار (٦) لفي سجين " (٧)

منده وزاد فيه: " فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء " كما في التخويف من النار ص ٤٥ .

(١) سورة المطففين، الآية ١٨ و ٧ .

(٢) أخرجه البيهقي في " عذاب القبر " ٣٥ــ ٣٩ و ٥٨ــ ٦١ ورواه عن أبي هريرة بطرق عديدة، وقال فيه ص ٣٩ : " هذا حديث كبير، صحيح الإسناد ، رواه جماعة من الأئمة الثقات عن الأعمش ".

(٣) أخرجه البيهقي أيضا في " عذاب القبر " ٤٧ــ ٥٠ وذكر طرق الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) وفي حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في روح المؤمن : " ... حتى ينتهى به الى السماء الدنيا ، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهى بها الى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين في السماء السابعة ... "

وقال في روح الكافر: " ... حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " لاتفتح لهم أبواب السماء " (الاعراف/ ٤٠) الى آخر الآية. قال : فيقول الله تبارك وتعالى :اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السابعة السفلى ... ".

(٥) ابراهيم/ ٤٨ . (٦) في تفسير ابن كمال باشا :كتاب الأبرار، وهو خطأ ظاهر.

(٧) المطففين/ ٧ .

وقوله " كلا ان كتاب الأبرار لفي عليين " (١) .

والحاصل : أن الجنة فوق السماء السابعة ، وسقفها العرش ، وأن النار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد ، وبالله التوفيق (٢) .

وأما رأيه في وزن أعمال الكفار يوم القيامة :

١ ـ فهو يتناسب وعموم ظواهر الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، كما قال القاضي منذر بن سعيد البلوطي : " وظواهر أكثر الآيات والأحاديث تقتضي وزن أعمال الكفار ، وأول لها ما اقتضى ظاهره خلاف ذلك ، وهو قليل بالنسبة اليها " (٣) .

وقال العلامة الآلوسي في تفسير الآية الثامنة والتاسعة من سورة الأعراف : " وظاهر النظم الكريم أن الوزن ليس مختصا بالمسلمين ، بل الكفار أيضا توزن أعمالهم التي لاتوقف لها على الاسلام ، والى ذلك ذهب البعض . . (٤) وذهب الكثير الى أن الوزن مختص بالمسلمين " (٥) .

٢ ـ ان الكفار مخاطبون بأصول الدين وفروعه ، مسئولون عنها ، محاسبون بها ، مجزيون على الإخلال بها ، لأن الله تعالى يقول " وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة " (٦) فهي وعيد لهم على منعهم الزكاة ، ويقال للمجرمين " ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين . . . " (٧) .

---

(١) المطففين / ١٨ . تفسير ابن كمال باشا ق ٣٨٥ (أ) .

(٢) السفاريني : لوامع الأنوار ٢ / ٢٣٩ .

(٣) الآلوسي : روح المعاني ١٧ / ٥٥ ، وانظر كذلك : ٣٠ / ٢٨٤ .

(٤) مثل الحليمي في المنهاج ١ / ٣٨٧ ، والقرطبي في التذكرة ١ / ٣٧٧ ، وابن كثير في النهاية / ٢٢٩ ، والقاري في شرح الفقه الأكبر / ١٤٠ وغيرهم .

(٥) الآلوسي : روح المعاني ٨ / ٨٥ .   (٦) فصلت ٦ ـ ٧ .

(٧) المدثر ٤٢ ـ ٤٣ . انظر : الحليمي : المنهاج ١ / ٣٨٧ ، القرطبي : التذكرة ١ / ٣٧٧ ـ ٣٧٨ .

٣ ـ يدل على محاسبة الكفار، ووزن أعمالهم قوله تعالى " فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون، ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون " (١).

٤ ـ " قال أكثر المفسرين: المراد من قوله " ومن خفت موازينه " الكافر، والدليل عليه القرآن والخبر والأثر. أما القرآن فقوله تعالى " فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون " (٢) ولا معنى لكون الانسان ظالما بآيات الله الا كونه كافرا بها، منكرا لها، فدل على أن المراد من هذه الآية أهل الكفر ... أما الأثر: فلأن ابن عباس وأكثر المفسرين حملوا هذه الآية على أهل الكفر " (٣).

٥ ـ وأما الذين يقولون بعدم وزن أعمال الكفار فيستدلون بظاهر الآية الكريمة " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " (٤). قال الحافظ ابن كثير في تفسيرها: " لا نثقل موازينهم، لأنها خالية عن الخير " (٥).
وأخرج البخاري في تفسير هذه الآية الكريمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرأوا " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " (٦).

وقال ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم، فيوزن بحبة فلا يزنها " قال، قرأ " فلا نقيم لهم يوم

(١) المؤمنون ١٠٢ ـ ١٠٥. (٢) الأعراف/ ٩.

(٣) الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ١٤/ ٢٧. وانظر كذلك: الحليمي: المنهاج ١/ ٣٨٧، القرطبي: التذكرة ١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٤) الكهف/ ١٠٥. (٥) مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ٤٣٩. (٦) قد سبق تخريجه.

القيامة وزنا "[1] . وهذه الأحاديث وردت في تفسير هذه الآية الكريمة ، وهي صريحة بوزن أعمال الكافر .

٦ ـ على أن بعض المفسرين ذكروا في معنى هذه الآية أقوالا :

أ ـ إنما يثقل الميزان بالطاعة ، وإنما توزن الحسنات والسيئات ، والكافر لاطاعة له .

ب ـ انهم لايعتد بهم ، ولايكون لهم عند الله قدر ولا منزلة[2] .

جـ ـ انه قال " فلانقيم لهم " لأن الوزن عليهم ، لالهم ، ذكره ابن الأنباري[3] .

د ـ انه تعالى لايقيم لهم وزنا نافعا ، وهي نظير قوله تعالى " وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا " كالهباء في عدم نفعه ، وحصول فائدته[4] .

فما الحكمة من وزن أعمال المؤمنين والكفار ، مع ان الله تعالى عالم بكل شيء ، فيعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؟

وأشار صاحبنا ابن كمال باشا الى حكمة الميزان بقوله " اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة " .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : " وقد توزن أعمال السعداء وان كانت راجحة ، لاظهار شرفهم على رؤوس الأشهاد ، والتنويه بسعادتهم ونجاتهم ، وأما الكافر فتوزن أعمالهم وان لم تكن لهم حسنات تنفعهم ، يقابل بها كفرهم ، لاظهار شقائقهم وفضيحتهم على رؤوس الخلائق "[5] والله أعلم .

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (المختصر) ٢/٤٣٩ ، والنهاية في الفتن والملاحم ٢/٢٢٥ .

(٢) انظر : الشوكاني : فتح القدير ٣/٣١٦ ، الرازي : مفاتيح الغيب ٢١/١٧٤ .

(٣) ابن الجوزي : زاد المسير في علم التفسير ٥/١٩٨ .

(٤) السفاريني : لوامع الأنوار ٢/١٨٥ .

(٥) ابن كثير : النهاية في الفتن والملاحم ٢/٢٢٩ ، وانظر كذلك : القرطبي : التذكرة ١/٣٨٤ ـ ٣٨٥ .

٧ ـ الصراط:

أصل الصراط: الطريق، ولكنه طريق " لا التواء فيه، ولا اعوجاج بل يكون على جهة القصد " (١). ويلفظ بالسين أيضا ـ وهو الأصل ـ فيقال: السراط، واشتقاقه من " سرط " اى ابتلع، وبابه: تعب.

وقيل: سمي بذلك لأنه يسترط السابلة (المارة) اى يبتلعهم (٢).

وأما الصراط فى اصطلاح علماء الشرع فيطلق على معنيين:

(أحدهما) فى الدنيا: وهو المنهج الذى شرعه الله تعالى لعباده، وأمرهم باتباعه والتزامه، وهو المعنىّ بقوله تعالى " وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه " (٣) وقوله تعالى " اهدنا الصراط المستقيم " (٤).

(ثانيهما) فى الآخرة: وهو الجسر الذى ينصب على نار جهنم يوم القيامة، فيجتاز عليه الناس على اختلاف مذاهبهم وأضرابهم وتفاوت درجاتهم (٥)، " فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الابل، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف فيلقى فى جهنم، فان الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم " (٦).

ومن استقام على الصراط الذى هو دين الحق فى الدنيا،

---

(١) ابن كمال باشا: تفسيره ١/٩، وشرح الأربعين ص ٤٧.

(٢) الفيروزآبادى: القاموس ٢/٣٧٧، الفيومى: المصباح المنير ١/٢٧٤ (سرط)

(٣) سورة الأنعام/٣. (٤) سورة الفاتحة/٦.

(٥) د. البوطى: كبرى اليقينيات الكونية ٣٥٣، ابن كمال: شرح الأربعين ص ٤٧، ورسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ١٩٣ب (مكتبة الحرم المكى ١٥١/٦٠).

(٦) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣/١٤٦ ـ ١٤٧.

استقام على هذا الصراط في الآخرة.

قال الامام الغزالي : " فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا ، وأثقل ظهره بالأوزار وعصى ، تعثر في أول قدم من الصراط وتردّى " (١).

والصراط قبل الميزان حسب استدلال ابن كمال باشا من حديث أنس رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة ، قال : أنا فاعل ان شاء الله ، قلت: فأين أطلبك ؟ قال : أول ماتطلبني على الصراط ، قلت: فان لم ألقك ؟ قال : فاطلبني عند الحوض ، قلت: فان لم ألقك ؟ قال : فاطلبني عند الميزان ، فاني لاأخطئ هذه الثلاثة مواطن " (٢).

والمرور على الصراط عام لجميع الناس: الأنبياء والشهداء والصديقين ، والمؤمنين والكفار. قال ابن كمال باشا : " فان الناس كلهم يعبرون على الصراط ، – (اذ) لاكرامة في العبور على الصراط ، انما الكرامة في كيفيته ، وهي أن يكون على وجه السلامة – ، دل على ذلك ماروى عنه عليه السلام أنه قيل له : اذا طويت السماوات وبدلت الأرضون أين يكون الخلق يومئذ ؟ فقال : إنهم على جسر جهنم " (٣). ويؤيد ماذهب اليه ابن كمال باشا

---

(١) الغزالي :إحياء علوم الدين ٤ / ٥٢٤ ، انظر أيضا : ابن رجب الحنبلي :التخويف من النار ص ١٧٤ ، ١٧٦ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة في حقيقة الميزان ص ٣٨٢ ، والحديث قد سبق تخريجه.

(٣) ابن كمال : ر. في حقيقة الميزان ص ٣٨٣ . وذكر الامام ابن كمال باشا الحديث بالمعنى ، أخرجه الترمذي (٥ / ٣٧٢) في كتاب (٤٨) تفسير القرآن ، باب (٤١) =

عائشة رضى الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى "يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات"، فأين يكون الناس يومئذ ؟ قال: "على الصراط "(١).

ثم ان "عبور الكفار على الصراط من جملة ما أعد الله لهم من العذاب فى الدار الآخرة ، لأنه يكون فى حقهم على أشق وجه وأتعبه "(٢).

– تعقيب على ابن كمال باشا –

وقد ورد فى ذكر الصراط جملة من الآيات والأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك نرى أن العلامة ابن كمال باشا تمسك فى إثبات الصراط بهذه الآيات والأحاديث، قال : "والصراط – وهو جسر ممدود على جهنم يمر عليه الخلائق – حق "(٣)،

ومن سورة الزمر، حديث رقم ٣٢٤١ بلفظ "حدثتنى عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل " والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه" قال: فقلت: فأين الناس يومئذ يارسول الله ؟ قال: على جسر جهنم" قال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٠) فى كتاب (٥٠) صفات المنافقين ، باب (٢) فى البعث والنشور حديث رقم ٢٧٩١.
والترمذى (٥/ ٢٩٦) فى كتاب (٤٨) التفسير، باب (١٥) ومن سورة ابراهيم، حديث رقم ٣١٢١.
وابن ماجه (٢/ ١٤٣٠) فى كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٣٣) ذكر البعث، حديث رقم ٤٢٧٩.

(٢) ابن كمال باشا : ر. فى حقيقة الميزان ٣٨٣ .

(٣) ابن كمال : رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ق/ ١٩٣ب ضمن مجموع برقم ١٥١ فى =

لقوله تعالى " فاهدوهم الى صراط الجحيم " (١) . وكذلك فسر جمع من علماء السلف (٢) " الورود " فى قوله تعالى " وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " (٣) بالمرور على الصراط ، وقال ابن أبى العز : " وهو الأقوى والأظهر " (٤) .

لما روت أم مبشر رضى الله عنها قالت : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة : " لايدخل النار ان شاء الله من أصحاب الشجرة أحد ، الذين بايعوا تحتها ، قالت : بلى ، يارسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة " وان منكم الا واردها " (٥) فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، قد قال الله عز وجل : " ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٦) " (٧) .

وقال العلامة ابن كمال باشا : " ان المراد هنا الدخول (٨) بطريق الكناية كما فى قوله تعالى " فأوردهم النار " (٩) وقوله

مكتبة الحرم المكى الشريف ، وانظر هذا المعنى أيضا : السفارينى : لوامع الأنوار ٢/ ١٩٢ .

(١) الصافات/ ٢٣ ، انظر : ابن قطلوبغا : شرح المسايرة ص ٢٤٥ .

(٢) منهم ابن مسعود وابن عباس وقتادة وعبد الرحمن بن زيد ، انظر : القرطبى التذكرة ١ / ٤٠٤ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (المختصر) ٢ / ٤٦١-٤٦٢ .

(٣) مريم/ ٧١ - ٧٢ .

(٤) شرح الطحاوية ص ٤٧١ ، وبه قال أيضا ابن كثير فى " النهاية فى الفتن والملاحم " ص ٢٦٩ ، وشيخهما شيخ الاسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ٤/ ٢٧٩ .

(٥) سورة مريم/ ٧١ ، ٧٢. (٦) سورة مريم/ ٧١ ، ٧٢ .

(٧) رواه مسلم (٤/ ١٩٤٢) فى كتاب (٤٤) فضائل الصحابة ، باب (٣٧) من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضى الله عنهم ، حديث رقم/ ٢٤٩٦ .

(٨) وهذا القول مروى أيضا عن ابن عباس وابن مسعود وخالد بن معدان ، وابن جريج وغيرهم ، القرطبى : التذكرة ١ / ٤٠٥ ، ابن كثير : النهاية/ ٢٧٠ .

(٩) سورة هود / ٩٨ .

" لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها "(١) ، لقوله عليه السلام: "الورود : الدخول ، لايبقى برّ ولا فاجر الا دخلها ، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما ، كما كانت على ابراهيم "(٢) ، و " تقول النار للمؤمن: جز يا مؤمن ، أطفأ نورك لهبي "(٣) ، وهو الظاهر من قوله " ونذر الظالمين فيها جثيا " ، قال : " ونذر " ، ولم يقل : وندخل ... فانهم يمرون والنار خامدة على ما ورد في الخبر(٤) ، ولذلك " لايسمعون حسيسها "(٥) .

قال القرطبي في المخاطب في قوله تعالى " وان منكم ... " :
" وقال الجمهور: المخاطب: العالم كله ، ولا بد من ورود الجميع ، وعليه نشأ الخلاف في الورود ." ثم قال : " والصحيح أن الورود : الدخول ، لحديث أبي سعيد كما ذكرنا "(٦) .

---

(١) سورة الأنبياء/٩٩ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٢٩، ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ١٠/٣٦٣) ، والحاكم في المستدرك ٥/٥٨٧ فقال : " هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرّجاه " ، ووافقه الذهبي .

(٣) رواه الطبراني ، وفيه سليم بن منصور بن عمار ، وهو ضعيف كما " مجمع الزوائد " ١٠/٣٦٣، وأبو نعيم في الحلية ٩/٣٢٩ ،
(والحكيم السمرقندي في نوادر الأصول ١ / ٢٦٤) ،
وابن كثير في النهاية ٢/٢٧١ وقال : هذا حديث غريب جدا . انظر ابن كمال باشا : تفسير سورة النبأ ٣٦ حيث صححه .

(٤) وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا سفيان ، عن رجل ، عن خالد بن معدان ، قال : قالوا : ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار؟ فقال : إنكم مررتم بها وهي خامدة . (ابن كثير: النهاية ٢/٢٧١ ، القرطبي : ١/٤٠٥).

(٥) سورة الأنبياء/١٠٢ . تفسير ابن كمال باشا/٤٤٨ ب .

(٦) القرطبي : التذكرة ١/٤٠٧ .

وقال البزدوى – بعد أن قال : ان الورود هو الدخول – : " ودخول المؤمنين كلهم لايكون الا على الصراط "[١] والله تعالى أعلم .

وأما تقديمه الصراط على الميزان فهو خلاف ماورد فى ذلك عن العلماء الأعلام ، اذ أن نصوصهم صريحة فى أن الميزان قبل الصراط ...

١ – قال الحليمى فى المنهاج[٢] ، ونقل عنه القرطبى[٣] ، وابن أبى العز[٤] ، وابن كثير[٥] نقل ارتضاء وقبول : " واذا انقضى الحساب ، كان بعده وزن الأعمال للجزاء ، فينبغى أن يكون بعد المحاسبة ، فان المحاسبة لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها[٦] دبرها ليكون الجزاء بحسبها ".

وكذلك بين العلامة السفارينى[٧] مراتب المعاد حيث قال : " اعلم أن مراتب المعاد : البعث والنشور ، ثم المحشر ، ثم القيام لرب العالمين ، ثم العرض ، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين وأخذها بالشمال ، ثم السؤال والحساب ، ثم الميزان " .

٢ – لو كان الميزان بعد الصراط للزم عبور الناس عليه ، ونجاتهم جميعا من الوقوع فى النار ، مع أن الأحاديث صريحة فى أن الكفار

(١) البزدوى : أصول الدين ص ١٦١ .
(٢) المنهاج فى شعب الإيمان ٣٨٧/١ .
(٣) التذكرة ٣٧٧/١ . (٤) شرح العقيدة الطحاوية ٤٧٢ .
(٥) النهاية فى الفتن والملاحم ٢٢٢/٢ .
(٦) فى المنهاج : معانيها ، والتصحيح من المصادر السابقة .
(٧) لوامع الأنوار ١٨٤/٢ .

لايجاوزون الصراط ، بل يكبون على وجوههم في النار قبل أن يجاوزوه ، وكذلك عصاة المؤمنين ، ثم المؤمنون يخرجون منها ، والكفار يخلدون فيها . وهل الكفار بعد جوازهم على الصراط ، ونجاتهم من النار يرجعون اليها بعد الوزن ؟ وهذا لم يقل به أحد ، فيما أعلم .

٣ ـ وأما حديث أنس رضي الله عنه استشهد به ابن كمال باشا على كون الصراط بعد الميزان ، قال الامام الترمذي عقب الحديث: " هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه " ، وقال الحافظ ابن كثير معلقا على كلامه (١) : " والمقصود أن ظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط ، وكذلك الميزان أيضا ، وهذا لا أعلم به قائلا " (٢).

وأما كون الصراط جسرا ممدودا على متن جهنم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة طويل (٣) " ... ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يُجيز ، ولايتكلم يومئذ الا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفي جهنم (٤) كلاليب (٥)

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم ١ / ٢٠٨ .

(٢) بل صرح الواحدي تقديم الميزان على الصراط ، وجزم به صاحب " كنز الأسرار " ، انظر الآلوسي : روح المعاني ٣٠ / ٢٨٣ .

(٣) أخرجه البخاري (فتح ١٣ / ٤١٩) في كتاب (٩٧) التوحيد ، باب (٢٤) قول الله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) حديث رقم ٧٤٣٧ .
ومسلم (١ / ١٦٣ ـ ١٦٥) في كتاب (١) الايمان ، باب (٨١) معرفة طريق الرؤية ، حديث رقم ٢٩٩ .

(٤) لفظ البخاري : (وبه) اي في الجسر المنصوب على جهنم .

(٥) جمع كلوب وهو حديدة معطوفة الرأس .

مثل شَوْك السعدان (١) ، هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يارسول الله ، قال : فانها مثل شوك السعدان ، غير أنه لايعلم ماقدرُ عظمها الا الله ، تَخْطَفُ الناس بأعمالهم ، فمنهم المؤمن بقي بعمله (٢) ، ومنهم المجازَى حتى ينجي " .

وفيهما أيضا من حديث أبي سعيد الخدري طويل (٣) : " ... ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل الشفاعة . ويقولون : اللهم سلم سلم " ، قيل : يارسول الله ، وما الجسر ؟ قال : دَحْضٌ مَزَلّة (٤) ، فيه خطاطيف (٥) وكلاليب وحسَك (٦) ، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والرِّكاب ، فناجٍ مسلّم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس (٧) في نار جهنم ... " .

وأما كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف ففي مسلم (٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : بلغني أن الجسر أدق من الشعرة ، وأحد من السيف " ، " ومثله لايقال من قبل الرأي ، فله حكم المرفوع " (٩) .

---

(١) جمع سعدانة ، وهي نبتة له شوكة عظيمة من كل الجوانب .

(٢) لفظ البخاري : " فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل " أي المقطع أو المصروع .

(٣) أخرجه البخاري (فتح ١٣ / ٤٢٠) في كتاب (٩٧) التوحيد ، باب (٢٤) قول الله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) حديث رقم ٧٤٣٩ .
ومسلم (١ / ١٦٧ ــ ١٧١) في كتاب (١) الايمان ، باب (٨١) معرفة طريق الرؤية ، حديث رقم ٣٠٢ .

(٤) الدحض والمزلة بمعنى واحد ، وهو الموضع الذي تزل فيه الاقدام ولاتستقر .

(٥) الخطاطيف جمع خُطاف وهو الحديدة المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء .

(٦) فهو شوك صلب من حديد . (٧) مدفوع من ورائه . (٨) مسلم ١ / ١٧١ .

(٩) الكمال بن أبي شريف : المسامرة ص ٢٤٤ .

وروى الحاكم فى المستدرك (١) عن سلمان رضى الله عنه: " ... ويوضع الصراط مثل حد الموسى ... " وقال: على شرط مسلم، ووافقه الذهبى.

وبعد ذكر هذه الأحاديث تبين مدى تمسك ابن كمال باشا بها فى إثبات الصراط، وسلوكه مسلك السلف الصالح رضى الله عنهم فى التمسك بالنصوص، وإثبات ما ورد فيها من المعانى الحقيقية..

هذا وذكر الامام القرطبى، وشيخ الاسلام ابن تيمية: اذا عبر المؤمنين الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فاذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة (٢).

وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله فى الدنيا " (٣).

وأنكر كثير من المعتزلة الصراط، وأولوا النصوص الواردة فيه (٤).

---

(١) ٥٨٦/٤ .

(٢) القرطبى: التذكرة ٤١١/١، ابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٤٧/٣ .

(٣) أخرجه البخارى (فتح ٣٩٥/١١) فى كتاب (٨١) الرقاق، باب (٤٨) القصاص يوم القيامة، وهى الحاقة، حديث رقم ٦٥٣٥ .
وأحمد ١٣/٣ .

(٤) الكمال بن أبى شريف: المسامرة ص ٢٤٥ .

وقد أجمعت الأمة السالفة قبل ظهور المخالفين على أن الصراط جسر على متن جهنم ، وأن عبور الخلائق كلهم عليه [١] .

وأما الحكمة من الصراط ، " قال البدر الزركشي : ومن الحكمة في الصراط ورفعه أن يظهر للمؤمنين من عظيم فضل الله تعالى النجاة من النار ، ولتصير الجنة أسر لقلوبهم بعد ، وليتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في العبور " [٢] والله تعالى أعلم .

٨ ـ الجنة والنار والخلود في كل منهما :

إن المراد من الجنة : دار الثواب التي أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين ، سميت بها لما فيها من الجنان [٣] .

ومن النار : دار العقاب التي أعدها الله تعالى للكفار [٤] .

وقد جاء في الآثار أن الجنة درجات ، وأن النار دركات [٥] .

---

(١) ابن كمال باشا : ر• في حقيقة الميزان (ضمن رسائل ابن كمال) ٣٨٢/٢ .

(٢) السفاريني : لوامع الأنوار ١٩٤/٢ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٨/١ و ٥٠ .

(٤) السفاريني ٢١٩/٢ . (٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٨/١ .

ـ رأى العلامة ابن كمال باشا فى الجنة والنار والخلود فيهما ـ

ولقد نص العلامة ابن كمال باشا على أن " الجنة والنار حق ثابت ، وهما مخلوقتان الآن ، لاتفنيان ، ولايفنى أهلهما ، لقوله تعالى فى حق المؤمنين (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)[1] ، وفى حق الكافرين (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)[2] " [3] .

وأكد الامام ابن كمال باشا هذه المعانى فى تفسير الآيات المتعلقة بالجنة وخلود المؤمنين فيها ، والنار وخلود أهلها من الكفار .

وأسوق هنا بعض تلك النصوص لتوضيح رأيه فى الموضوع بالتفصيل ..

ـ الجنة والنار مخلوقتان الآن ـ

قال الامام المحقق فى تفسير قوله تعالى (فاتقوا النار التى أعدت للكافرين) [4] : " ان الاعداد ، وهو التهيئة والارصاد ، أكثر استعماله فى الموجود ، وقد يستعمل فيما هو فى معنى الموجود ، كما فى قوله تعالى (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) [5] .

(١) وردت الآية فى القرآن أكثر من مرة : البقرة ٨٢ ، الأعراف ٤٢ .

(٢) اى دائمون فيها ، لايموتون ، ولايخرجون عنها (تفسير ابن كمال ١ / ١٥٣) .
وردت الآية فى القرآن أكثر من مرة : البقرة ٣٩ ، ٢١٧ ، ٢٥٧ .

(٣) ابن كمال باشا : المنيرة ص ١٣ . (٤) البقرة / ٢٤ . (٥) الأحزاب / ٣٥ .

فدلالة الآية على أن النار مخلوقة الآن ، كما هو مذهب أهل الحق ، ليست بقوية "(١).

وقال أيضا في قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)(٢) : " وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة "(٣).

وسأعقب على قوليه المختلفين في هاتين الآيتين بعد اكمال عرض رأيه في الموضوع.

ـ خلود الجنة والنار ـ

يرى الامام ابن كمال باشا أن الجنة ودوام نعيمها ، والنار وبقاء عذابها أمر ثابت ، وأن أهليهما أبديان دائمان ، لايفنيان (٤).

ـ خلود الجنة ـ

قال في قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٦. (٢) آل عمران/١٣٣.
(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٢٤٥. (٤) ابن كمال باشا : كتاب الرد على الفرق/٧أ.

أزواج مطهرة وهم فيها خالدون" (١) : " الخلد : البقاء الدائم الذى لاينقطع ، قال الله تعالى (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) (٢) ، وتقييده بالتأبيد بقوله (خالدين فيها أبدا) يقطع التجوز ، فان استعماله فى الثبات المديد وان لم يدم متعارف شائع" (٣) .

وقال فى تفسير قوله تعالى (لايمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) (٤) : " نص فى الخلود ، وبه تتم النعمة" (٥) ، ويكونون آمنين عن الزوال عنها .

وقال فى قوله تعالى مؤكدا خلودهم فى الجنة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا . خالدين فيها لايبغون عنها حولا) (٦) : " اى لايطلبون عنها التحول ... وفيه تأكيد الخلود ، لأنهم اذا لم يريدوا الانتقال عنها لاينتقلون لعدم الاكراه فيها " (٧) .

وقال أيضا فى قوله تعالى (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك) قال الزجاج : هذا من باب " حتى يلج الجمل فى سم الخياط " (٨) ، و" لايذقون فيها الموت الا الموتة الأولى " (٩) (عطاء غير مجذوذ) (١٠) غير مقطوع ، وهو تصريح بأن الثواب لاينقطع ، وتنبيه على أن المراد من الاستثناء

---

(١) البقرة/٢٥ . (٢) الأنبياء/٣٤ . (٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٤٠ .
(٤) الحجر/٤٨ . (٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٩٠ ب . (٦) الكهف ١٠٧ـ١٠٨
(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٤١ أ . (٨) الأعراف/٤٠ . (٩) الدخان/٥٦ .
(١٠) هود /١٠٨ .

هاهنا ليس الانقطاع ، وفى قوله فى الأشقياء " ان ربك فعال لما يريد " (١) فى مقابلة هذا القول فى السعداء (٢) يرجح نقل الأشقياء الى ما هو أغلظ من عذاب النار من عقوبات يقتضيها سخط الله تعالى وما يعلمها " (٣).

– خلود النار وأهلها –

قال فى تفسير قوله تعالى (ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولاليهديهم طريقا ، الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا) (٤) : " لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على أن من مات على الكفر فهو لايخرج من النار " (٥).

وقال فى قوله تعالى (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار) (٦) : لجعل الجملة اسمية تفيد الدوام بحسب العرف ... اى وما هم بخارجين من النار دائما مادامت لهم هم ، ولتخصيص السلب بهم اى بالمشركين من بين المكلفين لقوله تعالى (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) (٧) اى هم خاصة ليسوا بخارجين من النار ، كقوله : هم القوم كل القوم

(١) هود / ١٠٧ . (٢) اى فى مقابلة " عطاء غير مجذوذ " .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٤٤أ . (٤) النساء ١٦٨ـ ١٦٩ .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٣٤٤ . (٦) البقرة ١٦٧ .

(٧) النساء / ٤٨ .

يا أم خالد ، لا لسلب التخصيص ، فان أداة السلب متأخرة عن أداة التخصيص معنى ، وان تقدمت عليها لفظا ، والباء في الخبر لتأكيد النفي " (١).

وقال أيضا في قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) اى لا يؤتون بموت ثان فيستريحوا .
يقال : قضى عليه : اذا أماته ، قال تعالى " فوكزه موسى فقضى عليه " (٢) ، فلا بد من صرف قوله (فيموتوا) عن الحقيقة الى المجاز صونا له عن وصمة اللاغية (٣) . وقرئ : فيموتون ، عطفا على (يقضى) وادخالا له في حكم النفي ، أى لا يقضى عليهم الموت ، فلا يموتون ، كقوله " ولا يؤذن لهم فيعتذرون " (٤) ، (ولا يخفف عنهم من عذابها) (٥) من عذاب جهنم ، كقوله تعالى " كلما خبت زدناهم سعيرا " (٦) ، فان فيه دلالة على أن مظنة الخفة في غيرهم ، مُنبِئة عن الشدة في حقهم " (٧) .

وقال أيضا في قوله تعالى : (خالدين فيها ما دامت السمٰوات والأرض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد) (٨) : " انتصاب (خالدين) على أنها حال مقدرة ، أى مدة دوام السماوات والأرض ، والمراد بهذا التوقيت : التأبيد على طريقة العرب في قولهم : ما أقام ثبير ، وما لاح كوكب ، وغير ذلك مما يذكرونه في مقام

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١٢٢/١ . (٢) القصص/ ١٥ .
(٣) ولو فسر الامام (لا يقضى عليهم) بأن لا يحكم عليهم بموت ثان ، كما فسره البيضاوى في أنوار التنزيل (١٨٣/٤) ، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (١٥٤/٧) ، والآلوسي في روح المعاني (٢٠٠/٢٢) لما احتاج الى العدول عن الحقيقة الى المجاز ، واستراح .
(٤) المرسلات/ ٣٦ . (٥) فاطر/ ٣٦ . (٦) الاسراء/ ٩٧ .
(٧) ابن كمال باشا : تفسيره/ ٥٩٠ (أ) . (٨) هود / ١٠٧ .

المبالغة في نفي الانقطاع ، ولايسبق الى الفهم منها الا التأبيد [١] ، لاتعليق مدتها بمدة بقائها . ويجوز أن يراد التعليق على أن المراد من السماوات سماوات الآخرة وأرضها [٢] ، فانه لابد لأهلها من مقلة ومظلة ، وهو معلوم من النصوص كقوله تعالى " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات " [٣] ، وقوله تعالى " وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء " [٤] ، وليس فيه تشبيه ما يعرف بما لايعرف" [٥] .

ولقد اضطرب رأي العلامة ابن كمال باشا في المراد من الاستثناء في هذه الآية (هود /١٠٧) ، وفي آية الأنعام (١٢٨) ، ورجح رأيين مختلفين في كل واحدة منهما مع أن سياق الآيتين واحد ، كما قاله الحافظ ابن كثير [٦] .

قال في الأولى : " استثناء من الخلود في عذاب النار ، لأن الكفار ينقلون من حر النار الى برد الزمهرير ، والرد بأن النار عين دار العقاب غير وارد ، لأننا لاننكر استعمال النار فيها تغليبا " [٧] ، مع أن الامام ابن كمال باشا ضعف هذا الرأي في سورة الأنعام حيث قال في تفسير قوله تعالى " قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله " من عصاة المؤمنين [٨] ، واستعمال (ما) في

---

(١) وهو اختيار الامام ابن جرير الطبري في جامع البيان ١٢/٧٠ .

(٢) وهو قول طائفة من المفسرين منهم الضحاك (القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٩/٩٩) .

(٣) ابراهيم/٤٨ .

(٤) الزمر ٧٤ .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٤٣ ب .

(٦) مختصر تفسير ابن كثير ٢/٢٣٣ .

(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٤٤ أ .

(٨) وهو قول قتادة والضحاك وأبو سنان وغيرهم (القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٩/٩٩) ، واختيار الطبري في جامع البيان ١٢/٧١ .

ذوي العقول شائع ، كما في قوله تعالى " الا ما رحم ربي " (١) ، وفي قوله تعالى " فانكحوا ما طاب لكم " (٢) ... وقيل : من الأوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير ، وفيه من الحاجة الى صرف النار عن معناها العلمي الى اللغوي " (٣).

وعلى كلا الرأيين فهو لا يقول بفناء النار وعذابها وأهلها ، سواء أخذنا رأيه القائل ان الاستثناء عائد الى عصاة المؤمنين ، أم قلنا أنه عائد الى الخلود في عذاب النار ...

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى (ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا) (٤) : ظرف ، وهو جمع حقب ، وهو الدهر ، ولم يرد به عدد مخصوص بل الأبد (٥) ، اذ لا يكاد يستعمل الا حيث تتابع الأزمنة وتواليها .

وقيل : الحقب ثمانون سنة (٦) ، أو سبعون ألف سنة (٧) ، فعلى تقدير صحته ، ليس فيه ما يقتضي تناهي الأحقاب حتى يعارض مفهومه منطوقه الدال على خلود الكفار ، لجواز أن يكون أحقابا مترادفة ، كلما مضى حُقب تبعه حقب آخر الى غير النهاية (٨) ،

---

(١) يوسف/ ٥٣ . (٢) النساء/ ٣ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١/ ٣٩٧ .

(٤) النبأ ٢١ _ ٢٣ .

(٥) وهو اختيار ابن جرير أيضا في جامع البيان ٣٠/ ٩ .

(٦) أخرجه البزار عن أبي هريرة (الهيثمي : مجمع الزوائد ٧/ ١٣٦) ، والطبري في جامع البيان ٣٠/ ٨ عن أبي هريرة وعلي وابن عباس رضي الله عنهم ، وانظر كذلك : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٧٨ .

(٧) روى ذلك الطبري في جامع البيان ٣٠/ ٨ عن الحسن رحمه الله تعالى .

(٨) وهو مروي عن الحسن وقتادة (مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٩٢) ، الخازن : لباب =

وانما استعير جمع القلة محافظة للفاصلة " (١).

وكأن الامام ابن كمال باشا عنى بمن يقول بفناء النار في تفسير قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) ليتجدد لهم ذوق العذاب (ان الله كان عزيزا حكيما) (٢) العزيز القادر الغالب، والحكيم الذي لايفعل الا الصواب، انما قاله لأنه قد يقع في القلب تعجب من كون الكريم الرحيم يعذب الشخص الضعيف الى هذا الحد العظيم أبد الآباد، فقيل: ليس هذا بعجب، لأنه القادر على ذلك، وكما أنه رحيم فهو أيضا حكيم، والحكمة تقتضي ذلك " (٣).

وبعد أن سقنا النصوص الطويلة في الجنة والنار، ووجودهما الآن، وأبديتهما مع أهليهما نعرض رأيه على عقيدة السلف رضي الله عنهم حتى يتبين لنا مدى بعده أو قربه منها.

التأويل ٣٤٧/٤) وانظر كذلك: أبو السعود: ارشاد العقل السليم ٩١/٩، البيضاوي: أنوار التنزيل ١٧٠/٥.

(١) ابن كمال باشا: تفسير سورة النبأ ص ٣٦. (٢) النساء/٥٦.

(٣) ابن كمال باشا: تفسيره ٣٠٠/١.

بيان مذهب السلف فى الجنة والنار :

يرى السلف رحمهم الله تعالى أن الجنة والنار حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، والايمان بهما واجب ، واعتقاد وجودهما حق لازب [١] ، خلافا لبعض المعتزلة والقدرية [٢].

قال الامام أبو حنيفة رحمه الله - وهو أحد أئمة السلف - :
" والجنة والنار حق ، وهما مخلوقتان لأهلهما ، لقوله تعالى فى حق المؤمنين " أعدت للمتقين " [٣] ، وفى حق الكفرة " أعدت للكافرين " [٤] ، خلقهما الله تعالى للثواب والعقاب " [٥].

فبهذا يظهر أن العلامة ابن كمال باشا مع السلف فى هذا الموضوع ، غير أن قوله فى قوله تعالى " أعدت للكافرين " :
" فدلالة الآية على أن النار مخلوقة الآن، كما هو مذهب أهل الحق ، ليست بقوية " [٦] غير سديد ومخالف لما قاله هو فى قوله تعالى " أعدت للمتقين " اذ قال فيه : "وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة " [٧] ، فما الفرق بين صيغة الآيتين وسياقهما ؟ فواحدة منهما فيها دليل على خلق الجنة ، وثانيتهما دلالتها على خلق النار ليست بقوية ، أوليست هذه الا تحكما محضا ..

(١) السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢١٩ ، ٢٣١ .
(٢) الكمال بن أبى شريف: المسامرة بشرح المسايرة ٢٤٧ ، ابن حزم: الفصل فى الملل ٤/١٤٥ ، الجرجانى : شرح المواقف ٥٨٤ ، ابن كمال باشا : كتاب الرد على الفرق/ ٧ أ .
(٣) آل عمران/١٣٣ .
(٤) البقرة/٢٤ .
(٥) أبو حنيفة: الوصية ص٧ ، وانظر أيضا : ابن أبى العز: شرح العقيدة الطحاوية ٤٧٦ ، القارى: شرح الفقه الأكبر/١٤٦ .
(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٦ .
(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٢٤٥ .

وقال الحافظ ابن كثير: " وقد استدل أكثر أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن لقوله " أعدت " أي أرصدت وهيئت "[١] ...

وأما الأحاديث الدالة على وجود الجنة والنار فكثيرة[٢]، منها ما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة "[٣]، واللفظ لمسلم.

ومنها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ١/٤٣، وانظر كذلك: البيضاوي: أنوار التنزيل ١/١١٧، النسفي: مدارك التنزيل ١/٣٥، أبو السعود: إرشاد العقل السليم ١/٦٨ حيث استدلوا جميعا بهذه الآية على أن النار مخلوقة معدة الآن.

(٢) انظر الأحاديث الواردة في وجود الجنة والنار: ابن كثير: النهاية في الفتن والملاحم ٢/٤٠٧-٤٠٨، ٤١٣-٤١٦، ابن قطلوبغا: شرح المسايرة ٢٥٠-٢٥٢، ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية ٤٧٦-٤٧٩، السفاريني: لوامع الأنوار ٢/٢٣٣.

(٣) أخرجه البخاري (الفتح ٦/٣١٧) في كتاب (٥٩) بدء الخلق، باب (٨) ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم ٣٢٤٠.

ومسلم (٤/٢١٩٩) في كتاب (٥١) الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم/٢٨٦٦.

والنسائي (٤/١٠٦) في كتاب (٢١) الجنائز، باب (١١٦) وضع الجريدة على القبر رقم/٢٠٧٠،

ومالك في الموطأ ١/٢٣٩،

والبيهقي في عذاب القبر ص ٦٣.

الا ضعفاء الناس وسقطهم ... "(١)

وقال الحافظ ابن كثير: " والجنة والنار موجودتان الآن، معدتان لأصحابهما ، كما نطق بذلك القرآن ، وتواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة، المستمسكين بالعروة الوثقى ، وهي السنة المثلى الى قيام الساعة ، خلافا لمن زعم أن الجنة والنار لم يخلقا بعد ، وانما يخلقان يوم القيامة ، وهذا القول صدر ممن لم يطلع على الأحاديث المتفق على صحتها في الصحيحين وغيرهما من كتب الاسلام المعتمدة المشهورة بالأسانيد الصحيحة والحسنة ، مما لايمكن دفعه ولارده لتواتره، واشتهاره "(٢).

- خلود الجنة والنار مع أهليهما :

يرى السلف رحمهم الله تعالى أيضا أن الجنة والنار لاتفنيان أبدا ولاتبيدان . قال الامام أبو حنيفة في الوصية(٣): " وأهل الجنة في الجنة خالدون ، وأهل النار في النار خالدون ، لقوله تعالى في حق المؤمنين " أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون "(٤) وفي

(١) أخرجه البخاري (الفتح ٨/ ٥٩٥) في كتاب (٦٥) التفسير، باب (١) "وتقول هل من مزيد" من سورة ق ، رقم/ ٤٨٥٠ .
ومسلم (٤/ ٢١٨٦) في كتاب (٥١) الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب (١٣) النار يدخلها الجبارون، رقم/ ٢٨٤٦ .

(٢) النهاية في الفتن ٢/ ٤٠٧ .

(٣) الوصية ص ٧، انظر ايضا : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٦ ، القاري: شرح الفقه الأكبر ص ١٤٦ .

(٤) البقرة ٨٢ ، الأعراف ٤٢ .

حق الكفار " أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (١) .

وقد ذكر العلامة ابن كمال ما يوافق أدلة أهل السنة والجماعة على خلود الجنة والنار وخلود أهليهما من الكتاب ، ذكرنا مع تفسيرها فيما سبق ..

وأما الأحاديث الدالة على خلود الجنة والنار وأهليهما :

فمنها ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة ! لاموت ، يا أهل النار ! لاموت ، فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم " (٢) .

ومنها ما أخرجه الشيخان أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ! هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ، ويقولون : نعم ، هذا الموت ، قال : ويقال : يا أهل النار ! هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح ، قال : ثم يقال : يا أهل الجنة !

---

(١) البقرة ٣٩ ، ٢١٧ ، ٢٥٧ .

(٢) أخرجه البخارى (الفتح ١١/٤١٥) فى كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٥١) صفة الجنة والنار ، رقم ٦٥٤٨ .

ومسلم (٤/٢١٨٩) فى كتاب (٥١) الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب (١٣) النار يدخلها الجبارون ، رقم ٢٨٥٠ .

خلود فلا موت ، ويا أهل النار ! خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون "(١) ، وأشار بيده الى الدنيا ".(٢)
واللفظ لمسلم.

فقال العلامة السفارينى بعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على خلود الجنة والنار وأهليهما : " فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة ، والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودا مؤبدا ، كل بما هو فيه من نعيم وعذاب اليم ، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة ، فاجمعوا أن عذاب الكفار لاينقطع ، كما أن نعيم أهل الجنة لاينقطع ، ودليل ذلك الكتاب والسنة "(٣).

وأما الاجماع فقد ذكره الامام ابن حزم فى مراتب الاجماع(٤) - وأقره شيخ الاسلام ولم يعقبه - : " وأن الجنة حق ، وأنها دار نعيم أبدا ، لاتفنى ولايفنى أهلها بلا نهاية ... وأن النار حق ، وأنها دار عذاب أبدا ، لاتفنى ولايفنى أهلها أبدا بلا نهاية ... ".

أقول بعد هذا العرض الطويل ان إمامنا ابن كمال باشا لم يحد عن منهجه فى مباحث الجنة والنار بخاصة ومباحث السمعيات بعامة ، وهو اتباع ما ورد فى الكتاب والسنة وقبوله من غير تأويل ، وهو مذهب السلف رضوان الله عليهم أجمعين ...

---

(١) مريم/٣٩ .

(٢) أخرجه البخارى (الفتح ٨/٤٢٨) فى كتاب (٦٥) التفسير ، باب (١) " وأنذرهم يوم الحسرة " من سورة مريم ، رقم ٤٧٣٠ .
ومسلم (٤/٢١٨٨-٢١٨٩) فى كتاب (٥١) الجنة وصفة نعيمها ، باب (١٣) النار يدخلها الجبارون ، رقم ٢٨٤٩ .

(٣) لوامع الأنوار ٢/٢٣٤ ، وانظر كذلك : ابن قطلوبغا : شرح المسايرة ص ٢٥٢ ، القرطبى : التذكرة ٢/١٠٣ ، ابن كثير : النهاية فى الفتن ٢/٣٠٠ ، ٣٤١ .

(٤) ص ١٧٣ وكذلك : الفصل فى الملل ٤/١٤٥ ، ١٤٨ .

(الخاتمـــــــــة)

بعد أن اكتمل هذا البحث المتواضع على الصورة التى يراها القارئ الكريم أحب أن أذكر خلاصة موجزة كل الإيجاز لما دار من المباحث فيـــــه ، وهى تعتبر النتائج لمثل هذا البحث، إذ لا ينتظر فى مثل هذه الموضوعـــات الوصول الى مخترعات جديدة، أكثر من معرفة آراء الرجال،وجمعها فـــــى مباحثها، وترتيبها، ثم تقويمها تقويما سليما .

فالشخصية التى دار حولها البحث هو " ابن كمال باشا "، أحـــــد المتبحرين فى العلوم العقلية والنقلية، وفنون عديدة، منها فى القـــرن العاشــــر .

١- أثبتت الرسالة انه ولد فى بيت إمارة ووزارة، أخذ تعليمـــــه الأول فى سن مبكرة ، حفظ القرآن الكريم ، ودرس اللغة وبعض كتـــب الادب .
ثم التحق بالجيش وشارك فى الحملات الجهادية ضد الكفرة فى اوروبـــا، ثم ترك الجيش وانتقل الى صفوف العلماء بعد الخامس والعشريـــن من عمره، فلازم العلماء المشهورين فى عصره، ثم تقلد الوظائـــــف العديدة، من التدريس والقضاء والإفتاء، وقضى حياته كلها فـــــى خدمة العلم .

٢- كما أثبتت الرسالة أن ابن كمال باشا خلف آثارا كثيرة فى أنواع العلوم، يقدر (٣٦٩) كتابا ورسالة، عبارة عن شروح وحواش وتعليقات على كتـــب السابقين، ورسائل فى مسائل غامضة، ما من فن الا وله فيه مصنـــــف أو مصنفات، وكتبها باللغات الثلاث : العربية والفارسية والتركيـــة ، حاولت استقصاءها مع الإشارة الى اماكن وجودها من الموجودة منها .

٣- كما وضحت الرسالة أن العصر الذى عاش فيه ابن كمال باشا عصر جهاد فى أوروبا، وان الدولة التى عاش فى ظلها اهتمت اهتماما بالغا باللغة العربية والعلوم الاسلامية، وأنشأ لها مدارس كثيرة فى أماكن عديدة .
وهذا ما يتعلق بشخصية ابن كمال باشا وعصره .

واما ما يتعلق بآرائه .....

٤- بينت الرسالة أن ابن كمال باشا ذهب فى معرفة الله تعالى إلى أن العقل يمكن أن يدرك وجوبها، ولكن الوجوب لا يكون الا ممن تملك الإيجاب، وهو الله تعالى، وأشرنا الى الفرق الدقيق بين رأى الامام ابن كمال والماتريديه - ورأى المعتزلة، فالعقل عند المعتزلة موجب، وعند الماتريديه آلة لمعرفة الوجوب، وبينا أن قيام الحجة على البشر بالرسل والوحى، وليس بالعقل .

٥- وفى وجود الله عز وجل استدل بدليل الآفاق والأنفس على وجوده تعالى، وهو أمر اتفق فيه مع السلف، الا أنه وافق المتكلمين فى الاستدلال بحدوث الأعراض والأجسام على حدوث العالم، زاعما انه طريقة ابراهيم الخليل عليه السلام، وهذا أمر خالف فيه السلف، وقد بينت أن هذه الطريقة مبتدعة باطلة .

٦- وفى الاستدلال على الوحدانية بدليل التمانع وافق كذلك المتكلمين، وخالف فيه السلف، إذ الغاية الأسمى من إنزال الكتب وإرسال الرسل هو توحيد الإلهية الذى يتضمن توحيد الربوبية، وهو أمر فطرى لم يختلف فيه الملل والنحل .

٧- وفى أسماء الله تعالى يقول بتوقيفية أسماء الله تعالى، وإثبات جميع ما ورد فى النصوص منها، وهذا أمر وافق فيه السلف رضى الله عنهم .

٨- وأثبت فى باب الصفات ثمانى صفات فقط وهى الحياة ، والقدرة ، والعلم، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والتكوين ، متفقا فى ذلك مع الماتريدية

وأرجع جميع صفات الأفعال الى صفة التكوين،وقال بثبوت الصفات الذاتية والفعلية دون تفرقة بينهما فى القول بأزليتها .

إلا أنه تابع المتأخرين من المتكلمين فى تأويل الصفات الخبرية مخالفا فيها إمامه وباقى أئمة السلف .

وأما فى صفة الكلام قال بانه معنى واحد قديم ازلى وليس بحرف ولا صوت، وانه كلام نفسى وأما اللفظى فهو عبارة عن ذلك المعنى القديم،وبذلك وافق المتكلمين الاشاعرة والماتريدية،وخالف فيها مذهب السلف ، فقد بينت أن رأيه هذا ليس له دليل من الكتاب والسنة وأقوال الائمة .

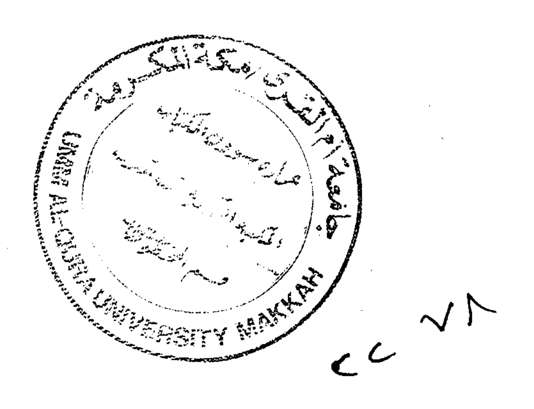
٩- وأما فى مباحث أفعال الله تعالى فهو يوافق السلف فيها، اذ يرى أن الله يفعل لحكمة،وأن أفعالها معللة بحكم ومصالح العباد،وأن الافعال حسنة لذاتها وقبيحة لذاتها،والعقل يدرك حسن بعض الأفعال وقبحها،وأن للعباد أفعالا اختيارية يثابون ويعاقبون عليها،وأن العباد مختارون فى أفعالهم وأعمالهم،والله خالقها،وأن كل ما يقع فى الكون بمشيئة الله تعالى وإرادته،والله قدّر الأشياء فى الأزل على حسب علمه الأزلى، كما وافق السلف فى إثبات رؤية الله تعالى فى الاخرة وفى النوم كذلك .

١٠- وفى باب النبوات يرى أن إرسال الرسل جائز،بل واجب بقضية الحكمة، فبينت معناها، وأشرت الى الفرق بينه وبين إيجاب المعتزلة اللطف على الله تعالى،وتعرضت لرأيه فى تعريف النبى والرسول والفرق بينهما مع الإشارة الى اضطراب رأيه فيه .

١١- وأما رأيه فى أبواب السمعيات يوافق رأى السلف فيها، إذ هو يثبت ويؤمن بجميع المسائل المتعلقة باليوم الآخر ومقدماتها من سؤال القبر وعذابه

أو نعيمه، واشراط الساعة، وأحداث اليوم الآخر من البعث الجسماني، والحشر، والشفاعة والعرض وأخذ الكتب وقراءتها، والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وأنهما مخلوقتان الآن، وأنهما لا تفنيان.

فهذه تعتبر مجمل النتائج بالنسبة لهذا البحث، فإن أصبت فمن الله عز وجل، وإن اخطأت فمني ومن الشيطان، وما توفيقي الا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .



قائمة المصادر

* القرآن الكريم .

أولا: مؤلفات ابن كمال باشا :

١) اشارات لطيفة ونكات شريفة في علم الكلام (= تحقيق الكلام في علم الكلام) (خ) ضمن مجموعة في مكتبة الحرم المكي الشريف برقم ١٥٠/ ٢٣ .

٢) تغيير التنقيح (ط) ،مطبعة جمال أفندى ،استانبول ،١٣٠٤هـ .

٣) تفسير ابن كمال باشا (خ) من سورة الفاتحة الى سورة الأعراف ، اعتمدت على نسخة الحرم المكي الشريف / ٢٨٠ تفسير. ومن الاعراف الى نهاية الصافات ،نسخة دار الكتب المصرية رقم / ٦٣٣٨ . وكذلك نسخة ينى جامع باستانبول برقم / ٢٠ .

٤) تفسير سورة الطارق (خ) ضمن مجموعة بأحمد الثالث برقم / ١٥٤١.

٥) تفسير سورة الملك (ط) ت . د . حسن ضياء الدين عتر ، دار البشائر الاسلامية ، بيروت / ١٤٠٧هـ .

٦) تفسير سورة النازعات (خ) ضمن مجموعة بأحمد الثالث برقم /١٥٤١.

٧) تفسير سورة النبأ (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " مطبعة اقدام ، استانبول ١٣١٦هـ .

٨) حاشية على تجريد الطوسي (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم / ٢٥٩٧ .

٩) حاشية على تغيير التنقيح له ، (ط)مع " تغيير التنقيح " بمطبعة جمال أفندى ، استانبول ،١٣٠٤هـ .

١٠) حاشية على حاشية السيد الشريف على الكشاف للزمخشرى (خ) بالمكتبة المركزية بالجامعة برقم / ٣٧٧.

١١) حاشية على شرح طوالع الأصفهاني (خ) بجار الله أفندى باستانبول برقم / ١١٦٩ .

١٢) رسائل ابن كمال باشا (وفيها ٣٦ رسالة له) (ط) بمطبعة اقدام ، استانبول ، ١٣١٦هـ .

١٣) رسالة الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية (ط) بمطبعة جمال أفندى ، ضمن مجموعة ، استانبول ، ١٣٠٤هـ .

١٤) رسالة الفرائد (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة اقدام ، استانبول ، ١٣١٦هـ .

١٥) رسالة في أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم (خ) بالمكتبة الوطنية بتونس برقم ١٨٠٦٦ ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي بالجامعة برقم / ٢٤٥ .

١٦) رسالة في إكفار قزلباش (الروافض) (خ) بالمحمودية برقم/٢٥٩٧ .

١٧) رسالة في بيان الروح (خ) بمكتبة فاتح برقم / ٥٣٣٧ مجاميع .

١٨) رسالة في بيان سر عدم نسبة الشر الى الله تعالى (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " ، مطبعة اقدام ، استانبول ١٣١٦هـ .

١٩) رسالة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة (خ) ضمن مجموعة في مكتبة الحرم المكي الشريف برقم / ١٥١ .

٢٠) رسالة في تحقيق أن القرآن معجز (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم / ٢٥٩٧ .

٢١) رسالة في أن الممكن لايكون أحد الطرفين أولى به من نفسه (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم / ٢٥٩٧ .

٢٢) رسالة في تحقيق التغليب (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم/٢٥٩٧.

٢٣) رسالة في تحقيق الخواص والمزايا (خ) ضمن مجموعة ببرنستون برقم ٢٩٠٤ ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي برقم / ٣٧٧ .

٢٤) رسالة في تحقيق زيادة الوجود على الماهية (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم / ٢٥٩٧.

٢٥) رسالة في تحقيق القول بأن الشهداء أحياء في الدنيا (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا" مطبعة اقدام ، استانبول ١٣١٦هـ .

٢٦) رسالة في تحقيق المعجزة وبيان وجه دلالتها على صدق من يدعي النبوة (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ١٣١٦هـ .

٢٧) رسالة في تحقيق الوجود الذهني (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم / ٢٥٩٧ .

٢٨) رسالة في تفصيل الايمان ،(خ) بالمكتبة الوطنية بتونس برقم ١٨٠٦٦ ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي بالجامعة برقم / ٢٤٥ .

٢٩) رسالة في حقيقة الميزان (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة اقدام ،استانبول ،١٣١٦هـ .

٣٠) رسالة في حشر الأجساد (خ) ضمن مجموعة بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم / ١٥١.

٣١) رسالة في رؤية الله تعالى في المنام (خ) بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٩ مجاميع تيمور ،وعندى عنها صورة .

٣٢) رسالة في رفع مايتعلق بالضمائر من الأوهام (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بتحقيق د . ناصر سعد الرشيد ، ط . النادى الأدبي ، بالرياض ، ١٤٠١هـ .

٣٣) رسالة في الشخص الانساني (= الروح) (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ١٣١٦هـ .

٣٤) رسالة في علوم الحقائق وحكمة الدقائق (خ) ضمن مجموعة ببرنستون برقم ٢٩٠٤ ،وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي / ٣٧٧ .

٣٥) رسالة في القضاء والقدر (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " ، باستانبول / ١٣١٦هـ .

٣٦) رسالة في مسألة خلق القرآن (خ) بالمحمودية برقم ٢٥٩٧ مجاميع واعتمدت كذلك – مع البيان – على ميكروفلم بمركز البحث العلمي برقم / ٦٧٣.

٣٧) شرح الأربع والعشرين حديثا (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم/٢٥٩٧.

٣٨) شرح الأربعين (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ،١٣١٦هـ .

٣٩) شرح العشر في معشر الحشر (خ) ببرنستون برقم ٣٣٣٠ مجاميع ،وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي برقم / ٤٢١.

٤٠) شرح القصيدة الخمرية لابن الفارض (خ) ضمن مجموعة بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم / ١٥١ .

٤١) شرح المقالة المفردة في الكلام للايجي (خ) ضمن مجموعة ببرنستون برقم ٨٣٢ ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي بالجامعة برقم ٦٧٣ .

٤٢) عقائد مختصرة (بالتركية) (خ) ضمن مجموعة بمكتبة طيرنوالي برقم / ١٨٦٠.

٤٣) كتاب الرد على الفرق (= المقالات في بيان أهل البدع والضلالات) (خ) ، بمكتبة جامعة ليدن برقم ٤/٢٦٣٦ ،وعندى عنهاصورة ، وكذلك بالمكتبة المركزية برقم / ١٦٠٤(خ) الا أنه ناقص ،سقطت منه ورقتان من الوسط .

ثانيا: المصادر العامة :

الآلوسي : أبو الثنا شهاب الدين محمود البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) :

٤٤)- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،دار الفكر ، بيروت ،١٤٠٣هـ .

الآمدي : سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي (ت ٦٣١ هـ) .

٤٥) أبكار الأفكار (خ) مكتبة آيا صوفيا - ٢١٦٦ وعنها ميكروفلم في مركز البحث العلمي بالجامعة برقم ٥٤ عقيدة .

٤٦) غاية المرام في علم الكلام ،ت . حسن محمود عبد اللطيف ،ط . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ،١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

أحمد بن حنبل : الامام (ت ٢٥٢ هـ) :

٤٧) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة ،ضمن عقائد السلف،ت . علي سامي النشار - عمار الطالبي ،ط . منشأة المعارف ، الاسكندرية ،١٩٧١م .

٤٨) المسند ، المكتب الاسلا مي ،بيروت ،بدون تاريخ .

الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) :

٤٩) تهذيب اللغة ،ت.عبد السلام هارون ، ط . الدار المصرية للتأليف والترجمة ،القاهرة ،١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

الاسفراييني : أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد (ت ٤٧١هـ) :

٥٠) التبصير في الدين ،ت . محمد زاهد الكوثري ،ط . الأنوار ، القاهرة ١٣٥٩هـ .

الأشعري : الامام أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٣٣٠ هـ) :

٥١) الابانة عن أصول الديانة ،ت . فوقية حسين ،دار الانصار ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ .

٥٢) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ،عناية : هلموت ريتر ،ط . دار نشر فرانز شتاينر بفيسبادن ، الثانية ،١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

ابن أبي أصيعبة : أحمد بن القاسم :

٥٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،ت. نزار رضا،مكتبة الحياة ، بيروت .

الأصفهاني : أبو نعيم أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ):

٥٤) تاريخ بغداد ، ط. مكتبة المثنى ،الأولى ،١٣٤٩هـ .

٥٥) دلائل النبوة ،ت ،محمد رواس قلعه جي ،ط. دار النفائس الثانية ، بيروت ،١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ابن الأنباري : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧):

٥٦) الداعي الى الاسلام في أصول علم الكلام ،ت. سيد باغجوان ،ط. دار البشائر الاسلامية ،الأولى ،بيروت ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

الايجي : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد

٥٧) المواقف في علم الكلام ،عالم الكتب ،بيروت ،بدون تاريخ .

ابن اياس : أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ) :

٥٨) بدائع الزهور في وقائع الدهور ،ت. محمد مصطفى ،ط. عيسى الحلبي ، القاهرة ،١٣٨٠ هـ .

الباقلاني: القاضي أبوبكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ):

٥٩) كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة ، تصحيح الأب رتشرد يوسف مكارثي ،المكتبة الشرقية ، بيروت ،١٩٥٨م .

٦٠) كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ،ت. عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ،١٤٠٧هـ .

ابن بالي : علي بن بالي بن محمد الرومي المعروف بمنق (ت ٩٩٢هـ):

٦١) العقد المنظوم في أفاضل الروم ،وهو ذيل على الشقائق النعمانية لطاشكبرى زاده ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،١٣٩٥هـ .

البخاري : الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) :

٦٢) الجامع الصحيح ، المطبوع مع شرحه " فتح الباري " ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، تصحيح محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية ، القاهرة .

٦٣) خلق أفعال العباد ، ضمن عقائد السلف ، ت . علي سامي النشار ، عمار الطالبي ، ط . منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧١م .

البخاري : عبد العزيز البخاري :

٦٤) كشف الأسرار على أصول الامام فخر الاسلام البزدوي ، طبعة مصورة عن طبعة استانبول ، كراتشي ، باكستان .

بخيت : الشيخ محمد بخيت المطيعي :

٦٥) القول المفيد شرح وسيلة العبيد في علم التوحيد ، ط . المطبعة الخيرية الأولى ، القاهرة ١٣٢٦هـ .

بروكلمان : كارل

٦٦) تاريخ الأدب العربي (بالألمانية) ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٤٣م .

البزدوي : أبو اليسر محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٤٩٣هـ) :

٦٧) أصول الدين ، ت . هانز بيترلنس ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

البزدوي : فخر الاسلام ، أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين .

٦٨) أصول البزدوي ، المطبوع مع شرحه " كشف الاسرار " للبخاري .

البستاني :

٦٩) دائرة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٠م .

البغدادي : اسماعيل باشا (١٣٤٠هـ) :

٧٠) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، استانبول ، ١٩٤٥م .

٧١) هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ط . استانبول .

٧٢) أصول الدين ،ط . استانبول ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.

٧٣) الفرق بين الفرق ،ت . محمد زاهد الكوثرى ،ط. عزت العطار ، القاهرة ١٣٦٧هـ .

البغـــوى : أبو محمد حسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ) :

٧٤) شرح السنة ،ت . شعيب الأرنؤوط ، المكتب الاسلا مي ،بيروت ،١٤٠٣هـ .

البوطـــي : د . محمد سعيد رمضان :

٧٥) كبرى اليقينيات الكونية ،ط . دار الفكر ، الثامنة ،دمشق ،١٩٨٢م.

البياضـــي : كمال الدين أحمـــد (١٠٩٢هـ) :

٧٦) إشارات المرام من عبارات الإمام ،ت . يوسف عبد الرزاق ،ط . مصطفـــى البابي الطبـي ، الأولى ، القاهرة ،١٣٦٨- ١٩٤٩م.

البيجـــوري : ابراهيم بن محمـــد (ت ١٢٧٧هـ) :

٧٧) تحفـــة المريد شرح جوهرة التوحيد - دار الكتب العلمية ،بيروت ١٤٠٣هـ.

البيضـــاوى : أبو سعيد عبد الله بن عمـــر (٦٨٥هـ) :

٧٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،موسة شعبان للنشر ،بيروت .

البيهقـــي : الحافظ أبوبكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) :

٧٩) الأسماء والصفات ، ط. دار الكتب العلمية ، الأولى ،بيروت ١٤٠٥هـ .

٨٠) الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد ،ت . كمال يوسف الحوت ،عالم الكتب ، بيروت ،١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٨١) دلائل النبوة ،ت . عبد المعطي قلعه جي ،دار الكتب العلمية ،بيروت،١٤٠٥هـ

٨٢) عذاب القبر وسؤال الملكين ، المكتب السلفي لتحقيق التراث الاسلامـــي ، مصـــر .

٨٣) كتاب البعث والنشور ،ت . عامر أحمد حيدر ،ط . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ، الأولى ،بيروت ،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الترمـــذى : أبو عبد الله محمدبن علي الحكيم (ت ٣٢٠هـ) :

٨٤) نوادر الأصول ، ت .د .السيد الجميلى وزميلـه ،دار الريان ،القاهرة ،١٤٠٨هـ .

الترمذي : الامام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ):

٨٥) الجامع الصحيح (السنن) ،ت . أحمد شاكر ،ومحمد فؤاد عبد الباقي وابراهيم عطوه عوض ،دار احياء التراث العربي ، بيروت .

التفتازاني : سعد الدين مسعود بن عمر (ت٧٩١هـ):

٨٦) التلويح على التوضيح لصدر الشريعة المحبوبي (ت ٧٤٧هـ) ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،بدون تاريخ .

٨٧) شرح العقائد لعمر النسفي (ت٥٣٧هـ) ،ط . استانبول ،١٣١٠هـ .

٨٨) شرح المقاصد، ت . عبد الرحمن عميره ،ط . عالم الكتب الأولى ، بيروت ، ١٤٠٩هـ .

التميمي : تقي الدين عبد القادر (ت ١٠٠٥هـ):

٨٩) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، ت. عبد الفتاح محمد الحلو ، ط . دار الرفاعي الأولى ، الرياض ،١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

التميمي : أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز

٩٠) اعتقاد الامام أحمد بن حنبل ،ملحق طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ، ط . محمد حامد الفقي ،١٣٧١ هـ ، ١٩٥٢م.

التهانوى : محمد علي الفاروقي :

٩١) كشاف اصطلا حات الفنون ،ت . لطفي عبد البديع ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف ،القاهرة ،١٩٦٣م /وطبعة الهند .

ابن تيمية : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ) :

٩٢) بغية المرتاد ،ت . موسى بن سليمان الدويش ،ط . مكتبة العلوم والحكم ، الاولى ،المدينة المنورة ،١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م.

٩٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ،ت . محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم ،مطبعة الحكومة ،مكة المكرمة ،١٣٩١هـ

٩٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ،مطابع المجد التجارية ،بدون تاريخ.

٩٥) درء تعارض العقل والنقل ،ت . محمد رشاد سالم ،ط. جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٩٦) شرح العقيدة الأصفهانية ،تقديم حسنين مخلوف ،دار الكتب الحديثة ، مصر .

٩٧) مجموعة الرسائل الكبرى ،مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .

٩٨) مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ،لجنة التراث العربي .

٩٩) منهاج السنة النبوية ،ت . محمد رشاد سالم ،ط. مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ،١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

١٠٠) النبوات : المطبعة السلفية ومكتبتها ،القاهرة ١٣٨٦هـ

الجبوري : د. عبد الله :

١٠١) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ،ط. رئاسة ديوان الأوقاف ،بغداد ،ج ١ ،١٣٩٣هـ ،ج٢ ، ١٣٩٤هـ .

الجرجاني : السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد (ت ٨١٦ هـ):

١٠٢) التعريفات ، مطبعة أحمد كامل ، استانبول ،١٣٢٧هـ .

١٠٣) ومعه متممات التعريفات ، لمؤلف مجهول .

١٠٤) شرح المواقف ،مطبعة الحاج محرم أفندى ، استانبول ١٢٨٦هـ .

الجزيري : عبد الرحمن

١٠٥) توضيح العقائد في علم التوحيد ، مطبعة الارشاد ، مصر ،١٩٤٥م.

الجليند : د . محمد السيد :

١٠٦) الامام ابن تيمية وقضية التأويل ، مكتبات عكاظ ، السعودية،١٤٠٣هـ .

١٠٧) مقدمة لكتاب التوحيد لابن تيمية ،ط . مطبعة التقدم الثانية، القاهرة ١٣٩٩هـ .

ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧هـ):

١٠٨) زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الاسلا مي ،بيروت ١٣٨٥هـ .

١٠٩) مناقب الامام أحمد بن حنبل ،دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،١٤٠٢هـ .

١١٠) الموضوعات ، ط. دار الفكر ، الثانية ،بيروت ،١٤٠٣هـ .

الجوهـــري : أبو نصر اسماعيل بن حمـــاد (ت ٣٩٣هـ):

١١١) الصحاح ،ت . أحمد عبد الغفور عطار ،الطبعة الثانية ،١٤٠٢هـ .

الجوينـــي : إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله ،أبو المعالي (ت٤٧٨هـ):

١١٢) الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ،ت . محمد يوسف موسى ، وزميله ،مكتبة الخانجي، مصر ١٣٦٩هـ .

١١٣) العقيدة النظامية ،ت . محمد زاهد الكوثرى ،مطبعة الأنوار ، القاهرة ،١٣٦٧هـ .

حاجي خليفـــه : مصطفى بن عبد الله (١٠٦٧هـ):

١١٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،استانبول ١٩٤١ م.

الحاكـــم : أبو عبد الـــه محمد بن عبد الله النيسابورى (ت٤٠٥هـ):

١١٥) المستدرك على الصحيحين ،ط . حيدر أباد ،١٣٣٤- ١٣٤٢هـ .

ابن حجـــر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على العسقلا ني (ت٨٥٢هـ):

١١٦) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ،تصحيح وتعليـــق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني ،المدينـــة المنورة ،١٣٨٤هـ .

١١٧) فتح البارى شرح صحيح البخارى ،ترقيم محمد فؤاد عبد البـاقـــي ، تصحيح محب الدين الخطيب ،المكتبة السلفية ،القاهرة.

١١٨) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ، طبع مع " الكشاف "٤ دار المعرفـة ،بيـــروت .

١١٩) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ،ت . الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ،ط . المطبعة العصرية ،الأولى ،الكويت ، ١٣٩٣هـ .

ابن حجر الهيتمي : شهاب الدين أحمد بن حجر (ت٩٧٤هـ) :

١٢٠) الفتاوى الحديثية ، مصورة دار المعرفة عن الطبعة المصرية ، بيروت .

الحديدى : د . محمد أبو النور :

١٢١) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة اليهم ، مطبعة الامامة ، مصر .

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ):

١٢٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل ،ت . عبد الرحمن عميره وزميله ، مكتبات عكاظ ، السعودية ،١٤٠٢هـ .

١٢٣) مراتب الاجماع ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،بدون تاريخ .

ملا حسين ابن اسكندر الحنفي :

١٢٤) الجوهرة المنيفة في شرح الوصية للامام أبي حنيفة ،ط . الشئون الدينية ،قطر ،بدون تاريخ .

حلمي : د . مصطفى

١٢٥) الحياة الروحية في الاسلام ،ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب الثانية ، ١٩٨٤م .

الحليمي : أبو عبد الله الحسين بن حسن (ت ٤٠٣ هـ) :

١٢٦) المنهاج في شعب الإيمان ،ت . حلمي فودة ،دار الفكر ،بيروت ،١٣٩٩هـ

الحمد : د . أحمد ناصر :

١٢٧) ابن حزم وموقفه من الإلهيات ،ط . جامعة أم القرى ، الاولى ،١٤٠٦هـ .

١٢٨) رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها ،معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ،١٤١١هـ .

الحميضي : د . عبد الرحمن بن ابراهيم :

١٢٩) خوارق العادات في القرآن الكريم ،ط . شركة مكتبات عكاظ للنشر ، السعودية ،١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

ابن الحنائي : علي بن محمد الحَمِيدى (٩٧٩هـ) :

١٣٠) طبقات الفقهاء ، المنسوب خطأ لطاشكبرى زاده ،نشر أحمد نيلة ، الموصل ،١٩٥٤م.

أبو حنيفة : الامام نعمان بن ثابت الكوفي (ت ١٥٠هـ) :

١٣١) الفقه الأكبر ، المطبوع ضمن الرسائل الخمس للامام ،دار القلم للنشر مع الترجمة التركية ،استانبول ،١٩٨١م.

١٣٢) الوصية ، المطبوع ضمن الرسائل الخمس .

الخازن : علاء الدين علي بن محمد البغدادى :

١٣٣) لباب التأويل في معاني التنزيل ،ط . دار المعرفة ،(المصورة عن طبعة الميمنية ، القاهرة ،١٣١٧هـ) ،بيروت .

ابن خزيمة : محمد بن اسحاق :

١٣٤) كتاب التوحيد ،ت . محمد خليل هراس ،تصوير دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

خفاجي : د . محمود أحمد :

١٣٥) في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ، تحليل ونقد ،الجزء الأول ،ط . الاولى ،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ) :

١٣٦) وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ،ت . احسان عباس ،دار الثقافة بيروت .

الدار قطني : الامام أبو الحسن علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ) :

١٣٧) كتاب الرؤية ،ت . ابراهيم محمد العلي وزميله ،مكتبة المنار ، الزرقاء ، الاردن ،١٤١١هـ .

الدارمي : أبو سعيد (ت ٢٨٠هـ):

١٣٨) الرد على الجهمية ، ضمن عقائد السلف ، ت. علي سامي النشار ، وزميله ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧١م.

الدارمي : الامام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ) :

١٣٩) السنن ، ت. محمد أحمد دهمان ، دار احياء السنة النبوية .

أبوداود : سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) :

١٤٠) السنن ، ت. عزت عبيد دعاس ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨هـ .

الدواني : جلال الدين .

١٤١) شرح العقائد العضدية ، ت. سليمان دنيا ، بعنوان "الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين " ط. عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ .

ابن الديبع : عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني (ت ٩٤٤هـ):

١٤٢) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار ، ت. عبد الله بن ابراهيم الأنصاري ، مطابع قطر الوطنية ، قطر .

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ):

١٤٣) تلخيص المستدرك ، بهامش المستدرك للحاكم .

١٤٤) سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ .

١٤٥) العلو للعلي الغفار ، تصحيح عبد الرحمن عثمان ، ط. دار الفكر ، الثانية ، بيروت ، ١٣٨٨هـ .

الرازي : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦هـ):

١٤٦) الأربعين في أصول الدين ، ت. د. أحمد حجازي السقا ، الكليات الأزهرية ، مصر .

١٤٧) أساس التقديس ،ت . د . أحمد حجازى السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٤٨) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات ،ت . طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م. القاهرة .

١٤٩) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، ت . طه عبد الرؤوف سعد ،ط . دار الكتاب العربي ، الأولى ،بيروت ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

١٥٠) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير) ،دار الكتب العلمية ،طهران .

الراغب : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ):

١٥١) الذريعة الى مكارم الشريعة ،ت . أبو اليزيد العجمي ،ط . دار الوفاء ، الثانية ، المنصورة ،١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

ابن رجب الحنبلي : أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (٧٩٥هـ):

١٥٢) التخويف من النار ،ت . بشير محمد عيون ،ط . دار البيان الاولى، دمشق، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٥٣) الذيل على طبقات الحنابلة ،تصحيح محمد حامد الفقي ،ط . السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ – ١٩٥٢م.

رزق الحجر :

١٥٤) ابن الوزير اليمني ومنهجه الكلامي ،ط . الدار السعودية ،الاولى جدة ،١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

ابن رشد : القاضي محمدبن أحمد (٥٩٥) :

١٥٥) مناهج الأدلة في عقائد الملة ،ت . محمود قاسم ،مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، القاهرة .

الزبيـــدي : محمد بن الحسين ، أبو الغيض (ت ١٢٠٥هـ) :

١٥٦) اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين ، ط • الميمنيـة ، القاهرة ، ١٣١٢هـ •

الزركلـي : خير الديـن :

١٥٧) الاعلام ، ط • دار العلم للملايين ، الخامسة ، بيروت ، ١٩٨٠م •

الزمخشـري : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (٥٣٨هـ) :

١٥٨) أساس البلاغة ، ط • دار المعرفـة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ •

١٥٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، دار المعرفة ، بيروت •

أبو زهـرة : محمـد :

١٦٠) تاريخ المذاهب الاسلامية ، دار الفكر العربي ، بدون بيانات أخرى •

زيـدان : جرجي :

١٦١) تاريخ آداب اللغة العربيـة ، دار الهلال ، القاهـرة •

سالـم عبد الرزاق أحمـد :

١٦٢) فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ، ط • وزارة الأوقاف والشئون الدينيـة ، العراق ، ١٣٩٧ ، ١٩٧٧ م •

السخـاوي : محمد بن عبد الرحمـن (ت ٩٠٢هـ) :

١٦٣) المقاصد الحسنة ، ت • عبد الله محمد الصديق ، ط • دار الكتـب العلميـة ، الأولى ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م •

ابن سعـد : محمد (ت ٢٣٠هـ) :

١٦٤) الطبقات الكبرى ، دار بيروت ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٧هـ •

أبو السعـود : محمد بن محمد العمادى (ت ٩٨٢هـ) :

١٦٥) إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت •

١٦٦) رسالة في بيان لفظ جلبي ، مخطوطة بالمحمودية بالمدينة المنورة ضمن مجموعة برقم / ٢٧٨٧ .

١٦٧) رسالة في الرياء والاستخفاف بالدين والجهر بالذكر والتغني واللحن ، المطبعة العمومية ، تونس ،١٣١٧هـ .

السفاريني : محمد بن أحمد :

١٦٨) لوامع الأنوار البهية ،ط . المكتب الاسلامي الثامنة ،بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

السمرقندى : شمس الدين (ت بعد ٦٩٠هـ):

١٦٩) الصحائف الإلهية ،ت . أحمد عبد الرحمن الشريف ،مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٥هـ .

السمرقندى : علاء الدين أبوبكر محمد بن أحمد (ت ٥٣٩هـ):

١٧٠) ميزان الأصول في نتائج العقول ،ت . محمد زكي عبد البر ،مطابع الدوحة القطرية ،١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

ابن سيناء : أبو علي الحسين :

١٧١) رسالة الأضحوية في المعاد ، ت . حسن عاصي ،ط . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الاولى ،بيروت،١٤٠٤هـ -١٩٨٤م

١٧٢) النجاة في الحكمة ... ،ط . الكردى ، الثانية ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ):

١٧٣) أحوال الروح ،(خ) في مكتبة برنستون ،برقم/ ٨٣٢ ،وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي بالجامعة برقم / ٦٧٣ .

١٧٤) تخريج أحاديث شرح المواقف للجرجاني ،ت . حمدى بن عبد المجيد السلفي ،مكتبة دار الاقصى ،الكويت ،١٤٠٥هـ .

١٧٥) تخريج أحاديث شرح العقائد للسعد ، طبع مع الكتاب السابق ذكره.

١٧٦) الدر المنثور ،ط ، دار الفكر ، الأولى ،بيروت ١٤٠٣هـ

الشاطبي : أبو اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي (ت٧٩٠هـ) :

١٧٧) الموافقات ، مكتبة التجارية الكبرى ،مصر ، (بعناية محمد دراز) .

*) الاعتصام ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ،بدون تاريخ .

شكعة : د . مصطفى :

١٧٨) جلال الدين السيوطي مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية ،مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ،١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) :

١٧٩) الملل والنحل ،ت . عبد العزيز محمد الوكيل ،ط . الحلبي ، القاهرة ١٣٧٨هـ .

١٨٠) نهاية الاقدام في علم الكلام ،ت . الفردجيوم ،مكتبة المثنى ، بغداد .

شيخ زاده : عبد الرحيم بن علي :

١٨١) نظم الفرائد وجمع الفوائد ، المطبعة العامرة ، استانبول /١٢٨٨هـ .

الصابوني : نور الدين أحمد بن محمود (ت ٥٨٠ هـ) :

١٨٢) البداية في أصول الدين ،ت . بكر طوبال أوغلي ،مطبعة محمد هاشم الكتبي ، دمشق / ١٣٩٩هـ .

الصابوني : محمد علي :

١٨٣) مختصر تفسير ابن كثير ،ط . دار القرآن الكريم ، السادسة ، بيروت ،١٤٠٢هـ .

الصاعدي : أبو العلا صاعد بن محمد الاستوائي (ت ٣٤٢هـ) :

١٨٤) كتاب الاعتقاد ،(خ) جامعة ليدن برقم ١٩٧٧ ، وعندي عنها صورة

صدر الشريعة : عبيد الله بن مسعود المحبوبي (ت ٧٤٧هـ) :

١٨٥) التوضيح في حل غوامض التنقيح ،دار الكتب العلمية ، بيروت .

الصفصافي : أحمد المرسي :

١٨٦) معجم صفصافي (تركي – عربي) الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٧٩م

الصنعاني : عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ) :

١٨٧) المصنف ، ت . حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

طاشكبرى زاده : أحمد بن مصطفى بن خليل (ت ٩٦٨هـ) :

١٨٨) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٥هـ .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ) :

١٨٩) جامع البيان في تفسير آى القرآن ، الأميرية ببولاق ، ١٣٢٨هـ .

الطناحي : د . محمود محمد :

١٩٠) الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم ، مكتبة الخانجي ، بالقاهرة ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .

الطوسي :

١٩١) تلخيص المحصل للرازي ، ت . طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ، مع المحصل .

الطيالسي : أبوداود سليمان بن داود : (٢٠٤هـ) :

١٩٢) المسند ، مصورة دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

الظواهري : محمد الحسيني :

١٩٣) التحقيق التام في علم الكلام ، مكتبة النهضة المصرية ، الأولى ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ .

ابن عابدين : محمد أمين بن عمر :

١٩٤) رسالة رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه ، ضمن رسائل ابن عابدين بدون مكان الطبع والتاريخ .

* – رد المحتار على الدر المختار ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ .

عبد الباقي : محمد فؤاد :

١٩٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،مؤسسة جمال للنشر ، بيروت .

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبي (٤٦٣هـ):

١٩٦) تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ،مكتبة القدسي ، القاهرة، ١٣٥٠هـ

* ــ الإستذكار ،ت. على النجدى ناصف،لجنة إحياء التراث العربى ،القاهرة، ١٩٧٠م .

١٩٧) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ،مطبعة المنيرة /القاهرة / ١٣٤٦هـ .

عتر : د . حسن ضياء الدين :

١٩٨) بينات المعجزة الخالدة ،دار النصر ،حلب / ١٣٩٥هـ .

١٩٩) نبوة محمد في القرآن الكريم ،دار البشائر الاسلامية / بيروت ١٤١٠هـ .

العجلوني : اسماعيل بن محمد (ت ١١٦٢هـ):

٢٠٠) كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، تصحيح أحمد القلاش ،ط . مؤسسة الرسالة الرابعة ،بيروت ١٤٠٥هـ .

ابن عدى : أبو أحمد عبد الله بن عدى (ت٣٦٥هـ):

٢٠١) الكامل في ضعفاء الرجال ،ط. دار الفكر ،بيروت ١٤٠٥هـ .

أبو عذبة : الحسن بن عبد المحسن :

٢٠٢) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية ،ت . عبد الرحمن عميرة ط . عالم الكتب ،الاولى ،بيروت ،١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م.

ابن العربي : القاضي أبوبكر محمد بن عبد الله المعافرى (ت٥٤٣هـ):

٢٠٣) عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى ،تصوير دار العلم للجميع ، بيروت .

ابن أبي العز : علي بن علي بن محمد :

٢٠٤) شرح العقيدة الطحاوية ،ط . المكتب الاسلا مي ،السابعة ،بيروت ،١٤٠٣هـ .

العصامي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت ١١١١هـ):

٢٠٥) سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي ، المكتبة السلفية ، القاهرة ،١٣٧٩هـ ،اهتمام قاسم درويش فخرو .

العظم : جميل بك :

٢٠٦) عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر ، المطبعة الأهلية ، بيروت ، ١٣٢٦هـ .

ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ):

٢٠٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجارى للطباعة ، بيروت .

القاضي عياض : بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ):

٢٠٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ،ت . نور الدين قرة على وزملائه مكتبة الفارابي ،مؤسسة علوم القرآن ،دمشق ،

الغامدى : د . أحمد عطيه :

٢٠٩) البيهقي وموقفه من الإلهيات ،ط . الجامعة الاسلامية ،الثانية ، المدينة المنورة ،١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م.

الغزالي : أبو أحمد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ):

٢١٠) إحياء علوم الدين ،مؤسسة الحلبي ، مصر ١٣٨٧هـ .

٢١١) المنقذ من الضلال ،ت . عبد الحليم محمود ، دار الكتب الحديثة ١٣٩٤هـ .

٢١٢) تهافت الفلاسفة ،ت . سليمان دنيا ،ط . دار المعارف ، الخامسة ، مصر .

الغزى : نجم الدين (ت١٠٦١هـ):

٢١٣) الكواكب السائره بأعيان المائة العاشرة ،ت . جبرائيل سليمان جبور ، بيروت ،بدون تاريخ .

ابن الغـــزى : محمد بن عبد الرحمن (ت١١٦٧هـ) :

٢١٤) ديوان الاسلام (خ) دار الكتب المصريـــة ، خ ٢٢٠٨ .

الفيروز آبادى : مجد الدين محمد بن يعقـــوب (ت ٨١٧هـ) :

٢١٥) القاموس المحيط ،ط . مصطفى البابي الحلبي ، الثانية ، ١٣٧١هـ .

الفيومـــي : أحمد بن محمد بن علـي (ت ٧٧٠هـ) :

٢١٦) المصباح المنير ،المكتبة العلميـة ،بيروت .

القــــارى : علي بن سلطان محمد الهروى المكي ، الشهير بملا علي القارى ، (١٠١٤هـ) :

٢١٧) الاسرار المرفوعة ،ت . محمد لطفي الصباغ ،ط . المكتب الاسلا مـــي ، الثانية ، بيروت ،١٤٠٦هـ .

٢١٨) شرح الأمالي ، دار صلاح بليجي ، استانبول ،بدون تاريــخ .

٢١٩) شرح الشفـــا ، تصوير دار الكتب العلميـة ،بيروت .

٢٢٠) شرح الفقـه الأكبر ،ط . دار الكتب العلمية ،الأولى ،بيروت ١٤٠٤هـ

٢٢١) فرائد القلائد على أحاديث شرح العقائد ،ت. مشهور حسن سلمـــان ، المكتب الاسلا مي ، دار عمار ،١٤١٠هـ .

٢٢٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيـح ،الميمنية ،القاهرة ،١٣٠٩هـ .

القاسمـي : جمال الديـــــن :

٢٢٣) تاريخ الجهمية والمعتزلة ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،١٣٩٩هـ .

٢٢٤) دلائل التوحيد /دار الكتب العلميـة ،بيروت ،١٤٠٥هـ .

القاضي عبد الجبـار : أبو الحسن أحمد بن حنبل الأسد آبادى :

٢٢٥) شرح الأصول الخمسة ،ت . عبد الكريم عثمان ،مكتبة وهبه ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

القرطبي : محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) :

٢٢٦) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، ت.د. أحمد حجازي السقا، مصر.

٢٢٧) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ت. فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢٢٨) الجامع لأحكام القرآن، ط. مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

قطب الدين المكي : محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد النهروالي الهندي (ت ٩٩٠هـ) :

٢٢٩) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، بهامش خلاصة الكلام للشيخ أحمد زيني دحلان، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٥هـ.

ابن قطلوبغا : قاسم بن قطلوبغا (ت ٨٧٩هـ) :

٢٣٠) شرح المسايرة لابن الهمام، المطبوع بهامش المسايرة، المطبعة الأميرية، مصر، ١٣١٧هـ.

قنديل : د. لطفي صالح :

٢٣١) ابن كمال باشا، رسائله البلاغية، دراسة وتحقيق، رسالة الماجستير بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر برقم ١٠٠٢.

ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) :

٢٣٢) حادي الأرواح الى بلاد الأفراح، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

٢٣٣) الروح، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٢٣٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢٣٥) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، ت. محمد حامد الفقي، تصوير دار الفكر، بيروت.

٢٣٦) مفتاح دار السعادة، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي (ت٧٧٤هـ) :

٢٣٧) تفسير القرآن العظيم ،ت . محمد ابراهيم البنا وزملائه ،طبعة الشعب ، القاهرة .

٢٣٨) النهاية في الفتن والملاحم ،تصحيح أحمد عبد الشافي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٤٠٨هـ .

كحالة : عمر رضا :

٢٣٩) معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، مكتبة المثنى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

الكرمي : مرعي بن يوسف الحنبلي (١٠٣٣هـ) :

٢٤٠) أقاويل الثقات ،ت . شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة ،بيروت،١٤٠٦هـ

٢٤١) تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان ، ت . مشهور حسن سليمان ، دار ابن القيم للنشر .

الكستلي : مصلح الدين مصطفى (٩٠١هـ) :

٢٤٢) حاشية الكستلي على شرح العقائد للسعد ،استانبول ١٣٠٧هـ .

الكشميري : محمد أنور شاه الهندى (١٣٥٢هـ) :

٢٤٣) التصريح بما تواتر في نزول المسيح ،ت . عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الاسلامية ،ودار القرآن الكريم ، بيروت ،١٤٠١هـ .

الكفوى : محمود بن سليمان (ت ٩٩٠هـ) :

٢٤٤) كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار ، مخطوط بمكتبة المحمودية برقم ٢٥٧٥ بالمدينة المنورة .

الكلنبوى : المحقق إسماعيل :

٢٤٥) حاشية الكلنبوى على الجلال من العقائد ،ط . استانبول ،١٣٠٧هـ .

الكمال بن أبي شريف :

٢٤٦) المسامرة بشرح المسايرة لابن الهمام ، المطبعة الأميرية ، بولاق ،١٣١٧هـ .

كمال هاشم نجا :

٢٤٧) مذكراته في العقيدة لطلاب الدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى لعام ١٤٠٢هـ .

الماتريدى : أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (ت ٣٣٣هـ) :

٢٤٨) كتاب التوحيد ،ت . فتح الله خليف ، طبعة مصورة ، استانبول،١٩٧٩م

ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) :

٢٤٩) السنن ،ت . محمد فؤاد عبد الباقي ،ط عيسى الحلبي ،مصر .

مالك : الامام ابن أنس (ت ١٧٩هـ) :

٢٥٠) الموطأ ،ت . محمد فؤاد عبد الباقي ،ط . عيسى الحلبي ،مصر .

المتقى : على بن حسام الدين عبد الملك بن قاضيخان الهندى(ت٩٧٥هـ) :

٢٥١) كنز العمال ،ط . مكتبة التراث الاسلامي ،الأولى ،حلب ،١٣٩٠هـ

المحلى الرمال : الشيخ أحمد بن علي :

٢٥٢) تاريخ غزوة السلطان سليم مع قانصوه الغورى ،مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ٣٧٩٣ (٤٧/٩٠٠).

محمد أيوب علي : الدكتور

٢٥٣) عقيدة الاسلام والامام الماتريدى ، المؤسسة الاسلامية ،بنغلادش١٤٠٤هـ

محمد حرب : الدكتور :

٢٥٤) العثمانيون في التاريخ والحضارة ،دار العلم ،دمشق ،١٤٠٩هـ .

محمد فريد بك المحامـــــي :

٢٥٥) تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ت٠ احسان حقي ،دار النفائـــس، بيروت ،١٤٠٣هـ ٠

محمد نعيم ياسين : الدكتـــور :

٢٥٦) كتاب الإيمان ، مكتبة التراث الاسلا مي ،القاهرة ،بدون تاريخ ٠

المدخلـــي : الدكتور محمد بن ربيع هادى :

٢٥٧) الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ،مكتبة لينه ، دمنهور،١٤٠٩هـ

مسلـــم: الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت ٢٦١هـ):

٢٥٨) الصحيح ،ت٠ محمد فؤاد عبد الباقي ،ط٠ عيسى الحلبي ،مصر ١٣٤٧هـ ٠

مغفـور عثمـــان :

٢٥٩) النبوة والرسالة في الاسلام ،رسالة الماجستير بكلية الشريعـــة بجامعة الملك عبد العزيز ، عام ١٣٩٧هـ ٠

المنـــاوى : محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ):

٢٦٠) التوقيف على مهمات التعاريف ،ت٠ محمد رضوان الداية ،دار الفكر دمشق ،١٤١٠هـ ٠

٢٦١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ،الطبعة الأولى ،١٣٥٦هـ ٠

ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن عبد القوى (٦٥٦هـ):

٢٦٢) لسان العرب ،دار صادر – دار بيروت ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م٠

الموصلـــي : محمد بن الموصلـــي :

٢٦٣) مختصر الصواعق المرسلة ، مصورة رئاسة البحوث العلمية والافتـــاء الريـــــاض ٠

النسائـــي : أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيـــب (ت ٣٠٣هـ):

٢٦٤) السنن ،ترقيم عبد الفتاح أبو غدة ،دار البشائر الاسلامية ،بيروت،١٤٠٦هـ

النسفي حافظ الدين عبد الله بن أحمد (ت ٧١٠هـ):

٢٦٥) الاعتماد في الاعتقاد ،مخطوط بمكتبة فاتح باستانبول تحت رقم ٣٠٨٥ ، وعنها ميكروفيلم بالمكتبة المركزية بالجامعة برقم ٤٤٥٠.

٢٦٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل بهامش "لباب التأويل" للخازن، دار المعرفة ،بيروت .

النسفي: أبو حفص عمر (ت٥٣٧هـ):

٢٦٧) التيسير في التفسير، مخطوط بمكتبة ولي الدين جار الله تحت رقم / ١٤٠ ، وعنه ميكروفلم في مركز البحث العلمي برقم ٩٥٥ تفسير .

النسفي: أبو المعين ميمون المكحولي (ت ٥٠٨هـ):

٢٦٨) تبصرة الأدلة ،ت . السيد محمد الأنور ، رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، رقم ٨٧٢ .

٢٦٩) التمهيد لقواعد التوحيد ،ت . حبيب الله حسن أحمد ، دار الطباعة المحمدية ، مصر ،١٤٠٦هـ .

النشار: الدكتور على سامي :

٢٧٠) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ،ط . دار المعارف الثانية ، مصر .

أبو نواس:

٢٧١) ديوانه ، القاهرة ،١٨٩٨م.

النووي: الامام محيي الدين يحيى بن شرف :

٢٧٢) شرح صحيح مسلم ،في ١٨ جزءا ، ١٣٤٩هـ .

هراس: الدكتور محمد خليل :

٢٧٣) ابن تيمية السلفي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٤٠٤هـ .

الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧ هـ) :

٢٧٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،مؤسسة المعارف ،بيروت ،١٤٠٦هـ .

٢٧٥) موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ،ت . محمد عبد الرزاق حمزه ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،بدون تاريخ .

ابن الوزير : محمد بن ابراهيم بن علي (ت ٨٤٠هـ) :

٢٧٦) البرهان القاطع في إثبات الصانع ، المطبعة السلفية ،مصر ، ١٣٤٩هـ .

٢٧٧) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، مطبعة المعاهد مصر ،١٣٤٩هـ .

ونسك :

٢٧٨) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، مكتبة بريل ،ليدن ١٩٣٦م

٢٧٩) مفتاح كنوز السنة ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ، ترجمان السنة ، لاهور .

ابن أبي يعلى : أبو الحسين محمد بن محمد :

٢٨٠) طبقات الحنابلة ،دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت .

ثالثا : الدوريات :
======

الجوابي : د . محمد الطاهر :

٢٨١) " مؤلفات ابن كمال باشا المخطوطة بالمكتبة الوطنية بتونس " - مقال ضمن " ندوة ابن كمال باشا " (المطبوعة باللغة التركية) ص ٢٦٩- ٣٠٥ .

طلس : أسعد

٢٨٢) دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها - مقال بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ،المجلد / ٢١ .

العبيدي : د . رشيد عبد الرحمن :

٢٨٣) جهود ابن كمال باشا في اللغة العربية – مقال بمجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الأول ، المجلد ٣٨ ، رجب ، ١٤٠٧هـ .

٢٨٤) الدراسات اللغوية عند ابن كمال باشا في القرن العاشر الهجري ، مقال بمجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي (جامعة أم القرى) العدد الأول ، ١٣٩٨هـ .

٢٨٥) رسالة في تحقيق معنى كاد لابن كمال باشا – مقال بمجلة كلية الدراسات الاسلامية ، بغداد ، العدد ٥ ، ١٣٩٣هـ

٢٨٦) كتاب التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ، مقال بمجلة المورد العراقية ، العدد ٤ ، ١٩٨٠م .

فجال : الدكتور محمود :

٢٨٧) ابن كمال باشا حياته ومؤلفاته – مقال بمجلة عالم الكتب المجلد العاشر ، العدد ٣ ، محرم ١٤١٠هـ .

قنيبي : الدكتور حامد صادق :

٢٨٨) تحقيق معنى النظم والصياغة لابن كمال باشا – مقال بمجلة الجامعة الاسلامية ، العددان ٧١ – ٧٢ ، السنة ١٨ ، ١٤٠٦هـ .

٢٨٩) * ابن اياس (دراسات وبحوث) – اشراف د . أحمد عزت عبد الكريم (محاضرات ألقيت في الندوة التي نظمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالاشتراك مع المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) ط . الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٧٧م .

رابعا: فهارس المكتبــــات :

هذا، وقد رجعت بشأن مؤلفات ابن كمال باشا الى عديد مـــن فهارس المكتبــات ، وأفدت بصفة عامة من فهارس مكتبات استانبــــول، وفهرس لخزانة التيمورية ، وفهرس دار الكتب المصرية ، وفهرس المكتبة الأزهرية ، وفهرس معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، وفهرس مكتبة برلين ، وفهرس المكتبة الوطنية بباريس ،وفهرس المخطوطات العربيـــة بمكتبة جامعة بريستون بالولايات المتحدة ، وفهرس المكتبة الظاهريـــة بدمشق ، وفهرس مكتبة الحرم المكي الشريف ، وفهرس مكتبة عارف حكمـت ، والمحمودية بالمدينة المنورة ، وفهرس المخطوطات بمكتبة جامعـــة الملك سعود ، والكشاف عن مخطوطات خزائن الأوقاف ببغداد (من اعداد محمد أسعـــد أطلس) وغيرها من فهارس مكتبات العالم .

خامسا : المصادر باللغة التركيـــة :

Atsız : Nihal,
1- Kemalpaşa-Oğlunun Eserleri: Şarkiyat Mecmuası VI, s. 71-112, VII, s. 83-135, İstanbul, 1972.

(مؤلفات ابن كمال باشا ،مقال بمجلة الشرقيات،العددان ٦ـ٧، ١٩٧٢ م .)

2- Kemalpaşaoğlu, Şemseddin Ahmed, Türk Ansiklopedisi, 21. cilt, Milli Eğitim Basımevi, İstanbul, s-478-481.

(ابن كمال باشا ، شمس الدين أحمد ، مقال بالموسوعة التركية،المجلد ٢١ ، ص ٤٧٨ ـ ٤٨١ .)

3- Birgili Mehmet Efendi (981 H.) Bibliyografyası, Milli Eğitim Basımevi, İstanbul, 1966.

(كشف بيبليوغرافى لمؤلفات محمد أفندى البركلى (ت. ٩٨١ هـ))

Aydemir: Dr. Abdullah,

4- Ebussuûd Efendi ve Tefsirdeki Metodu, Diyanet Yayınları, Ankara.

(أبو السعود أفندى ومنهجه فى التفسير)

Boltacı: Dr. Cahit,

5- XV - XVI. Asırlar Osmanlı Medreseleri, İstanbul, 1976.

(المدارس العثمانية فى القرنى الخامس والسادس عشر الميلادى)

Bilmen: Ömer Nasûhi,

6- Büyük Tefsir Tarihi, Bilmen Yayınları, İstanbul, 1974.

(طبقات المفسرين)

Çelebi: Kâtip,

7- Seyahatnâme, İstanbul.

(رحلة كاتب جلبى)

Kılıç, Dr. Mustafa,

8- İbn Kemâl, Hayatı, Tefsire Dair Eserleri ve Tefsirdeki Metodu, Tez, Atatürk Üniversitesi, İslâmi İlimler

Fakültesi, Erzurum, 1981.

(ابن الكمال ،حياته ، ومؤلفاته فى التفسير ، ومنهجه فيه . رسالة دكتوراه بجامعة أتاتورك بكلية العلوم الإسلامية بأرضروم)

Kınalızāde, Hasan Çelebi,
9- Tezkiratü'ş-Şuarā , T.T.K. Basımevi, Ankara, 1979.

(تذكرة الشعراء)

Konyalı : İbrahim Hakkı :
10 - Konya Tarihi , Konya, 1964.

(تاريخ قونيا)

Uzunçarşılı : Prof. İsmail Hakkı,
11 - Osmanlı Devletinin İlmiye Teşkilatı, T.T.K. Ankara, 1984.

(تشكيلات الدولة العثمانية العلمية)

12 - Osmanlı Tarihi, T.T.K. Ankara, 1975.

(تاريخ عثمانى)

Parmaksızoğlu : İsmet,
13 - Kemalpaşazāde , İslam Ansiklopedisi, (6/561-566) , Milli Eğitim Basımevi, İstanbul, 1977.

(كمال باشا زاده، مقال بالموسوعة الاسلامية ٦/ ٥٦١ـ ٥٦٦)

Tahir Bey : Bursalı ,
14- Osmanlı Müellifleri, İst.

(المؤلفين العثمانيين)

Yaltkaya : Şerafettin,
15- Molla Lutfi, Tarih Semineri Dergisi, II.

(المولى لطفى ، مقال بمجلة الدراسات التاريخية)

* İlmiye Sālnāmesi, İstanbul, 1344 H.

(السنويـــة العلميـــة)

* Şeyhülislam İbn Kemāl (Sempozyumu), Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları, № 36, Ankara, 1986.

(ندوة شيخ الإسلام ابن كمال)

فهرس الموضوعات

* * *